


# اليهود الحسيديم

## نشأتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، تقاليدهم

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

# اليهود الحسيديم

نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم

# اليهود الحسيديم

## نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم

الدكتور جعفر هادي حسن

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م



دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣



# مقـدّمة

كلمة «حَسِيديم» التي في عنوان الكتاب هي جَمع عِبْري للمفرد «حَسيد» المشتق من الجذر «حسد». ويدل هذا الجذر في اللغة العبرية على معنى الإحسان وعمل الخير بصورة عامة، وقد استعملت كلمة «حسد» ومشتقاتها في الأدبيات اليهودية بهذا المعنى العام. ولكن إلى جانب هذا الاستعمال أُطلق الجمع «حسيديم» على جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة من تاريخ اليهود، ومن هذه، جماعةٌ تزعمها حاخام اسمه «بَعْل شم طوب» في القرن الثامن عشر الميلادي. وقد أطلق على الحركة التي قادها اسم «الحركة الحسيدية». واستعمل الاسم «حسيد» عند هذه الحركة للدلالة على اليهودي التقي، والمخلص للدين والناذر نفسه له، وفوق هذا وذاك على من هو من أتباع هذه الحركة ومن يؤمن بأفكارها، وهؤلاء الحسيديم أتباع هذه الحركة هم موضوع كتابنا هذا.

واليهود الحسيديم هم يهود أرثوذكس إلا أنهم يختلفون عنهم في الممارسة الدينية والسلوك والتقاليد إلى جانب لغتهم الخاصة بهم وهي «اليديش»[1]. وهم اليوم تتوزعهم مجموعات كثيرة تصل إلى العشرات، وكل واحدة من هذه لها اسمها الخاص بها الذي أخذته في الغالب من القرية أو البلدة التي نشأت فيها، ولكل واحدة من هذه المجموعات زعيمها ومرشدها

(١) اليديش لغة خليط من العبرية والألمانية القديمة وهناك بعض اليهود من غير الحسيديم ممن يتكلم هذه اللغة أيضاً.

الروحي، الذي تطيعه وتقدّسه وتدين بالولاء له. وينتشر اليهود الحسيديم اليوم في كثير من بلدان العالم، إلا أن أغلبهم يسكن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل. ولهم دَوْرٌ مُهِمٌّ وتأثير كبير في عالم اليهود لكثرة عددهم وعظم إمكانيتهم، ومع ذلك فإنّ الكثير من الناس في عالمنا لا يعرف عنهم شيئاً بل ربما لم يسمعوا بهم. وقد دفعني هذا إلى إصدار دراسة عن هؤلاء اليهود تضم المسائل الرئيسية حولهم: كالنشأة، والتاريخ، والعقائد، والتقاليد، وغير ذلك من موضوعات كعلاقتهم بإسرائيل. ولأن الكتاب جديد في موضوعه فقد رأيت أن أقتصر في هذه الدراسة على ذكر الحقائق وتبيانها دون التطرق إلى نقدها أو تحليلها، إلا إذا اقتضت ضرورة البحث ذلك. إذ أن الهدف الرئيسي من هذا الكتاب هو الحديث عن وجود هؤلاء اليهود وتعريف القارىء بهم واطّلاعه عليهم. وقد حاولت قدر الإمكان أن أعرض الحسيديم وفكرهم بطريقة موضوعية، معتمداً في ذلك على المصادر اليهودية بصورة عامة والحسيدية منها خاصة دون غيرها من المصادر الأخرى. وكل هذه المصادر كتبت بلغات أجنبية ليس منها مصدر واحد باللغة العربية. وبسبب ذلك فقد بذلت كثيراً من الجهد والوقت من أجل فهم النص الأجنبي وترجمته وصياغته بأسلوب يسهل على القارىء فهمه وإدراك معانيه. وأملي كبير في أن يكون استقبال القرَّاء للكتاب على قدر ما بُذل فيه من جهد، وأن يحقق الكتاب الغرض الذي ألف من أجله، والله الموفق.

**المؤلف**

**لندن، كانون الأول ١٩٩٣ م**

# تمهيد

كانت الجماعات اليهودية في أوروبا الشرقية (سابقاً) في الفترة التي ولد فيها مؤسس الحركة الحسيدية تعيش عصر انحطاط وتخلُّف. فقد كانت هذه الجماعات ضعيفة ومفككة وأرضاً خصبة للحركات المسيحانية والتبشيرية. وقد وقع حدثان مهمان في هذه الفترة كان لهما الأثر الكبير على هذه الجماعات: أحدهما ما سمِّي بمذبحة چميلنكي عام ١٦٤٨ م[١]، والثاني ظهور المسيح الكذاب شبتاي صبي (ت ١٦٧٦ م) الذي ادَّعى بأنه المخلِّص لليهود حيث صدَّقه الآلاف منهم وانقادوا وراءه إلى أن تبيَّن كذبه. وكان هذا الحدث سبباً في حدوث أزمة دينية عميقة بين اليهود، حيث انفصلت على إثر ذلك مجموعة منهم واستقلوا بفرقة خاصة بهم سُمِّيت بـ «فرقة الدونمة». وكان من نتيجة ذلك أن انكفأ اليهود على أنفسهم واعتقدوا بأن الأمل في الخلاص المسيحاني لهم قد اختفى أو كاد، وشعروا بأن العالم ضدهم ومحارب لهم، وأن الشر هو الغالب على هذا الكون والمسيطر عليه. وكما كان نظام الطبقات سائداً في المجتمعات الأوروبية فقد كان كذلك سائداً بين الجماعات اليهودية التي عاشت في أوروبا، فبالإضافة إلى الفجوة التي كانت تفصل الأغنياء والفقراء اليهود، فقد كانت هناك كذلك فجوة تفصل رجال الدين والعامة من

---

(١) كان بوغدان زينوف چميلنكي (ت ١٦٥٧ م) مزارعاً أوكرانياً قاد ثورة ضد حكم البولنديين لأوكرانيا عام ١٦٤٨م. بعد أن أُحرقت مزرعته من قبلهم وذبح طفله الصغير. وقد استمرت ثورته لعدة سنوات قتل فيها ناس كثيرون ومن ضمنهم يهود.

اليهود، وكان أغنياء اليهود وأصحاب الجاه منهم هم أصحاب اليد الطولى في حياة اليهود.

وكان الشغل الشاغل لهم مصالحهم وإرضاء الرسميين في الدولة التي يعيشون فيها، ولم يكونوا يعبأون بما يصيب اليهودي العادي من ظلم وما يقع عليه من حَيْف. وكانت السلطة المدنية والزعامة بيد هؤلاء إذ كانوا هم المسيطرون على مجلس الطائفة اليهودية والمديرون له. ومن أجل أن تستمر سلطتهم فقد وضعوا شروطاً لمن يرشح لهذا المجلس وينتخب، وكان من هذه الشروط مثلاً منع الحرفيين من الانضمام إليه. وقد أصبح ضغط هؤلاء على عامة اليهود واضطهادهم شيئاً شائعاً وظاهرة متفشية بين الجماعات اليهودية جعلت الكتّاب اليهود يتحدثون عنها وينتقدونها، فقد وصف الحاخام جوزف يوسك (ت ١٧٢٠ م) حال اليهود في نهاية القرن السابع عشر بقوله: «إن زعماء اليهود يعيشون في رفاه وأبهة ولا يتحملون أنفسهم الضرائب أو الدفوعات الأخرى المفروضة على الجماعات اليهودية. و إنهم يحمّلون اليهود كثيراً، ولكنهم يخففون عما يجب عليهم، ولهم حصة الأسد من ألقاب الشرف والتميّز... وأما عامة الناس من أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب فإنهم يُسحقون ويُستذلون وهم حفاة عراة بسبب الضرائب الباهظة»[١].

وقال مؤلف يهودي معاصر آخر: «في أيامنا هذه أصبح رئيس الطائفة وزعماؤها يعيشون من أموال الناس، وهم يظلمونهم ويضطهدونهم من خلال الضرائب المتعددة الأسماء، وهم يسلكون سلوك الأسياد نحو اليهود»[٢].

وقال المؤرخ اليهودي دبنوف: «لقد كانت هناك حفنة صغيرة من اليهود الأثرياء سرقوا زعامة الجماعة اليهودية، وقد استغلت هذه المجموعة الصغيرة الطائفة اليهودية من أجل أن توسع سلطتها وثروتها، ونتيجة لهذا الاضطهاد الاقتصادي والاجتماعي فقد توسّعت الشقة بين عامة الناس والزعامة الحاكمة»[٣]. بل إن البعض من اليهود لم يتردد في أن يُطلق على مجلس

---

(١) S. Dubnow, Nationalism and History, pp. 4 - 5.

(٢) B. Dinur, The Origins of Hasidism and its Social and Messianic Foundations, in G.D. Hundert (ed.) Essentiall Papers on Hasidism p. 112.

(٣) B. Safran, Hasidism: Continuity or Innovation? p. 3.

الطائفة أسوأ الصفات حيث قال: «إن هذا المجلس ليس جديراً باسم قُدش (مقدس) بل الأحرى به أن يسمى مومساً»[١].

وكان عامة اليهود ناقمين على الحاخامين وعلماء الدين بصورة عامة إذ أن هؤلاء كانوا يعيشون حياة خاصة بهم، حيث كان الشغل الشاغل لهم دراستهم الدينية التي تتركز على دراسة التلمود وشروحاته، وما يتعلق به من تفسيرات تتسم بكثير من الجدل المصطنع والمناظرات العقيمة والتي تسمى بالعبرية «فلفول». وقد وصف الواعظ اليهودي المعاصر لتلك الفترة أفرايم سلومون بن هارون (ت ١٦١٩ م) وضع هذه الدراسة بقوله: «إن الدراسة بصورة عامة تدور حول شحذ الذهن بالنقاش العميق والمناظرة العبثية الصعبة، وإنه لشيء مرعب أن ترى الحاخام المسنّ رئيس المدرسة يبحث عن تفسير جديد يفسر به مفهوم الغماراه خطأ، مع أنه والآخرين يعلمون بأن المعنى يختلف تماماً عن تفسيره، فهل إن الله حقيقة طلب أن يشحذ الذهن عن طريق الكذب والجدل المصطنع وإضاعة الوقت، وأن يدرِّس الطلاب بهذه الطريقة... إن سبب ذلك في الواقع هو أن علماء الدين يبحثون عن الشهرة ومكانة روش يشيفاه (رئيس مدرسة دينية)[٢]» ولكن الخوض في هذه المسائل كان يعتبر عند هؤلاء جزءاً من الصلاح والتقوى. وكان اليهود العاديون والأغلبية الغالبة منهم لا يمكنهم المشاركة في مثل هذا الترف الفكري الذي قصره رجال الدين على أنفسهم ووضعوا العوائق أمام غيرهم حتى لا يتمكنوا منه. وقد اعتقد هؤلاء بأن دراستهم الدينية هذه تعطيهم الأهلية كي يحترمهم عامة اليهود ويسمعوا لهم ويطيعوا أوامرهم، مع أنهم لم يكونوا يهتمون بما يعانيه هؤلاء من شظف العيش وما يقاسونه من حياة صعبة، بل إنهم كانوا يحتقرونهم. وكان من النادر أن يلقي الحاخام فيهم خطبة، وإذا خطب كانت خطبته تقتصر على المناسبة التي يتحدث عنها، ولا تكون ذات علاقة بحياة الإنسان اليهودي العادي؛ بل كثيراً ما تتضمن مسائل دينية وجدلية.

ولما كان الحاخامون موظفين فقد كان الكثير منهم يحصلون على وظائفهم بإعطاء رشوة لأصحاب النفوذ والمسؤولين وهم بدورهم يأخذون

---

(١) B. Dinur, op. cit. p. 112.

(٢) S. Dubnow, History of the Jews, vol, 3, p. 802.

أضعافها من اليهود. وقد ذكر أحد المؤرخين شيئاً عن هذا الوضع فقال: «إن وظيفة الحاخامية أصبحت تجارة مدرّة للأرباح، وكثيراً ما كانت التعيينات لهذه الوظيفة خارجة عن يد اليهود، بل إن البعض من عامة اليهود اقترح عدم تعيين حاخامين في البلدات الصغيرة حتى يتفادى اليهود الابتزاز من قبل الحاخامين»[١]. وقال المؤرخ اليهودي دبنوف: «إن المؤسسة الحاخامية قد أعطت لليهود حكومة دينية وليس عقيدة دينية. إنها عقّدت الحياة اليهودية بعدد كبير جداً من العادات، والتقاليد، والتفصيلات الكثيرة، والمحظورات في الممارسة الدينية والتي كان من الصعب الالتزام بها. وأكثر هذه الأحكام ليست لها علاقة بالعقيدة ولم يجد فيها اليهودي البسيط ما يرضي شعوره الديني الأكثر بساطة»[٢].

إلى جانب ذلك فقد كان هؤلاء الحاخامون مستعدين لإصدار قرارات بالطرد من اليهودية لكل من ينحرف عن التفسير المتشدِّد للشريعة اليهودية الذي ارتضاه الحاخامون وفرضوه على اليهود، ومن أجل أن يحافظوا على هذا الشكل من اليهودية فقد أحاطوها بهالة من القدسية يخشى اليهودي العادي أن يمسها أو ينتقدها خوفاً من سلاح الطرد الديني الذي يلوِّح به الحاخامون في وجهه. وكان هذا اليهودي لا يتمتع إلا بحقوق قليلة، وكانت هذه الحقوق تسحب منه عندما لا يدفع ما عليه من ضريبة، وكذلك لم يكن له الحق في أن يسكن في مكان يختاره، ولذلك كانت فرص العمل الجيدة المتاحة له قليلة. وكان زواج الأطفال شائعاً بين اليهود، وأكثر الأولاد كانوا محرومين من التعليم سوى التعليم الديني الذي كان يقتصر على الحدر (غرفة دراسة) أو على مرحلة «تلمود توراه». أما مرحلة اليشيفاه وهي المرحلة المتقدمة من الدراسة الدينية فقد اقتصرت على القلة القليلة من أبناء اليهود. وكانت أماكن الدراسة بصورة عامة غير صالحة للتدريس ولا المعلمون الذين يدرسون فيها مؤهلين لذلك. وقد وصف الفيلسوف اليهودي سلمون بن ميمون (ت ١٨٠٠ م) هذا النوع من المدارس بقوله: «إن المدرسة صغيرة والأطفال موزعون، فقسم منهم يجلس على مقاعد طويلة والقسم الآخر منهم يجلس

---

(١) B. Dinur, op. cit. p. 186.

(٢) B. Safran, Hasidism: Continuity or Innovation, p. 2.

على الأرض. ويرتدي المعلم قميصاً متسخاً وأمامه منضدة واضعاً بين ركبتيه إناء يطحن فيه تبغاً بمدقة كبيرة جداً مثل هراوة هرقليس. وفي الوقت نفسه يظهر سيطرته على التلاميذ. ومساعدوه من الطلاب يعطون دروساً في كل زاوية للذين هم أدنى منهم، يتحكمون بهم باحتقار كما يفعل سيدهم. وفي هذا المكان يسجن الأطفال من الصباح إلى الليل دون توقف عدا أيام الجمع وبدايات الشهور»[١].

أما إسحق ليفنسون (ت ١٨٦٠ م) فقد انتقد هذه المدارس نقداً شديداً في كتابه تعوداه بيسرائيل (شهادة في بني اسرائيل) وانتقد نظامها ومناهجها التي تتمحور حول التلمود، وانتقد كذلك العقاب الجسمي الذي يُمارس فيها، وقد أطلق عليها «حدري موت» (غرف الموت)[٢].

ولما كان من الصعب على العامة من اليهود الاعتراض والنقد فقد أصبح الكثير منهم يعاني من الكبت والضغط، وكان البعض من هؤلاء لا يَرْضَون بأن تُكبت مشاعرهم تماماً أو أنهم لم يكونوا يتحملون الضغط الذي يعانونه، ولم يكونوا أيضاً يتمكنون من التعبير علناً عما في دخائل نفوسهم؛ لذلك لجأوا إلى وسيلة الدبوق[٣] ليعبروا بواسطتها عن مشاعرهم وما يدور في أفكارهم وينتقدوا التقاليد اليهودية ويسخروا منها. وبواسطة الدبوق كان اليهودي يتمكن من أن يقول ما لا يمكن أن يقوله في حياته العادية من نقد واعتراض[٤].

وأصبح تداول كتب القبلاه[٥] شيئاً شائعاً بين عامة اليهود من يفهمها ومن لا يفهمها. وقد قال أحد المعاصرين لهذه الفترة: «إن الكثير من عامة الناس تطلب دراسة القبلاه... حتى الناس العاديين الذين لا يفرق أحدهم بين يده اليمنى ويده اليسرى، والذي يسير على غير هدى، ولا يفهم أبسط

---

(١) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, pp. 20 - 21.

(٢) Encyclopaedia Judaica, **Levinsohn, Isaac Baer.**

(٣) الدبوق في الأدبيات اليهودية روح يدخل في الإنسان ويتكلم على لسانه على أنه شخص آخر غير الشخص الذي حلَّ فيه.

(٤) Z. M. Schachter and E. Hoffman, Sparks of Light, p. 16.

(٥) تعتمد القبلاه التفسير الباطني للنصوص اليهودية. وللأعداد والحسابات دور مهم في هذا التفسير. وتعتبر القبلاه اليوم علماً مستقلاً له جوانب متعددة ومتشعبة.

المناقشات التلمودية أو شيئاً من التوراة، حتى لو استعان (بشرح) راشي، [١] قد اندفع نحو دراسة القبلاه»[٢].

وازداد كذلك الطلب على الكتب التي تحتوي على مسائل خرافية وسحرية مثل كتاب «مغله عمقوت» (كاشف الأشياء العميقة) لناثان سبيرا (ت ١٦٣٣ م)، وكتاب «قاب هايوشر (ميزان الصلاح)» لزفي هرش كايدانوفر (ت ١٧١٢ م)، الذي يضم قصصاً عن الشياطين وتناسخ الأرواح وما يشبه ذلك. وانتشر الاعتقاد بالسحر وشاعت ممارسته بين اليهود حتى قال كاتب من القرن الثامن عشر عن يهود بولندا: «ليس هناك بلد ولع فيه اليهود بالأمور الباطنية والسحر والطلاسم وإخراج الأرواح الشريرة مثل بولندا»[٣].

في هذه البيئة وفي هذه الظروف ظهر «بَعْل شم طوب» مؤسس الحركة الحسيدية وزعيمها الأول، والفصل التالي مخصص للحديث عنه.

---

(١) شرح «راشي» من الشروح المهمة على التلمود.

(٢) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 21.

(٣) Ibid, p. 21.

# الفصل الأول

## بَعَل شِمْ طوبْ (١٧٠٠م - ١٧٦٠م)
## مؤسّس الحركة الحسيديّة

# بَعل شِم طوب (١٧٠٠م - ١٧٦٠م)
# مؤسّس الحركة الحسيديّة

ولد مؤسس الحركة الحسيدية إسرائيل بن أليعازر الذي عُرف فيما بعد باسم بعل شم طوب[١] في منطقة بودوليا[٢] Podolia التي تقع جنوب شرق أوكرانيا، ولا يُعرف الشيء الكثير عن عائلته سوى أنها كانت عائلة يهودية أرثوذكسية فقيرة، وقد توفي أبواه وهو ما زال طفلاً صغيراً، وقد تبنّته الطائفة اليهودية في مدينته ورعته وقامت بشؤونه.

وقد أدخل المدرسة اليهودية التقليدية التي يتعلم فيها أبناء اليهود الأرثوذكس والتي تسمى «حدر»، وقد استمر بعل شم طوب بالدراسة لفترة من الزمن، لكنه أخذ يهرب منها ويذهب إلى الغابات المحيطة ببلدته يختبىء فيها ويبقى لفترة بضعة أيام إلى أن انقطع عن الدراسة تماماً. ولقد حاول القائمون على أمره إقناعه بالرجوع إلى الدراسة والاستمرار فيها إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك.

وفي حوالى الثانية عشرة من عمره أخذ يشتغل بعدة أعمال، فعمل مساعداً لمعلم، وحاجباً في كنيس وغير ذلك. وكان عندما عمل حاجب كنيس ينام أكثر نهاره ويبقى لوحده ليلاً يصلي ويتعبد ويقرأ بعض الكتب[٣]، وقد قيل بأن بعض هذه الكتب كانت ذات علاقة بالقبلاه[٤].

---

(١) سنذكر سبب هذه التسمية فيما بعد.

(٢) تذكر كثير من المصادر ومنها دائرة المعارف اليهودية أنّ بعل شم طوب ولد في مدينة Okup أو Okupy ولكن هذه المدينة لا وجود لها (انظر: L. Jacobs, Hasidic Thought p. 1).

(٣) D. Ben-Amos and J.R. Mintz (eds) Shivei ha-Besht, p. 12.

(٤) S. Dubnow, History of the Jews vol. 4, p. 396.

وقد تزوج وهو في سن الرابعة عشرة من العمر أو ما يقاربها لكن زوجته توفيت بعد وقت قصير من الزواج. وبعد بضع سنوات ترك بلدته وذهب إلى شرق غاليسيا حيث سكن في مدينة برودي Brody، وكان آنئذٍ في حوالي العشرين من عمره[١]. وقد عمل معلماً في إحدى بلدات هذه المقاطعة، ولم تمر عليه فترة طويلة حتى عُرِف بين الجماعة اليهودية بالصلاح، فأخذ الناس يطلبون منه أن يكون حَكَماً بينهم في منازعاتهم. وفي واحدة من هذه المنازعات كان أحد الأطراف فيها حاخاماً مشهوراً اسمه أبراهام غرشون.

وبعد أن تعرف هذا الحاخام على إسرائيل بن أليعازر وجد فيه رجلاً مناسباً لابنته المطلّقة، وما أن عرض عليه الحاخام الزواج حتى وافق على ذلك، ولكنه طلب أن يكون العقد سرًّا لا يعرف به أحد إلى أن يعلن هو رغبته في الزواج[٢].

وبعد وفاة الحاخام أبراهام غرشون ذهب إلى ابنه يطلب منه أن يأخذ زوجته، ولما علم الابن ذلك أساءه ما حصل وانزعج - إذ لم يكن يعلم بما تمَّ - لأنه لم يكن يعتقد بأن إسرائيل بن أليعازر هو الرجل المناسب لعائلته المعروفة. وقد حاول أخوها أن يثنيها عن الزواج وأن تفسخ العقد إلا أنها رفضت. ولما كان أخوها حاخاماً معروفاً فقد طلب من زوج أخته أن يخصص وقتاً للدراسة التلمودية ولكنه رفض. فطلب من أخته أن تأخذ زوجها وترحل عن المدينة التي هو فيها إلى مكان آخر، واشترى لهما حصاناً (وعربة) يسترزقان بهما فرحلا إلى قرية قرب كوتوف Kutov.

وفي هذه القرية اعتزل إسرائيل بن أليعازر في الجبال والغابات القريبة يصوم ويصلي ويؤدي شعائر عبادية أخرى. وقد ذكر عنه بأنه في هذه الفترة كان يصوم كثيراً ويأكل قليلاً، وبقي على هذه الحال ما يقرب من سبع سنوات كانت زوجته خلالها تجلب له العربة في الأسبوع مرتين أو ثلاث مرات يملؤها لها طيناً فتأخذه إلى السوق تبيعه[٣]. وتقول أدبيات الحسيديم أنه في سني

(١) Ibid, vol. 4, p. 396.
(٢) D. Ben Amos and J.R. Mintz, (eds.) op. cit. pp. 19 - 20.
(٣) D. Ben Amos and J.R. Mintz, (eds.) op. cit. pp. 21 - 22.

الاعتكاف هذه كُشف له عن تعاليمه، وتجلّت له أراؤه. وتذكر أدبياتهم أيضاً أن عمره يومئذ كان ستاً وثلاثين سنة، وتذكر كذلك أن النبي «أحيّا»[١] هو الذي درَّسه[٢].

وضاقت الحياة به في هذه القرية فانتقل منها إلى مدينة تولست Tulst، فعمل فيها قصّاباً شرعياً، ومنشداً في كنيس، ومعلِّماً. وممّا ذكر عنه أنه بنى لنفسه كوخاً على النهر في هذه المدينة وأخذ يجلس فيه لوحده يقرأ ويتأمل. ويقال بأنه بهذا العمل كان يقلِّد الحاخام المشهور اسحق لوريا (ت ١٥٧٢ م)، وهو صاحب مدرسة في القبلاه. وكان الحاخام لوريا قد اعتكف كما ذكر عنه لسبع سنوات على ضفاف النيل في مصر يفكر ويتأمل[٣].

وقد ذكرت سابقاً بأن اليهود في هذه الفترة كان يكثر بينهم الخرافات والسحر، كما كان الأطباء قليلين بينهم، فكانوا يلجأون إلى جماعة عرف الواحد منهم باسم «بعل شم» ويعني هذا «سيد الاسم». والمقصود بالاسم هنا هو اسم الرب. وكان هؤلاء يطوفون المدن والقرى يعالجون الناس ويداوونهم بدل الأطباء، وكان علاجهم لا يقتصر على الأمراض الجسمية حسب، وإنما يتعداه إلى الأمراض النفسية والعقلية. واستعمل هؤلاء في علاجهم الرُّقَى والأدعية والتمائم والسحر، كما كانوا يستعملون الحشائش والنباتات. وكان العامة من اليهود يعتقدون بقدرة هؤلاء على الشفاء، بل كانوا يعتقدون بأن لهم القدرة على منع الكوارث وسوء الحظ، بل حتى القدرة على منع الموت.

وقد أصبح إسرائيل بن أليعازر واحداً من هؤلاء، يسافر بين المدن والقرى يعالج الناس ويطبِّبهم، وأصبح هذا العمل مهنة له يعتاش منها ويسترزق بها. وكان بعل شم طوب قد شهر بُرقيّة خاصة تكتب على رقٍّ وتحتوي على أسماء الملائكة، وكانت تستعمل لطرد الأرواح الشريرة من الإنسان وتستعمل كذلك للمرأة الحامل والمولود الجديد. وكان يُعمل لهذه

---

(١) «أحيّا» نبي جاء ذكره في التوراة. وفي التقاليد اليهودية هو أستاذ النبي إلياهو الذي ما زال حياً كما جاء في هذه التقاليد.

(٢) D. Ben-Amos and J.R. Mintz (eds) op. cit. p. 56.

(٣) S. Dubnow, the Beginnings: the Baal Shem Tov (Besht) and the Centre in Podolia, in G. D. Hundert (ed.) Essential papers on Hasidism. p. 30.

الرقية صندوق معدني يعلّق على رقبة الإنسان المريض، وقد اشتهرت هذه بين اليهود وأصبح لها سمعة واسعة.

وقد بلغ إقبال اليهود عليه في طلب العلاج حدًّا أنه كان عندما يسافر يطلب من ابنته أن تقوم بكتابة الوصفات لمن يطلبها، يتبين هذا من رسالة كان قد كتبها إلى ابنته عندما كان في إحدى سفراته، وقد جاء فيها: «إلى ابنتي «أدل» التقية الصالحة طال عمرها. بما أني سأبقى في سفرتي لفترة أطول، فقد أذنت لك أن تُعْطي وصفات من كتابي الذي يحتوي على الوصفات الطبية، والذي هو في حوزة مساعدي الصالح والربِّي القديس الحاخام نحمان طال عمره، وأطلب منك أن لا ترسلي هذه الوصفات بيد أشخاص آخرين، وعليك أن تخبري بنفسك من يحتاج إليها. هذا هو طلب والدك الذي يدعو لك بالخير الدائم»[1].

واشتهر اسم إسرائيل بن أليعازر بين الناس يهود وغير يهود، وأخذت تُعَزى له الكرامات والأعمال الخارقة، وأخذ الناس يأتون إليه ليس من أجل شفاء أمراضهم فقط بل كذلك من أجل حلّ مشاكلهم المعضلة، بل والتنبؤ لهم وإخبارهم عن مستقبلهم. وكان في هذه الحالات يفتح لمن يأتيه لمشكلة كتاب «الزهر»[2]، ويتنبأ لهم بالمستقبل، حتى قيل بأن بعض نبلاء الدولة كانوا يأتون إليه، وكان الذين لا يتمكنون من المجيء إليه يبعثون إليه بمطالبهم وحاجاتهم مع مبلغ من المال اسموه «فديون» (فدية) ـ وسنتحدث عن هذه الفديون فيما بعد.

واعتقد الذين يتعاملون معه بأن إسرائيل بن أليعازر هو «بعل شم» يختلف عن الآخرين ويتميز عنهم، فأطلقوا عليه «بعل شم طوب» بإضافة كلمة «طوب» التي تعني «طيب»، وسواء أكانت «طوب» صفة لسيّد أم صفة لاسم فهذا شيء غير مهم، إذ أن هذا اللقب قد أصبح خاصاً به دون غيره، وأصبح يُختصر كذلك إلى «بشط» وهي الحروف الثلاثة الأولى من «بعل شم طوب».

---

(١) Z. M. Schachter - Shalomi, Spiritual Intimicy pp. 250 - 251.

(٢) يعتبر كتاب «الزهر» من أهم كتب القبلاه وأعظمها شأناً عند أتباعها، وأكثرها قدسيةً ولا تقل قدسيته عندهم عن قدسية التوراة. ويُعْزَى تأليف «الزهر» إلى الحاخام الفرنسي موشيه دي رينا (ت ١٣٠٥ م) ولكن هذا موضع نقاش. والكتاب مكتوب بالعبرية والآرامية.

ولما كثر طلب الناس على الرُّقى والوصفات التي يكتبها لم يتمكن بعل شم طوب من أن يقوم بذلك لوحده، فعين له مساعداً يقوم بهذه المهمة، وعين له أيضاً كاتباً آخر ينسخ له التوراة والتفلين وغيرهما[١]. وكان بعل شم طوب أثناء ذلك يبثُّ أفكاره بين الناس مصحوبة بالقصص والروايات والأمثال، وكان لهذا تأثير على عوام اليهود، فأخذ هؤلاء يتحدثون عنه وعن قدراته وكراماته وقوة تأثيره.

وقد أزعج هذا الحاخامين لأن بعل شم طوب لم يكن معروفاً بتضلعه بالتوراة والتلمود، إلى جانب أنه كان ينتقد الحاخامين حيث عرف عنه قوله: «سيكثر هؤلاء (الحاخامون) يوماً، ويكون ذلك سبباً في منع ظهور المخلِّص»[٢] لذلك قرر مجلس الحاخامين للأقاليم البولندية الأربعة ـ كما ذكر بعض مؤرخي حياته ـ دعوة بعل شم طوب ومساءلته للاطلاع على مدى علمه ومعرفته بالشريعة اليهودية. وعند اجتماعهم به وجَّهوا له سؤالاً معروفاً بصعوبته بين علماء اليهودية وطلبوا منه حكم الشريعة فيه، ولكن بعل شم طوب أجاب على سؤالهم بقوله: «لا أنا ولا أنتم بحاجة إلى حكم مثل هذا...»[٣].

وكان بعل شم طوب قد طلب الانضمام إلى مجموعة من اليهود أطلقوا على أنفسهم «الإخوان الحسيديم»[٤]، وكان هؤلاء يشترطون على من يريد الانضمام إليهم أن يكون صاحب علم واسع بالتلمود والقبلاه معاً، وأن يقسم كذلك على ممارسة الزهد الشديد، وأن لا يدخل نفسه في مسائل التنبؤ إلى غير ذلك من شروط، ولكن طلبه رفض[٥].

---

(١) E.L. Cooper, Am Segullah. p. 78.
التفلين علبتان من الجلد توضع فيهما عبارات من التوراة وتربطان بسيور من جلد على الجبهة واليد اليسرى أثناء الصلاة (صلاة الصبح).

(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 18.

(٣) D. Ben-Amos and J.R. Mintz, (eds) op. cit. pp. 222 - 23.

(٤) كانت توجد بعض المجموعات الحسيدية الصغيرة في هذه الفترة مثل «الإخوان الحسيديم» لكنها لم تكن تكوّن حركة عامة كبيرة، وقد انصهرت هذه المجموعات كلها فيما بعد بالحركة الحسيدية التي نتحدث عنها.

(٥) E. Wiesel. Souls on Fire, p. 18.

وقد استقر المقام ببعل شم طوب في بلدة ميدزيبوج Medzibozh في مقاطعة بودوليا نفسها حيث بقي فيها حتى وفاته. وفي هذه البلدة ازدادت شهرته والتف حوله بعض التلاميذ الذين عرفوا بعلمهم، مثل الحاخام يعقوب يوسف هاكوهن الذي كان حاخاماً لإحدى المدن قبل أن يتأثر ببعل شم طوب ويصبح تلميذه ومن أتباعه. وقد ألف هذا الحاخام فيما بعد أول كتاب عن حياة أستاذه، وقد أصبح هذا التلميذ من مبرِّزي الحركة الحسيدية ودعاتها المعروفين. وكان من هؤلاء الحاخام «دوف بائر» الذي يعرف بالمغيد والذي خلف بعل شم طوب على زعامة الحركة. وكان من هؤلاء أخو زوجته الحاخام غرشون وغيرهم. وكان من الذين انضموا إليه مجموعة من طلاب الدراسة الدينية الذين لم يرتضوا طريقتها السائدة آنذاك.

وأخذ بعل شم طوب يلتقي تلامذته وأتباعه في كنيس خاص بهم، وكان الذين يأتون إليه ويسمعون منه يرجعون إلى أهلهم يتحدثون عما سمعوه من آراء جديدة لقيت هوىً في نفوسهم. وكان من هذه الآراء ما تضمن نقداً لبعض جوانب الحياة الدينية، وكان مما انتقده بعل شم طوب طريقة تدريس الشريعة اليهودية وكتبها، حيث رأى في طريقة التدريس جمودا وخُلُواً من الحيوية وفقداناً للجانب الروحي فيها. وقد قال في ذلك بعض الأقوال، فمما قاله: «إن هذه الطريقة لا توفر حياة روحية لليهود، ولا شيئاً يرتبط بالشعور والعاطفة اللذين يحتاجهما الإنسان».

ومن أقواله كذلك: «إن دراسة التلمود هي طريقة واحدة من طرق عدة توصل إلى الخالق»[1]. وقال أيضاً: «إن العلم ليس هو الطريق الوحيد إلى الله، بل وليس هو أحسن الطرق». وأكَّد بعل شم طوب كذلك على الجانب العاطفي وأعطى له أهمية ومما قاله في ذلك: «إن الله لا يُعرف بالعقل بل يعرف بالقلب».

وقد حثَّ أتباعه على أن يكونوا سعداء متفائلين وقال لهم: «إن السعادة هي النظرة التي يجب أن يتبناها اليهودي نحو الحياة ليس في الصلاة حسب ولكن في كل لحظة من حياته»[2]. ومن جانب آخر كرّه لهم الحزن والكآبة

---

(١) Z. M. Schachter and E. Hoffman, Sparks of Light, pp. 19 - 20.

(٢) A. Rubinstein (ed.) Hasidim, p. 17.

واعتبرهما شيئين لا يمكن أن يُعبد الله معهما. فمن أقواله: «إن الحزن والندم يبعدان عن الينبوع الإلهي»[1]، وإن الإنسان لا يمكن أن يعبد الله بكآبة وحزن لأنه إذا كان واعياً لقرب الله وحبِّه فلا بدَّ وأن يشعر بأنه سعيد، حتى بالنسبة إلى التوبة من الذنوب فإن الإنسان يجب أن لا يفكر حولها كثيراً. إذ أنها حيل وحبائل شيطانية تمنع الإنسان من أن يكون قرب الإله ولدى الحضرة الإلهية، وليس من الضروري الإكثار من التوبة عما نقترفه من ذنوب، وعلى الإنسان أن لا يلوم نفسه حتى لو اقترف أسوأ الذنوب لأن ذلك يقوده إلى مستنقع الانقباضية، وعليه أن يبين إخلاصه برجوعه السريع إلى تجديد حماسه لخدمة الإله وعبادته[2].

وقال أيضاً لماذا ينظر الإنسان إلى جانب الشرّ وحده إذ أن الله لا ينظر إلى ذلك الجانب فقط. وقال عن المذنبين بأن الله يقيم بينهم. وبسبب نظرته هذه إلى المذنبين فإنه كان ينتقد الواعظين الذين يصفون جهنم وعذاباتها وما فيها من وسائل تعذيب للناس. وقد قال في حق هؤلاء: «الويل لهؤلاء الذين يتجرأون ويتكلمون بالشرِّ عن اليهود، ألا يعلمون بأن أيّ يهودي يتفوه بصلاة قصيرة في نهاية اليوم فإنه يؤدي عملاً عظيماً يجعل الملائكة تسجد له احتراماً وإجلالاً»[3]. ولما كان بعل شم طوب قد أكد على السعادة والتفاؤل فقد شجع على الأغاني والموسيقى والرقص وأعطاها أهمية ودوراً في العبادة، ومن أقواله في هذا الخصوص: «إن لحناً واحداً قد يحتوي على سعادة الدنيا كلها، وأنّ الله يسمع لراعي الغنم الذي ينفخ بالناي كما يسمع للقديس المتجرد لعبادته»[4]. ويرى بعل شم طوب بأن الإنسان يمكنه أن يطرد الأفكار الشريرة بواسطة الرقص والأغاني[5]. وسنتحدث عن موضوع السعادة فيما بعد.

ومن تعاليم بعل شم طوب أنه لم يشجع على الصيام الكثير ولم يحبذه، وقد قال في ذلك: «إن الصيام الكثير وتعذيب النفس ليس بالشيء المرغوب فيه، وإنه من الأفضل للإنسان أن يستمتع ببركة الإله وفضله، وإن المتع

---

(١) Z. M. Schachter and E. Hoffman, op. cit. p. 20.
(٢) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 36.
(٣) Ibid, p. 37.
(٤) E. Wiesel, Souls on Fire P. 26.
(٥) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 36.

المادية لا يصح أن ترفض إذ أن الجسم يجب أن يكون قوياً لعبادة الإله، لذلك لا يجوز للإنسان أن يضعفه.

وعندما علم بأن تلميذه يعقوب يوسف يصوم كثيراً كتب له رسالة نهاه فيها نهياً شديداً عن الصوم الكثير وقال له بأنه يعرض نفسه للخطر، وأن ما يقوم به يدل على اليأس والحزن، وأن عليه أن يصوم فقط ما هو واجب في الشريعة(١).

وأكد بعل شم طوب على التواضع وجعل له أهمية خاصة، حيث يرى بأن الإنسان الذي يبدي خضوعه لله وحده فإنه هو الإنسان الحر(٢)، بل إنه اعتبر التواضع ركيزة مهمة في تكوين الإنسان وقد قال في ذلك: «إذا كان الأساس معيباً فإن البناء كله يسقط، كذلك إذا كان أساس الإنسان معيباً بالتكبر فإن كل أعماله الطيبة تكون مبنية على أساس واهٍ»(٣).

ومن آرائه التي كان لها تأثير على اليهودي العادي هو تأكيده على أن تكون لهذا الإنسان مكانة، فهو لا يختلف عن الآخرين في قدرته على الوصول إلى المستوى الروحي المطلوب، إذ أن البشر كلهم سواء في هذه القدرة، وقال: «إن كل إنسان منا قادر على أن يصل إلى أعلى مراحل المستوى الروحي، وإن أبواب السماء كلها مفتوحة حولنا»(٤).

وقد جعل من مهمته في هذه الحياة أن يُري الناس الطريق إلى وجوب محبة اليهود، وقد قال لقد جئت إلى هذا العالم لأُري الناس كيف يجعلون تطبيق المبادىء الثلاثة هدفهم في هذا العالم، وهي: «حب الله، وحب اليهود، وحب التوراة.»

بل لقد نسب إليه بعض الباحثين اليهود رأياً في حق اليهود له نتائج اجتماعية خطيرة وهو قوله: «إن اليهود الذين يذنبون إنما يذنبون من أجل غاية سامية وغرض مقدس، كمساعدة بناتهم في الزواج من العلماء، أو من أجل

---

(١) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 28.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 26.
(٣) E.L. Cooper, Am Segullah, p. 70.
(٤) Z.M. Schachter and E. Hoffman, Sparks of Light, p. 25.

أن يكون أبناؤهم رحماء بالآخرين، أو من أجل أن يجعلوا أبناءهم متمكنين من إعطاء الصدقة. ثم يضيف إلى ذلك: إن هذا العمل (أي اقتراف الذنب) ليس باختيارهم. ويعلّق هذا الباحث على هذا القول بقوله: إن هذا تطبيق لمبدأ «الغاية تبرر الواسطة»[1].

وقد ذكر بعل شم طوب أنه رأى بعض الرؤىٰ حيث حلّقت روحه فيها إلى العوالم العليا، وهو يذكر اثنتين من هذه الرؤى: إحداهما وقعت عام ١٧٤٦ م والثانية في عام ١٧٤٩ م، وقد كتب إلى أخي زوجته يتحدث له عنهما، ومما قاله له عن الرؤيا الأولى: «لقد شعرت بتسامي روحي وصعودها، وقد رأيتُ أشياء عجيبة ورائعة لم أر مثلها في كل حياتي، ولا يمكن للكلمات أن تعبر بشكل صحيح عما رأيت وتعلمت، حتى لو تحدثت لك بها وجهاً لوجه» ويستمر في الحديث عنها ويذكر له بأن الشيطان قد اعترض طريقه لكنه تخلص منه. ويذكر له كذلك لقاءه بالمسيح المخلّص الذي سأله عن وقت ظهوره حيث أخبره المخلص بأن ذلك سيكون بعد انتشار أفكاره بين الناس (أفكار بعل شم طوب)، ثم يقول لأخي زوجته بأنه تعلّم ثلاثة أسرار وثلاثة أسماء خاصة خفية ولكنه لم يؤذن له بالكشف عنها.

ويقول عن الرؤيا الثانية بأنه اطّلع على اتهامات ضد اليهود حيث كان المَلَك سمائيل (عدو اليهود) قد أخذ الإذن بتحطيم الجاليات اليهودية، ولكن بعل شم طوب صلّى كثيراً وعرض أن يَفْدي نفسه من أجل ذلك، وقد قبلت صلاته وأُلغي الاتهام ضد اليهود[2].

وتوفي بعل شم طوب عام ١٧٦٠ م، وعندما حان وقت وفاته أعطى تعليمات خاصة لأتباعه حول كيفية دفنه، وقد طلب منهم وهو على فراش الموت أن يغنُّوا له، وعندما رأى المحيطين به يبكون قال لهم: «لماذا أنتم تبكون، أنا لست آسفاً على نهايتي لأنني أعرف جيداً بأنني أخرج من باب وأدخل في باب آخر»[3].

---

(١) S. Dubnow, the Beginning: The Baal Shem Tov (Besht) and the Centre in Podolia, in E.D. Hundert (ed.) Essential papers on Hasidism, p. 41.

(٢) S. Dubnow, the Beginning, the Baal Shem Tov (Besht) and the Center of Podalia, in E.D. Hundert (ed.) Essential papers on Hasidism, pp. 37 - 38.

(٣) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 37.

ويروي الحسيديم بأنه عندما خرجت روحه لوحظ بأن الساعتين اللتين في غرفته قد توقفتا[١]. وقد خلّف بعل شم طوب ابناً وبنتاً، ولم يكن ابنه متميزاً بعلم أو ذكاء. ولم تعرف لبعل شم طوب صورة، ولم يترك مؤلفاً، بل إنه رفض أن تكتب تعاليمه، وقد انزعج انزعاجاً شديداً عندما علم بأن أحد أتباعه يكتب تعاليمه ويريد أن يجمعها، وقال: «لا يجوز للإنسان أن يكتب التعاليم الجديدة التي يأتي بها، لأنه ليس كل تعاليم جديدة يجوز أن تكتب...»[٢] وبعد وفاته رويت عنه روايات وقصص كثيرة جداً حتى قيل بأنه لم ترو قصص في التاريخ اليهودي عن شخص بعد النبي موسى كما رويت عن بعل شم طوب.

ويعتبر الحسيديم بعل شم طوب رجلاً متميزاً في الصلاح والتقوى، حتى قالوا عنه بأنه لو كان قد عاش في زمن الأنبياء لكان واحداً منهم، ولو كان في زمن الآباء (ابراهيم وإسحق ويعقوب) لكان واحدا منهم كذلك، وقالوا عنه أيضاً بأنه كان يُكشف له في كل يوم سبت أسرارٌ جديدة[٣] وليس هناك سرٌّ لم يكشف له[٤] وهو مخلوق من عالم الروح فقط دون عناصر مادية. وقال أحد زعماء الحسيديم: «إن روحاً مثل روح بعل شم طوب لا تنزل إلى الأرض إلا مرّة واحدة في كل ألف سنة»[٥].

ونسبوا كذلك إليه التمتع بقوى خارقة، فقالوا بأنه كان يفهم لغة الطير والشجر، وكان له القدرة على التنبؤ بالمستقبل والتخاطر، بل ورؤية ما وراء الطبيعة، والاتصال بالأرواح والتحاور معها[٦].

وقد أُلّفت عن بعل شم طوب عدة كتب، منها كتاب «كتر شم طوب» (تاج الاسم الطيب) وكتاب «شبحي هابشط» (مدائح بعل شم طوب) وهذا الكتاب هو أشهرها وأكثرها انتشاراً بين الحسيديم. وقد ألّفه تلميذه

(١) S.A. Hordezky. Leaders of Hasidism, p. 12.
(٢) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 44.
(٣) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 39.
(٤) S.A. Horodezky, op. cit. p. 8.
(٥) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 79.
(٦) B. Safran, Continuity or Innovation, p. 8.

يعقوب يوسف هاكوهن الذي ذكرناه سابقاً. ويبدو أن من أسباب انجذاب اليهود لبعل شم طوب والتفافهم حوله وتعلّقهم به أنه كان رجلاً من عامة الناس، لم يدّع بأنه منحدر من عائلة معروفة، أو أن عائلته من طبقة اجتماعية متميزة، كذلك لم يتخذ لنفسه لقباً، ولم يكن عنده أصدقاء من أصحاب الحكم والتأثير، ولم يكن هو نفسه غنياً، ولم يحاول أن يصبح كذلك، بل إنه لم يدع حتى العلم. وهذه لا شك كانت من أسباب انتشار حركته بين اليهود وقبولهم لها.

وربما لم يكن بعل شم طوب ليحقق ما حققه من نجاح لو كان من عائلة حاخامية معروفة بالعلم أو متميزة بالثراء، فقد جعله أصله المتواضع قريباً من العامة، خاصة وإنه لم يفرق بين الناس، إذ كان يقول لهم بأن كل واحد منهم له دور في قَدَر الناس ومصيرهم حسب قدرته وإمكانيته[١].

وعند وفاة بعل شم طوب كان الحسيديم قد كثروا وانتشروا في عددٍ من الأقاليم الأوروبية، وأخذ الاسم «حسيديم» يطلق منذئذٍ على أتباع هذه الحركة، وأصبح عَلَماً عليهم.

وقد خلف بعل شم طوب مجموعة من التلاميذ اختلف المؤرخون في عددهم، ولكن مؤسس الحركة كان قد اختار واحداً من تلامذته ليخلفه في زعامة الحركة، وهو دوف بائر (ت ١٧٧٢ م). وكان هذا التلميذ قد عرف بكونه عالماً بالتلمود وبعلم القبلاه، وشُهر كذلك بالوعظ والخطابة، ولذلك سمي بالمغيد (الواعظ). وكان يقول بأن أستاذه بعل شم طوب قد علمه لغة الطير والشجر، وعلمه أسماء الله المقدسة، وغير ذلك من أسرار[٢]، وعلى الرغم من أنه كان مريضاً شبه مقعد إلا أنه كان ذا نشاط كبير في تطوير الحركة الحسيدية، حيث ثبَّت من أقدامها ووسع من نشاطها وزاد من عدد أتباعها. فقد كان يرسل الدعاة إلى القرى والمدن يدعون اليهود إلى الانضمام إلى الحركة واعتناق أفكارها وزيارة زعيمها.

وكان المغيد قد أضفى على نفسه نوعاً من الخصوصية والتفرد، حيث

(١) E. Wiesel, Souls on Fire P.25.

(٢) S. Dubnow, the Maggid of Miedzyrzecz, His Associates and the Centre in Volhynia (1760 - 1772) in G. D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism p. 62.

انعزل عن الناس ولم يكن يلتقي أتباعه ـ عدا المقربين منه ـ إلا يوم السبت، وكان طيلة كل سبت يعزل نفسه في غرفة صغيرة لوحده، ويشيع أتباعه عنه بأنه على صلة دائمة بالعالم السماوي أثناء العزلة[١]. وأخذ الكثير من الحسيديم يفدون عليه يوم السبت لزيارته والاستماع إلى أحاديثه. وكان المغيد يظهر لهؤلاء القادمين الجدد لابساً قفطاناً أبيض وحذاء أبيض، بل حتى علبة السعوط كان لونها أبيض، وقد جعل بسلوكه هذا قدسية للزعيم الروحي للحسيديم. وكان يكرر عبارة التوراة «الصديق هو أساس العالم»[٢]، وأصبحت كلمة «صديق»[٣] منذئذٍ تطلق على كل زعيم روحي للحسيديم .وقد وصف المغيد الصديق بأنه مثل الشجرة التي تنتج الثمر وتملأ رائحتها الطيبة الهواء، بل إن أفعاله لها تأثير على السماوات والأرض، وأصبح الحسيديم ينظرون إلى الصديق نظرة خاصة ومتميزة. وسنتحدث عن أهمية الصديق ومكانته عند الحسيديم فيما بعد.

وبعد وفاة المغيد انتهت القيادة الموحدة للحركة الحسيدية إذ اتخذ كل واحد من تلامذته مقراً خاصاً به، حيث التف حوله مجموعة من التلامذة والأتباع، فازداد الحسيديم وكثر عددهم حتى قيل بأن عدد الحسيديم قد أصبح نصف عدد اليهود في أوروبا الشرقية (سابقاً) بعد نصف قرن من وفاة بعل شم طوب. وربما يؤيد هذا ما ذكره ثيودور هرتزل في مذكراته فيما بعد حيث جاء في مذكراته في ٨ مايو عام ١٨٩٦ م قوله: «إن الحسيد هارون ماركوس (من غاليسيا) يكتب لي رسالة حميمة يذكر فيها إمكانية تأييد ثلاثة ملايين من حسيدي بولندا لحركتي، وردّي على ذلك بأني أرحب كثيراً بتعاون اليهود الأرثوذكس بشرط أن لا تكون هناك دولة دينية»[٤].

---

(١) H. Graetz, Popular History of the Jews vol. 5, pp. 342 - 343.

(٢) Ibid, vol. 5, p. 343.

(٣) كلمة «صديق» (بدون تشديد الدال) مشتقة من الجذر العبري «صدق» الذي يدل على الصلاح والتقوى والعدل وتنطق كلمة صديق عند اليهود «تصديق» مع ميل الصاد إلى الزاي وتجمع بالعبرية على «صديقيم». وأصبح الاسم «صديق» يستعمل عند الحسيديم للدلالة على المرشد الروحي لهم وبهذا المعنى سنستعمل هذا الاسم وجمعه في الكتاب.

(٤) R. Patai, (ed.) The Complete Diaries of Theodor Harzel, vol.1, p. 347.




طابع أصدرته إسرائيل عام ١٩٦٠ م بمناسبة مرور مئتي سنة على ولادة «بعل شم طوب» والطابع يحمل صورة «بيت هامدراش» الذي كان يصلي فيه مؤسس الحركة الحسيدية.

# الفصل الثاني

# النزاع بين الحسيديم واليهود الآخرين

- الحسيديم والمتناغديم
- الحسيديم وأتباع حركة الهسكلاه

على الرغم من النجاح الكبير الذي حققته الحركة الحسيدية فإنها لاقت معارضة شديدة من قبل اليهود الآخرين متدينين وعلمانيين. أما اليهود المتدينون فقد وجدوا في ظهور هذه الحركة وما تنطوي عليه من أفكار تهديداً لليهودية التقليدية التي سار عليها اليهود قروناً طويلة، حيث اعتقدوا أن ما يروِّج له الحسيديم ويدعون له إنما هو بِدعة في اليهودية وانحراف عنها، كما في نظرتهم إلى الصلاة وإلى الصوم والدراسة التلمودية، ونظرتهم إلى مرشدهم الروحي التي تصل حدّ التصنيم في نظرهم. واتهموا كذلك بعض زعماء الحسيديم بأنهم يتبعون سرّاً الحركة الشبتائية[1]، وقد ظهر كل هذا في الردود التي كتبوها ضد الحسيديم، وقد أُطلق على هؤلاء المعارضين اسم «المتناغديم» ومفرده «متناغد» ويعني «معارض»، وما زال الاسم «متناغديم» مستعملاً إلى اليوم في مقابل «الحسيديم».

أما اليهود العلمانيون من أتباع الهسكلاه (حركة التنوير اليهودية) فإنهم اتهموا الحسيديم بالرجعية والتخلف وإرجاع اليهود إلى الوراء. وفي الصفحات التالية سنتحدث بشيء من التفصيل عن هؤلاء وأولئك.

---

(١) تنتسب الحركة الشبتائية إلى شبتاي صبي الذي ظهر في القرن السابع عشر، وادعى كذباً بأنه المسيح المخلص لليهود. ولقد كان لدعوته تأثير كبير على اليهود في العالم حتى بعد انكشاف كذب دعوته. وبعد وفاته ظلّت مجموعة من أتباعه تؤمن به، ولكن لم يبق منهم اليوم إلا فرقة أطلق عليها «فرقة الدونمة» (راجع عن ذلك كتابنا: فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام).

## الحسيديم والمتناغديم

كانت معارضة اليهود الأرثوذكس (غير الحسيديم) للحركة الحسيدية قد بدأت في الوقت الذي ما زال مؤسسها على قيد الحياة، حيث اجتمع عدد من الحاخامين الكبار في مدينة برودي Brody في بولندا لإصدار قرار طرد (حرم) بحق مؤسس الحركة الحسيدية، ويقال بأن هذا الطرد كان قد صدر عام ١٧٥٧ م وإن لم يوافق عليه كل الحاخامين المتناغديم[١]. ولكن الحركة الحسيدية استمرت في انتشارها وتأثيرها على اليهود، وبدأ الحسيديم باتخاذ أماكن عبادة خاصة بهم ومنفصلة عن بقية اليهود الآخرين، حتى أخذوا يهدِّدون بقية اليهود الأرثوذكس في بولندا وغيرها.

ولما شعر الحاخام الأكبر لبولندا الغاءون إلياهو بن سلومون (ت ١٧٩٨ م) بخطر الحركة الحسيدية وتأثيرها أصدر عام ١٧٧٢ م قراراً بطرد الحسيديم من اليهودية. وقد اعتبر هذا القرار الحسيديم فرقة مارقة عن اليهودية بل وفرقة كافرة، وقد دعا كذلك إلى القضاء على الحسيديم وتحطيم ممتلكاتهم. وقد قال الحاخام الأكبر يومها: «لو كانت لي القدرة لعاقبت هؤلاء الكفار كما عوقب عبدة البَعْل في قديم الزمان»[٢] ويقال بأن قرار الطرد هذا قد أثر على صحة «المغيد» خليفة بَعْل شم طوب[٣].

وبعد صدور قرار الطرد وزَّع هؤلاء اليهود منشوراً على الجاليات اليهودية في بولندا وليتوانيا وروسيا البيضاء وغيرها جاء فيه: «إلى إخواننا اليهود: لا شكَّ أنه قد وصل إلى علمكم الخبر الذي لم يسمع به أباؤنا حتى في الحلم، وهو ظهور فرقة المشبوهين[٤] التي يجتمع أفرادها سوية، ويؤدون صلاة محرَّفة عن النصوص الصحيحة التي يعتمدها عامة اليهود، ويقحمون في الصلاة كلمات بغيضة وغريبة، ويرفعون أصواتهم، ويدورون حول أنفسهم مثل المجانين، وهم يقولون إنهم بهذا تصعد أفكارهم إلى العوالم العليا. وقد أهمل هؤلاء دراسة التوراة، وهم لا يترددون في القول بأن اليهودي لا يجب عليه أن يدرس كثيراً من العلم، وليس عليه أن يندم كثيراً على اقتراف الذنب،

---

(١) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 24.

(٢) H. Robinowicz, the world of Hasidism, p. 60.

(٣) A. Rubinstein (ed.) Hasidism, p. 27.

(٤) إمعاناً في الإهانة فقد أطلقوا على الحسيديم كلمة «حشوديم» التي تعني «مشبوهين».

بل ويؤكدون على ذلك. وهم عندما يصلون طبقاً لنصوص كاذبة فإنهم يحدثون جَلَبة تهتز منها الحيطان، بل إنهم يجعلون رؤوسهم إلى الأسفل وأرجلهم إلى الأعلى لعدة مرات.

لذلك فإننا نعلن لإخواننا اليهود رؤساء الجماعات اليهودية القريبين والبعيدين أن يتسلّحوا بالإيمان في سبيل الربّ، ليستأصلوا شأفة هؤلاء ويحطّموهم ويطردوهم، ونحن بعون الله قد قضينا على شرورهم، وكما فعلنا هنا فإنه يجب أن يجتثوا من الجذور في كل مكان، ولا تصدقوهم حتى لو رفعوا أصواتهم بمناشدتكم والتوسل إليكم، إلا إذا تابوا توبة صادقة من تلقاء أنفسهم، وإلا فيجب أن يشتّتوا في الأرض ويطردوا حتى لا يجتمع هؤلاء الهراطقة سوية، لأن تفريق جمعهم هو هدية للعالم»[١].

وقد عثر المتناغديم في إحدى المرات في مدينة «فلنا» على مخطوط حسيدي عند بعض الحسيديم، فاستصدروا أمراً من الحاخام الأكبر بحرقة، وأحرقوه أمام جمع من الناس في مكان عام. وقد أصدروا منشوراً بهذا الشأن جاء في بعضه: «لقد وجد كتاب عند أحد الحسيديم فيه دليل قاطع على مخالفتهم للشريعة اليهودية». ومما جاء فيه أيضاً: «إن هؤلاء المستلبي النفوس أناس مدمِّرون بكل معنى الكلمة، وإنهم لا يكتفون بحثّ الناس على ترك التوراة، ولكنهم كذلك يسرقون الأموال من أتباعهم الشباب، حيث تصرف (هذه الأموال) على السفر بين مدينة وأخرى، وتصرف عل طقوس العربدة»[٢].

وعندما توفي «المغيد» زعيم الحسيديم هذه السنة (١٧٧٢ م) اعتبر المتناغديم وفاته دليلاً على التدخل الإلهي من أجل حمايتهم، ودليلاً على وشك انتهاء الحركة الحسيدية وتلاشيها. وقبض المتناغديم مرةً على أحد زعماء الحسيديم وأوثق إلى خشبة ووضع بجنب الكنيس تشهيراً به أمام الناس[٣]. بل ولم يكن الكنيس يحمي الحسيديم، فقد أنزل إثنان من علماء الحسيديم من موضع قراءة التوراة في الكنيس وأهينا أمام المصلين[٤].

---

(١) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 61.

(٢) Ibid, p. 61.

(٣) S. Dubnow, History of the Jews. vol. 4, p. 406.

(٤) E.L. Cooper, Am Segullah, p. 82.

وفي غاليسيا اجتمع الحاخامون المتناغديم بعد تَلَقِّي الأمر من مدينة «فلنا» مقر الحاخام الأكبر، وأقروا أن يطرد من اليهودية كل يهودي يتبع طريقة الحسيديم في صلاتهم ولباسهم، أو يقلدهم في أشياء أخرى(١). وأخذ المتناغديم يؤلفون كتباً ضد الحسيديم.

ويعتقد بأن أول كتاب صدر ضد الحسيديم كتاب عنوانه: «زمير أرصيم وحربوت صوريم» (أغاني المشاغبين وسكاكين الصوان). وينسب هذا الكتاب إلى الحاخام داود يحزقيال (ت ١٨١٥ م)، إذ لا يوجد اسم المؤلف على الكتاب، وليس هناك اسم ناشر كذلك. وذكر المؤلف في مقدمة الكتاب بأنه تلميذ الحاخام الأكبر، وذكر كذلك بأنه يريد أن يفضح هؤلاء الحسيديم ويبين مساوءهم وعيوبهم وإجرامهم. وقد قال المؤلف عن الحسيديم بأنهم وثنيون يعبدون الإله «بعل». وقد تضمَّن الكتاب كذلك الطرد الذي أصدره الحاخام الأكبر ضد الحسيديم، وتضمَّن كذلك قرارات المقاطعة والعزل التي أصدرتها الجاليات اليهودية في مختلف بلدان المنطقة.

وقد اتهم المؤلف الحسيديم بعدة تهم: فقد اتهمهم باتخاذ أماكن عبادة خاصة بهم يصلون فيها وحدهم، وكذلك إدخالهم تغييرات على طريقة الصلاة، وإهمالهم الوقت المحدَّد لها، وعدم التزامهم به، وكذلك تغييرهم لمضمون الصلاة. واتهمهم كذلك بإبدال سكين الذبح بسكين أخرى لم يعرفها اليهود من قبل، وإهمالهم دراسة التوراة، وعدم احترامهم لعلمائها، واتهمهم أيضاً باتِّباع أفكار الحركة الشبتائية، وبالعربدة والضجيج في اجتماعاتهم حيث يعتبرون ذلك سروراً وسعادة، واتهمهم بالطمع وتضييع أموال اليهود وتغيير لباسهم والتدخين الكثير إلى غير ذلك من تهم(٢).

وقد نبَّه المؤلف الحاخامين المتناغديم بأنه في الوقت الذي ظهرت فيه الحركة الحسيدية ظهرت أيضاً حركة الهسكلاه اليهودية، التي قال المؤلف عن أتباعهم بأنهم يريدون تحطيم الدين والقضاء عليه. وأن الخرافات ورفض

(١) S. Dubnow, History of the Jews, Vol. 4, P. 406.

(٢) ML. Wilensky, Hasidic - Mitnaggedic Polemics in Jewish Communities of Eastern Europe: The Hostile Phase, in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, p. 247.

العقيدة قد ظهرا في وقت واحد ضد اليهودية التلمودية. ودعا المؤلف إلى مجابهة قومية منظَّمة من قبل كل اليهود دون تأخير.

وعند صدور الكتاب اشترى الحسيديم كل النسخ التي عثروا عليها إلا بعض النسخ التي وصلت إحداها إلى فلسطين والأخرى إلى بريطانيا، ومنهما طبع الكتاب مرة أخرى عام ١٩١٨ م[١]. وأثناء ذلك اتخذت إجراءات كثيرة ضد الحسيديم حيث أُجبر بعض زعمائهم على مغادرة المدن التي كانوا فيها إلى مدن أخرى، وقد منعت بعض الجماعات اليهودية الحسيديم من الاجتماع يوم السبت في أماكن عبادتهم. ولما اشتد الضغط وازداد على الحسيديم قرّر أشهر زعمائهم ـ وهو مناحم مندل فيتسبك (ت ١٧٨٨ م) ـ عام ١٧٧٥ أن يذهب مع أبرز تلامذته وهو شنيور زلمان ـ الذي أصبح زعيماً فيما بعد ـ إلى الحاخام الأكبر ليقابله ويتحدث معه عن حقيقة الحركة الحسيدية وأفكارها، ويزيل بعض الشبهات عنها. ولكن هذا رفض مقابلتهما وأغلق الباب في وجهيهما، وقال بأنه لا يريد مقابلة الكفرة. ولما رجاه بعض اليهود أن يقابلهما مرة أخرى أصرّ على الرفض وغادر المدينة ولم يعد إليها إلا بعد أن خرجا منها[٢].

واضطر مناحم مندل تحت الضغط أن يغادر مدينته هو وبعض أتباعه ويذهب إلى فلسطين ويستقرّ فيها، ومن هناك أرسل رسالة إلى زعماء المتناغديم يطلب فيها منهم التوقف عن ملاحقة الحسيديم واضطهادهم، ويؤكد لهم بأن الحسيديم هم يهود مثلهم يتبعون فرائض التوراة، كما فسرها الحاخامون الأوائل، وهم لا يختلفون في ذلك عن المتناغديم. وطلب منهم أن يفتحوا صفحة جديدة معهم وأن تغفر كل طائفة ما ارتكبت في حق الأخرى. ولكن زعماء المتناغديم رفضوا ذلك؛ بل وشدَّدوا في ملاحقتهم، ووصلت هذه الملاحقة إلى فلسطين[٣].

وعلى الرغم من كل ما كان يقوم المتناغديم ضد الحسيديم فإن هؤلاء

---

(١) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman of Laidi, p. 218.

(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism p. 62 and D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 25.

(٣) E.L. Cooper, Am Segullah, p. 84.

دافعوا عن أنفسهم وردُّوا على معارضيهم بطرق مختلفة، فقد أحرقوا بعض كتب المتناغديم، وكتبوا عدداً من الكتب للدفاع عن أنفسهم والرد على معارضيهم، وكان من الكتب المهمة بهذا الخصوص كتاب كتبه تلميذ مؤسس الحركة يعقوب يوسف هاكوهن (ت ١٧٨٢) - الذي ذكرناه سابقاً - عنوانه «تولدوت يعقوب يوسف» (تاريخ يعقوب يوسف). وعلى الرغم من أن الكتاب لم يقصد منه أن يكون كتاباً مخصصاً للرد على المتناغديم، إلا أنه ضمَّ بين دفتيه دفاعاً حاراً عن الحسيديم والأفكار الحسيدية ومؤسسها بعل شم طوب، بالإضافة إلى نقد شديد وقاس موجه ضد المتناغديم وهجوم عنيف عليهم. ومن جملة ما قال: «إنه من الضروري تحطيم قلعة الحاخامية والقضاء عليها». وقال عن حاخامي المتناغديم بأنهم: «ثعالب صغيرة تخرِّب الأرض وتعيث فيها فساداً» وقد اتهمهم بالسفسطة وحب الدنيا، واتهمهم كذلك بانعزالهم عن الناس وتعاليهم عليهم. وقال بأن دراستهم ليست من أجل الله، وإنما هي من أجل التباهي وحب الظهور والحصول على مراكز. وقال عنهم كذلك: «إن هؤلاء كلما كثر ذهابهم إلى اليشيفاه (المدرسة الدينية) كلما كثر ابتعادهم عن الله»، وقد اتهم حاخامي المتناغديم كذلك بأنهم أناس يهتمون بالجدل العقيم الذي لا طائل من ورائه.

ومن جانب آخر فإن الكتاب يصوِّر بعل شم طوب على أنه رجل قدِّيس، ومعلِّم لليهود، وصاحب علم ومعرفة، وليس رجلاً جاهلاً ادّعى الكرامات والأعمال الخارقة، كما يقول المتناغديم[١].

وبعد صدور هذا الكتاب أصدر الحاخام الأكبر إلياهو بن سلومون عام ١٧٨١ م قراراً ثانياً بطرد الحسيديم من اليهودية، وقد اتسم الطرد هذه المرة بلغة عنيفة تحريضية، وقد جاء فيه: «إن على بني إسرائيل أن يطردوهم (الحسيديم) ويلاحقوهم، ويضطهدوهم، وينكلوا بهم، وأن يجتثوا أصولهم، ويحطِّموا ممتلكاتهم[٢].

وإن هؤلاء يجب أن يغادروا جماعتنا مع أولادهم ونسائهم، ولا يجوز

---

(١) Ibid, pp. 83 - 84.
(٢) E.L. Cooper, Am, Segullah, p. 84.

لأحد أن يضيّفهم حتى ولا ليلة واحدة، وما يذبحونه حرام، والتعامل معهم والزواج منهم حرام، ولا يجوز مساعدتهم حتى في دفن موتاهم[١].

وكان أحد حاخامي المتناغديم الكبار قد طالب بإصدار قرار طرد أشدّ قسوة وأكثر تأثيراً، وطلب أن يصاحب هذا الطرد إشعال شموع سوداء، ونفخ بالبوق[٢]، وأن يشمل هذا الطرد ليس الحسيديم وحدهم بل كل من يتعاون معهم من اليهود[٣].

وقد أُرسِل رسولان لإبلاغ هذا الطرد إلى الجماعات اليهودية في مناطق الحسيديم، ووزِّع اليهود المتناغديم منشوراً على الجاليات اليهودية جاء فيه:

«إنه بسبب كثرة ذنوبنا فإن جماعة داعرة حقيرة يسمون أنفسهم حسيديم تركوا الجماعة اليهودية، وجعلوا لأنفسهم أماكن أسموها أماكن عبادة. بينما يعلم الناس كلهم أنهم يؤدون العبادة بطريقة جنونية، إذ هم يتبعون شعائر مختلفة لا تتفق مع توراتنا المقدَّسة، ويسلكون طريقاً لم يعرفها آباؤنا. وإلى جانب هذا فإن مؤلفات زعمائهم لسوء الحظ قد طُبعت حديثاً، وإنه من الواضح لنا بأن كتاباتهم تعارض توراتنا المقدسة، وتحتوي على تفسيرات مضلِّلة، وإن المبالغات وقصص المعجزات التي تذكر في كتبهم هذه إنما هي كذب واضح بيّن. وإننا نعيذ أنفسنا أن نصدِّق هذه المبالغات. ونتيجة لسوء الطالع فإن ناراً قد اشتعلت في وسط اليهود، حيث ترك مجموعة من اليهود الفرائض والواجبات التي فرضتها التوراة. وقد اتفقنا نحن الموقعين أدناه على أن تتخذ كل جالية يهودية بشكل عاجل إجراءات صارمة تطبق معها كل ما يمكن من أنواع القصاص من أجل أن تكون الإجراءات الوقائية والدفاعية التي نذكرها ذات أثر فعَّال. وهذه التفاصيل يجب أن تذكر في سجل كل جالية يهودية وفي سجل كل مدينة، من أجل أن تكون هذه إدانة (لهؤلاء)، وتذكاراً لأجيال المستقبل، ومن أجل أن يحترس إخواننا من التقاليد والعادات الشريرة للحسيديم.

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Hasidism.**

(٢) إشارة إلى أن ظهور الحسيديم هو كارثة أصابت اليهود.

(٣) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 147.

وفيما يلي الإجراءات التي أقرت في اجتماعنا وهي:

١ ـ يعيَّن يوم ١٥ من كانون الثاني من عام ١٧٨٧ يوم صيام وصلاة عامة.

٢ ـ يجب أن تتخذ كل الإجراءات الممكنة من أجل وضع حدّ لاجتماعات هؤلاء الهراطقة في الصلاة في كل الجاليات اليهودية، حتى يحرم هؤلاء من إمكانية الاجتماع سوية.

٣ ـ يجب أن تكون هناك مراقبة شديدة حتى لا يقرأ أحد (من اليهود) أدبياتهم، ويجب أن تكون هناك حملات تفتيش من أجل هذا الغرض.

٤ ـ نؤيد تماماً تنفيذ القرارات التي اتخذتها مدينة «برودي» و «فلنا» التي تمنع الزيارات لزعماء هذه الجماعة وتحظرها.

٥ ـ إن ما يذبحه قصابو هؤلاء الجماعة لا يجوز أكله، وإن الحيوانات التي يذبحونها يجب أن تعتبر جِيفاً وميتة. وإن الأدوات المستعملة في هذا الذبح تعتبر نجسة ولا يجوز استعمالها، وكل لحم يُؤتى به من مدينة أخرى يعتبر ميتة، إلا إذا كان معه وثيقة من شخص (يهودي) ليس من جماعة الحسيديم.

٦ ـ يجب أن يُعين مشرفون في كل مدينة ليتأكدوا من أن ما ذكر أعلاه يطبَّق عملياً.

٧ ـ لا يجوز لأي فرد أن يحمي أي واحد من أتباع هذه المجموعة.

٨ ـ لا تقبل شكوى أي واحد من هؤلاء الحسيديم ضد أي شخص من المتناغديم في محكمة يهودية، ولا يجوز لأية جالية يهودية أن تجعل أي أحدٍ منهم منشداً (في كنيس) أو حاخاماً، ومن الطبيعي أن لا يسمح لأحد منهم أن يدرِّس أبناء اليهود.

٩ ـ ويجب أن يعلن في كل الجاليات اليهودية أن من يعرف أي شيء جيد أو غير جيد حول الحسيديم عليه أن يأتي بالمعلومات إلى المحكمة»[1].

وفي هذه الفترة وزع المتناغديم ورقات عُرفت بـ «تعليقات الحاخام

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 63ff.

ليب ملامد البرودي». وقد ضمَّت هذه الورقات فيما ضمَّت دعوة اليهود إلى إدخال الممارسة الجنسية في العبادة بصورة عامة والصلاة خاصة. ويقول المتناغديم إن مؤلف هذه الورقات كان حسيدياً، بينما نفى الحسيديم نفياً قاطعاً أن يكون مؤلفها منهم، بل وأنكروا معرفتهم بهذا الحاخام. ويرى بعض الباحثين أن المؤلف ربما كان ينتمي إلى جماعة يعقوب فرانك الذي كان يدعو إلى الإباحية الجنسية[١].

ويعتقد البعض أن المؤلف كان من جماعة من الحاخامين تعمل سرّاً على تغيير الشريعة اليهودية بشكل جذري، وإنما لم يحاربهم المتناغديم لأن اهتمامهم كان منصباً على محاربة الحسيديم بصورة كلية[٢].

وفي عام ١٧٩٤ م أُحرق كتاب «تولدوت يعقوب يوسف» الذي مرّ ذكره، وأُحرق كذلك كتاب «شبحي هابشط» وقد أُحرق هذان الكتابان عند كنيس مدينة «فلنا» وأمام الناس[٣]. وفي هذه السنة أصدر زعيم الحسيديم شنيور زلمان كتابه الشهير «تانيا». فحصل المتناغديم على نسخة منه وزوّروها وحرفوا عباراتها، حيث أصبحت دلالات هذه العبارات مخالفة للعقيدة اليهودية والدين اليهودي. وقد طبعوا من هذه النسخة المحرَّفة مجموعة كبيرة وزعوها على مكتبات بيع الكتب ومعارضها. وقد اكتشف الحسيديم بضع مئات منها في معرض للكتب في مدينة ليبزج فاشتروها كلها. وكان المتناغديم قد عرضوا نسخة من هذه النسخ على الحاخام إلياهو بن سلومون، ولما اطّلع عليها اعتبر ما فيها كفراً وهرطقة، وثارت ثائرته وهاجم الكتاب ومؤلفه.

ولمَّا سمع شنيور زلمان بذلك طلب مناظرة هذا الحاخام علناً وأمام الناس. ولكن الأخير رفض الطلب وقال بأنه لا يريد أن يحاجج الهراطقة ويناظرهم. وأصدر قراراً ثالثاً عام ١٧٩٦ م بطرد الحسيديم من اليهودية.

---

(١) كان يعقوب فرانك (ت ١٧٩١ م) يهودياً من بولندا تزعم حركة صغيرة سميت بالفرانكية، وكان يتبع في البداية تعاليم شبتاي صبي، ثم تحول هو وجماعته إلى الكاثوليكية، وقد شاع عن هذه الجماعة بأنها كانت تمارس الإباحية الجنسية.

(٢) J. Dan, the Teaching of Hasidism, pp. 32 - 33.

(٣) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 64.

وبعد صدور كتاب «تانيا» تنادى بعض الحاخامين المتناغديم لتأليف كتاب حول معتقدهم وتفوقه على معتقد الحسيديم، وصدر الكتاب بعنوان «لكح طوب» (التعاليم الثمينة)(١). وفي هذه السنة (١٧٩٦ م) تظاهر أحد الحسيديم بأنه ابن الحاخام إلياهو بن سلومون، وأخذ يسافر بين المدن والقرى ويدّعي بأن الحاخام قد ندم ندماً شديداً على مهاجمة الحسيديم والتحريض عليهم وملاحقتهم، والآن هو يستغفر عما اقترفه في حقهم. وعندما سمع الحاخام بذلك حمي غضبه وأرعد وأزبد، وقال في واحدة من الرسائل التي بعثها إلى الجاليات اليهودية: «شتتوا هؤلاء المتآمرين أعداء النور وأعداء الشعب اليهودي الذين يحرفون الشريعة... الذين ينصبون شباكاً في بيت الرب... إن هؤلاء الأغبياء الذين جاءوا بهذا الشر العظيم لا بدَّ أن يعاقبوا علناً أمام الطائفة اليهودية، ويُضربوا بالعصي والسياط حتى يرجعوا إلى صوابهم، ولا يجوز لأحد أن يرحمهم أو يتصل بهم، بل لا بدَّ من طردهم من كل الجماعة اليهودية واعتبارهم أشراراً... إنه يتوجب علينا أن نأخذ الثأر لشريعة الرب... فسلّحوا أنفسكم بالحماس من أجل الرب»(٢).

وقال أيضاً: «سوف أبقى حارساً، وإنه لواجب كل يهودي مؤمن أن يلاحق هؤلاء بكل طريقة من الأذى ليقهرهم، لأن هؤلاء قد أذنبوا، وإنهم مثل وَرَمٍ في جسم بني إسرائيل»(٣). وقال في إحدى رسائله كذلك: «إن أيدي هؤلاء مُلَطّخة بدم الفقراء اليهود، لأنهم يؤيدون الأشرار والفسقة، ويساعدون المسؤولين الحكوميين والأغنياء وأصحاب السلطة(٤). وربما كانت هذه الرسالة تشير إلى الشكاوى التي يقدمها الحسيديم ضد المتناغديم عند الحكومات.

وقبل موت الحاخام الأكبر بقليل جمعت مجموعة من نسخ كتاب «تانيا»، ووضعت في باحة كنيس وأحرقت أمام جمع من الناس، وقد قال

---

(١) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, pp. 146 - 147.

(٢) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 48 and H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 64.

(٣) A. Rubinstein, (ed.) Hasidism, p. 68.

(٤) Benzion Dinur, The Origins of Hasidism and its Social and Messianic Foundations, in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, p. 137.

الذين أحرقوها بأن ذلك كان بموافقة الحاخام نفسه[١]. وعندما كان هذا الحاخام على فراش الموت عام ١٧٩٧ م قال لليهود الذين كانوا حوله: إنه يتركهم وهو نادم على شيء واحد وهو أنه لم يتمكن من القضاء على الحسيديم.

وقد أقسم أتباعه عند قبره بأنهم سينفذون رغبة حاخامهم، وقد تكونت لجنة من خمسة أعضاء يرأسها أحد تلامذته المتشدِّدين. وبدأت حملة جديدة ضد الحسيديم كان منها إصدار طرد آخر ضدهم في مدينة كراكوف (في بولندا) عام ١٧٩٧ م[٢]، وأصدروا كذلك كتاباً مهماً عنوانه «سفر ويكوح» (كتاب المجادلة) ألفه حاخام واعظ من المتناغديم اسمه إسرائيل لوبل، وقد احتوى الكتاب من جملة ما احتوى على نقد قاس ولاذع لمؤسس الحركة الحسيدية، حيث رماه بالجهل والتخلّف، ووصفه بالبئر الخالية التي ليس فيها قطرة ماء. واتهم الحركة الحسيدية بأنها حركة خارجة على اليهودية وغير ذلك من تهم كثيرة[٣]. وقد كان وقع الكتاب شديداً على الحسيديم وأثره قوياً عليهم، ولذلك اشتروا كل النسخ التي عثروا عليها وأتلفوها. ورد الحسيديم على كتاب المتناغديم هذا بكتاب عنوانه «مول مغيد فتي» (الرد على واعظ أحمق). كذلك صدر منع في مدينة «فلنا» ضد تعيين الحسيديم في أية وظيفة في الطائفة اليهودية وفي منظماتها، وقد عين مسؤولون سريون لتنفيذ هذا المنع[٤].

وفي هذا العام (١٧٩٧ م) كذلك تآمر المتناغديم على الحسيديم لدى الحكومة الروسية، واتهموا زعيمهم شنيور زلمان بعدة تهم، فألقت الحكومة الروسية القبض عليه وعلى بعض أتباعه، وأُخذ إلى العاصمة بطرسبرغ بعد أن أُفرج عن أتباعه. وكان من التهم التي وجهت إليه بأنه يتزعم فرقة دينية مضرة، غيَّرت طريقة العبادة عند اليهود، ونشرت آراء دينية كاذبة، وجمعت

(١) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, p. 145.
(٢) Encyclopaedia Judaica, **Cracow.**
(٣) S. Dubnow, the Beginnings, the Baal Shem Tov (Besht) and the Centre in Podalia, in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, p. 47.
(٤) M.L. Wilensky, Hasidic - Mitnagdic Polemics in Jewish Communities of Eastern Europe, the Hostile Phase, in Ibid. p. 249.

أموالاً وأرسلتها إلى السلطان العثماني ولكن شنيور زلمان كتب رداً طويلاً على هذه التهم وأرسله إلى قيصر روسيا «بولس الأول». وبعد فترة قصيرة من كتابة ردّه أُخلي سبيله، وكان ذلك في اليوم التاسع عشر من الشهر العبري كسلو[١].

وقد طلب شنيور زلمان من أتباعه أن يتحلّوا بالصبر ولكنهم لم يسمعوا نصيحته، حيث اشتكى مجموعة من الحسيديم مجلس الجماعة اليهودية ـ الذي كان يتكون من اليهود المتناغديم ـ إلى الحكومة واتهموه بتحويل أموال الضريبة إلى أغراض خاصة. وبسبب ذلك سجن مجموعة من زعماء المتناغديم عام ١٧٩٩[٢].

وفي عام ١٨٠٠ م اشتكى حاخام سابق اليهود الحسيديم وأرسل رسالة طويلة إلى قيصر روسيا بولس الأول، وأرفق معها بعض الوثائق، وقال في رسالته: «إن هذه فرقة خطرة ومضرة، وقد حاولت خلال مواعظي أن أُقنعهم بالرجوع عن أخطائهم واتباع الطريق الصحيح، ولكني عندما رأيت أن هذا الجهد ضائع تماماً، وعندما اطّلعت على كتبهم السرية التي حرَّفوا فيها الشريعة والحقيقة بشكل وقح، أخذتني الحيرة ولم أدرِ كيف أفسد عليهم خططهم»[٣].

ويقول الحسيديم، إنَّ ما قدَّمه هذا الحاخام إلى الحكومة من نصوص محرَّفة نسبها إلى الحسيديم هو شيء هم منه براء. ولكن الحكومة أصدرت أمراً آخر بالقبض على شنيور زلمان في نوفمبر عام ١٨٠٠ م، فأخذ مرة أخرى إلى العاصمة الروسية، وقُدِّمت له اتهامات مكتوبة، فأجاب عليها، وقد أُخلي سبيله في بداية عام ١٨٠١ م من قبل القيصر الجديد لروسيا الكسندر الأول الذي أصبح قيصراً بعد اغتيال بولس[٤].

ومن الحاخامين المتناغديم الذين اشتهروا في هذه الفترة بنقدهم الشديد للحسيديم الحاخام ديفيد يحزقيل (ماكو) (ت ١٨١٥ م) الذي قال عن بعل شم طوب بأنه كان دجّالاً يخبر عن الحظ ويتنبأ بالمستقبل من أجل المال[٥]. وقد

---

(١) N.Mindel. Rabbi Schneur Zalman of Laidi, P. 177.
(٢) H. Rabinowicz, The World of Hasidism, P. 65.
(٣) Ibid. P.65.
(٤) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman of Laidi, PP.203 - 211.
(٥) H. Robinowicz, A Guide to Hasidism, p. 17.

اتهم المتناغديم الحسيديم اتهامات خطيرة طيلة فترة النزاع، كاتهامهم بالعلاقات الجنسية غير الشرعية وباللواط كذلك.

وقد دخل نزاع الحسيديم والمتناغديم القصص الشعبي اليهودي، وأُلفت قصص كثيرة حول هذا الموضوع. ومن هذه القصص القصة التي يرويها المتناغديم والتي تذكر بأن الحاخام الأكبر ـ الذي أصدر الطرد ضد الحسيديم ـ عندما توفي لم يسمح له بدخول الجنة إلا إذا قرأ شيئاً من تعاليم الحسيديم وإلا فسيكون دخوله إليها عن طريق جهنم. ولكن الحاخام الأكبر رفض ذلك، والذي شفع له بدخول الجنة دون المرور على جهنم الكتب الكثيرة التي قرأها والتي أصبحت حاجزاً بينه وبين جهنم، ولذلك لم يمسسه أذاها[١].

بل إن الحسيديم فسَّروا بعض عبارات التوراة بتفسيرات تشير إلى المتناغديم، كتفسيرهم كلمة «الحصان» في عبارة الأمثال ٣/٢٦ «للحصان السوط وللحمار اللجام، ولظهور الجهال العصا» على أنها كناية عن المتناغديم المتعصبين الذين هم مثل الحصان الأعمى أو الهائج الذي يرفض أن يذهب في الطريق الصحيح، كذلك المتناغديم فإنهم يرفضون أن يروا الطريق الحسيدي الصحيح[٢].

وعلى الرغم من أن النزاع بين الفئتين قد اختفى أو كاد، لكننا نراه يظهر بين فترة وأخرى، وإن كان أقل تكراراً وأخف شدة.

ومن أمثلته في الوقت الحاضر ما حصل بين الحاخام الشهير أليعازر شاخ أشهر الحاخامين المتناغديم في اسرائيل بل ربما بين حاخامي اليهود بصورة عامة، وبين الحاخام مناحم مندل شنيرسون أشهر زعيم حسيدي (زعيم الحسيديم اللوبافتش) حتى وفاته[٣]. وغالباً ما يكون الحاخام شاخ البادىء بالهجوم، ولا يجد فرصة إلا استغلها. وهجومه على الحاخام شنيرسون أكثر من هجوم هذا عليه، تماماً كما كان يحدث سابقاً بين الفئتين.

وقد عُرف عن الحاخام شنيرسون أنه مولع بالحديث عن المسيح المخلِّص لليهود، وهو لا يترك مناسبة إلا وتحدَّث فيها عنه وعن قرب

---

(١) S.H. Dresner, the World of a Hasidic Master Levi Yizhak of Berditchev, p. 25.

(٢) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, p. 134.

(٣) توفي الحاخام مناحم مندل شنيرسون في ١٢/٦/١٩٩٤م.

ظهوره، بل إن أتباعه يلمحون إلى أن زعيمهم هو الذي سيكون المسيح المخلِّص، وأنه سيكشف عن نفسه يوماً ما. وهذا الادِّعاء يثير حفيظة الحاخام شاخ وغضبه، ويهاجم الحاخام شنيرسون. وقد قال عنه مرة: «إنه المسيح الكذاب الذي يجب مقاطعته». وقد هدَّد بإصدار طرد من اليهودية بحقه كما فعل أسلافه من قبل.

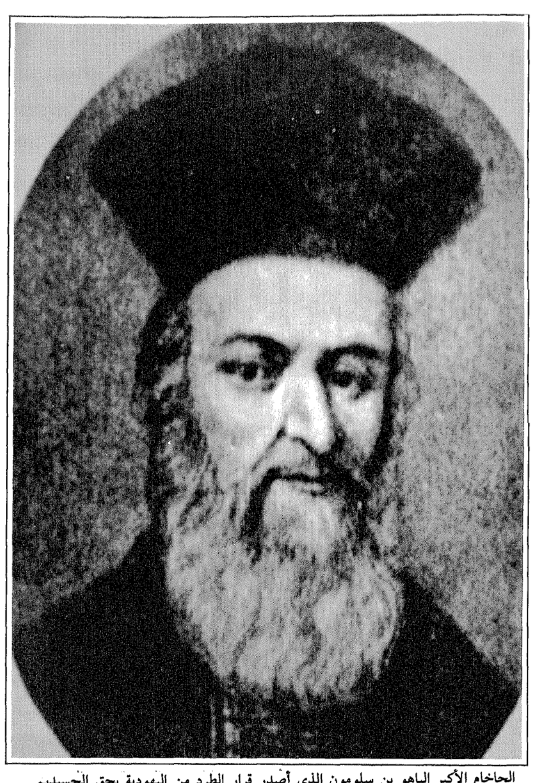
وقد انتقد هذا الحاخام أيضاً الحسيديم اللوبافتش (أتباع شنيرسون) وقال عنهم بأنهم عديمو الإحساس، وأنهم لا يختلفون عن آكلي لحم الخنزير. وقد تساءل فيما إذا كانت يهودية الحسيديم اللوبافتش تحت زعامة شنيرسون هي يهودية صحيحة. وقد نشرت صحيفة «يتدنئمان» التي يرعاها شاخ أقوالاً للحسيديم اللوبافتش تستدل بها على أن الحركة تقصد بالمخلص زعيمها دون غيره، وهي تهاجمه وتهاجم أتباعه هجوماً شديداً.

ومن مظاهر النزاع بين الاثنين أن الحاخام شنيرسون كان قد وعد في انتخابات عام ١٩٨٨ م كل يهودي بإضفاء البركة الشخصية عليه إذا صوَّت لجماعة «أغودات يسرائيل» ـ التي يؤيدها الكثير من الحسيديم، ضد حزب «ديغل هاتوراه» الذي يشرف عليه الحاخام شاخ[١]. ومن مظاهره كذلك أن الحاخام شاخ حرَّم قراءة كتب الحاخام الإسرائيلي المعروف «أدين شتاينسالتز» لأن كتبه تحتوي على هرطقة، وفيها ما لا يتفق مع معتقدات اليهودية، كما يقول ولا تنفعه التوبة عن ذلك، وهذا الحاخام ـ وهو حاصل على جائزة إسرائيل لتحريره وإشرافه على طبعة جديدة من التلمود ـ متعاطف مع الحسيديم اللوبافتش، ويشاع بين اليهود بأنه سيخلف الحاخام شنيرسون الذي ليس له أولاد ـ على زعامة اللوبافتش[٢].

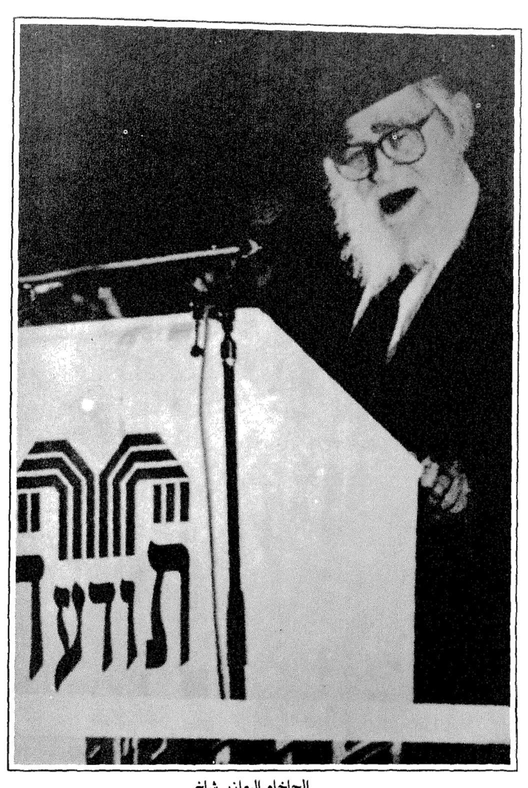
ومن مظاهر هذا العداء الذي نتحدث عنه كذلك تحريم الحاخام شاخ على طلاب اليشيفاه التي يشرف عليها قراءة أي شيء من أدبيات اللوبافتش، وإذا عثر على شيء من ذلك مع أحد الطلاب فإنه يطرد.

---

(١) Ibid.p. 80.
(٢) Ibid, p. 224.



الحاخام الأكبر الياهو بن سلومون الذي أصدر قرار الطرد من اليهودية بحق الحسيديم.



الحاخام اليعازر شاخ

## الحسيديم وأتباع حركة الهسكلاه

كانت المجموعة اليهودية الأخرى التي حاربت الحسيديم هي مجموعة من اليهود أطلق عليهم «المسكيليم»، وهم أتباع الهسكلاه، وكانت هذه الحركة علمانية في أفكارها وتوجهاتها، وقد تزامن ظهورها مع ظهور الحركة الحسيدية. وقد طالبت هذه الحركة بوجوب انفتاح اليهود على العالم، واندماجهم في مجتمع الدولة الذي يعيشون فيه لغة ولباساً وسلوكاً، وأرادوا منهم أن يكون ولاؤهم للدولة التي هم فيها. وطالبت الحركة كذلك بأن يكون تدريس الموضوعات العلمانية شيئاً ضرورياً، واعتبرت هذه القضايا من أهم الشروط لتحرير اليهود.

ويعتبر موسى مندلسون (ت ١٧٨٦ م) من أبرز علماء هذه الحركة، وأكثرهم تأثيراً، وأوسعهم شهرة. وكان مندلسون أول يهودي يقوم بترجمة التوراة إلى اللغة الألمانية، وكان الحاخامون اليهود الأرثوذكس قد حرَّموا على اليهود قراءة الترجمة وتداولها.

وقد اعتبر المسكيليم الحركة الحسيدية حركة متخلِّفة رجعية، تُرجع اليهود إلى الوراء وتُؤخِّر تطورهم، ولذلك أسْمَوا الحسيديم «أبناء الظلام»، واعتبروا أعمالهم مثيرة لسخط الناس وكرههم لليهود، بل اعتبروهم جالبي عارٍ عليهم وسرطاناً يجب اجتثاثه[١].

وكان من الوسائل التي اتَّبعها المسكيليم ضد الحسيديم إرسال بعض أتباعهم ممن تثقفوا بالثقافة الدينية وتضلَّعوا فيها إلى مراكز الحسيديم، يعيشون بينهم، ويدرِّسون أبناءهم، ويتجسسون عليهم. وكان هؤلاء يظهرون الصلاح والتقوى لكي لا يُشك في أهدافهم. وكان المسكيليم نشيطين في هذا العمل خاصة بين الأعوام ١٧٩١ ـ ١٧٩٦ م.

وكان من أشهر هؤلاء شخص اسمه سيمون زموت. وكان هذا الرجل عالماً بالشريعة اليهودية وباللغة العبرية، ومطَّلعاً على العلوم الحديثة كذلك. فأرسله جماعته إلى مدينة «فلنا» عام ١٧٩٢ م، وقد عينه اليهود الأرثوذكس

(١) R. Mahler, Hasidism and Jewish Enlightenment, p. 65.

مشرفاً على الأساتذة وعلى المدارس الدينية لما وجدوا فيه من كفاءة. ولما كان سيمون هذا يظهر الصلاح والتقوى فإن يهود «فلنا» لم يشكّوا في تدينه، بل لم يخطر على بال أحد منهم بأنه يعمل لحركة الهسكلاه.

ولأن الطلاب كانوا تحت إشرافه فقد قسمهم إلى مجموعات كل حسب ذكائه، وكان يجلب أكبر عدد من هؤلاء الطلاب الأذكياء إلى موضوعاته التي يدرسها هو من أجل أن يؤثر عليهم ويكسب ثقتهم. ومن خلال هذا فقد أقنع الكثير منهم بالذهاب إلى مدن أخرى ليتعمقوا في دراستهم وكان يختار لهم مدناً يكون لأتباع الهسكلاه تأثير فيها. وكان اليهود الأرثوذكس يعتبرون سفر الطلاب إلى مدن أخرى شيئاً طبيعياً بل مُحَبَّذاً، لما جاء في التلمود: «سافروا إلى مكان (تدرس) فيه التوراة»، حيث يكون الطالب بعيداً عن الانشغال العائلي، ويكون أكثر تفرغاً وتركيزاً على دراسته.

ولذلك لم يشكّ أحد بما كان يقوم به سيمون زموت، حيث أرسل بعض الطلاب إلى مدن ألمانيا وغيرها حيث يقعون تحت تأثير أفكار الهسكلاه. وبسبب النجاح الذي حققه في إرسال مجموعة من الطلاب إلى مراكز الهسكلاه، فقد طلبت منه اللجنة المركزية أن يقوم بعدة زيارات إلى ليتوانيا وأوكرانيا ليكتب تقارير لها، ويعرض اقتراحاته عليها، إذ أصبحت له سمعة طيبة بين الحسيديم والمتناغديم على حدّ سواء.

وسافر سيمون إلى هذه الأماكن، وقد اقترح بعض الاقتراحات على لجنة الهسكلاه من أجل إضعاف الحسيديم وتقليل تأثيرهم، وكان من هذه الاقتراحات إثارة مسألة إصدار حرم (طرد) مرة أخرى ضدهم من قبل المتناغديم، ومنها تحريض المتناغديم عليهم بكل وسيلة، وكذلك التآمر عليهم عند الدولة، واتهام زعيمهم بالخيانة وبجمع الأموال للسلطان العثماني، واتهامه بأنه يخطط لنفسه كي يكون المسيح المخلص كما كان ادعى شبتاي صبي من قبل[١].

وقد كتب رسالة من كراكوف (في بولندا) إلى أحد أصدقائه الأثرياء الذي كان من أتباع الهسكلاه كذلك، أخبره فيها عن قوة الحسيديم وانتشارهم

---

(١) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman of Laidi p. 141.

وتعاظم تأثيرهم. وفي الرسالة اعتراف صريح بأنه لا يؤمن بالله. إذ جاء فيها: «إنه فيما يخصنا نحن الذين لا نؤمن بالله فإن هؤلاء المتعصبين من حسيديم وغيرهم إنما يتشبثون بشيء قد عفا عليه الزمن...»[١].

وكان في بيت هذا اليهودي الثري خادم أحدب أعرج أعور يتظاهر بالغباء والبلاهة، ولكنه في الواقع كان ذكياً يعرف ما يدور حوله، وكانت مهمته التجسس على مخدومه وتسقّط أخباره وجمعها وإيصالها إلى الحسيديم. وبعد أن اطّلع الخادم على رسالة سيمون زموت أوصلها إلى الحسيديم، فترصده الحسيديم وراقبوه، وما أن وصل من إحدى سفراته حتى فتشوا أوراقه ورسائله فوجدوا بينها أدلّة دامغة لا تقبل الشك حول نشاطه ضدهم. وكان مما وجدوه قائمة بعدد الطلاب الذين أرسلهم والمراحل التي وصلوها في التهيؤ لرفضهم لليهودية الأرثوذكسية. وبعد أن تأكد الحسيديم من حقيقة سيمون هذا قدموا الأدلة ضده إلى المحكمة الدينية فثبت عندها ارتداده، فعذّبوه لثلاثة أيام، وأركبوه دابة طافت به شوارع المدينة، وشهّروا به أمام اليهود يضربونه ويشتمونه، ثم أخلَوا سبيله[٢].

ولم يكتف جماعة الهسكلاه بذلك؛ بل كانوا يكتبون الكتب ضد الحسيديم كما فعل المتناغديم، وكان من هذه الكتب كتاب ألفه يعقوب كالمنسون (نهاية القرن الثامن عشر) باللغة الفرنسية. وقد اعتبر هذا المؤلف الحسيديم عقبة أمام تقدم اليهود، واتهمهم بأنهم فرقة متعصبة أوجدها حاخام متعصب استغل إيمان الجهلة من اليهود بالخرافات. وقال عن بعل شم طوب بأنه رجل ادّعى الكرامات وشفاء المرضى بواسطة القبلاه فانجذب الناس إلى كلامه الفارغ، وتزاحموا عليه يأملون الشفاء، ولكنهم لم يجدوا عنده إلا الخداع والزيف[٣]....

ومن الذين انتقدوا الحسيديم وكتبوا كتباً ضدهم شخص اسمه

---

(١) Ibid, p. 130.

(٢) N. Mindel, op. cit. p. 143.

(٣) S. Dubnow, the Beginning: the Baal Shem Tov (Besht) and the Center in Podalia, in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, p. 46.

جوزف بيرل (ت ١٨٣٩ م)، وكان في شبابه قد انجذب إلى الحركة الحسيدية وانضم إليها، فاطلع على تعاليمها وعاش سلوكها، ولكنه فيما بعد انقلب عليها وارتدّ عنها، فتحوّل إلى واحد من دعاة حركة الهسكلاه في بداية القرن التاسع عشر وأصبح أحد زعمائها المعروفين. ويعتبر يوسف بيرل من أقذع أتباع حركة الهسكلاه نقداً للحسيديم، وأفحشهم لغة، وأكثرهم سخرية بهم واستهزاء بتقاليدهم وآرائهم. وقد كتب مجموعة كتب ضدهم. ومن هذه كتاب بالألمانية ترجمة عنوانه بالعربية «حول سلوك فرقة الحسيديم». ومنها كتاب عنوانه «مغله تميرين» (كاشف الأسرار) وكتاب آخر عنوانه «بوحن صديق» (اختبار الصديق). وقد انتقد في هذه الكتب معتقدات الحسيديم وسلوكهم، وقال عنهم بأنهم يفسدون البلاد، ويغرِّرون بالمؤمنين الأبرياء من اليهود. وقد وصف زعماءهم بأنهم أناس لا يتورَّعون عن القيام بأي عمل من أجل الحصول على مآربهم وأهدافهم، وأنهم لا يمتنعون عن الابتزاز وإرهاب منافسيهم من المتناغديم وأتباع الهسكلاه على حدّ سواء.

وقد تعرض كذلك إلى أدبيات الحسيديم، واستدل على تفاهتها واستخف بأفكارها، وكان يقتطع بعض المقاطع من كتبهم ويتلاعب بأسلوبها ويحرِّف تركيبها، فيتغيَّر معناها ومضمونها. وقد جعل كتابه «مغله تميرين» على شكل رسائل قلَّد فيها أسلوب الحسيديم وطريقتهم في الكتابة، وكتب كذلك قصصاً قلَّد فيها الأسلوب القصصي للزعيم الحسيدي المشهور «نحمان براسلاف» (ت ١٨١١ م)، وقال عن هذه القصص «بأنها قصص كتبها هذا الزعيم الروحي واكتشفها أحد المقرَّبين له في أواخر حياته»، وقد جعل هذه القصص تتمة لكتاب نحمان براسلاف، ثم ألَّف كتاباً آخر يحتوي على قصص جعل عنوانه شبيهاً بعنوان كتاب للصديق «نحمان براسلاف». وقد أدخل في هذه القصص أفكار حركة الهسكلاه إضافة إلى نقد الأفكار الحسيدية، ولم يستعمل في ذلك اسمه الصريح وإنما استعمل اسماً مستعاراً وهو عوبداياه بن فتحياه، وقد ساعد هذا على أن يتلقف كتاباته الحسيديم ويعتقدون بأنها مما كتبه علماؤهم وحاخاموهم. ولم يكتف إسحق بيرل بهذا بل طلب من حكومة غاليسيا أن تتخذ إجراءات ضد الحسيديم، وحرضها عليهم وأغراها بهم[١].

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Perl, Joseph.**

وألف إسحق بائر ليفنسون (ت ١٨٦٠ م) وهو أيضاً من زعماء حركة الهسكلاه ومؤلف غزير الإنتاج كتاباً عنوانه «دبري صديقيم» (كلمات الصديقيم)، وقد اتبع فيه طريقة بيرل وأسلوبه في كتابه: «مغلّه تميرين». وكتابه مليء بتسخيف الحسيديم والاستهانة بهم ونقد سلوكهم. وله كذلك كتاب آخر عنوانه: «تعوداه بيسرائيل» (شهادة في بني إسرائيل). وقد تعرض في هذا الكتاب أيضاً لنقد الحسيديم، وكال لهم تهم التخلّف وغيرها. وكان هذا الكتاب من الكتب التي منع الحسيديم تداولها بينهم[١]. ومن كتبه أيضاً كتاب عنوانه «عمق رفائيم» (وادي الأشباح) وفي هذا الكتاب يصور المؤلف الصديق (زعيم الحسيديم) في جهنم ـ وليس في الجنة كما يتوقع الحسيديم أن يكون مكانه ـ، وهو يعترف بأنه ليس عنده معرفة بعلوم التلمود ولا بالعلوم الحديثة، ولم يكن له إلا خيار مهنة واحدة وهي مهنة الصديق[٢].

وكان من هؤلاء إسحق إيرتر (ت ١٨٥١) وكان هذا قد ألف كتاباً عنوانه «هاصوفه لبيت يسرائيل» (حارس على بيت بني اسرائيل). حيث يجعل المؤلف من الحركة الحسيدية حركة مبنية على النفاق والجهل والخرافات. وقد أصدر حاخام مدينة لفوف عام ١٨١٦ م. بحقه وبحق بعض شباب حركة الهسكلاه طرداً (حرم) من اليهودية[٣]. وإلى جانب هذا فقد تآمر هؤلاء على الحسيديم عند حكومات البلدان التي كانوا فيها، واتهموهم بأنهم لا يدفعون الضرائب، وأنهم يقيمون أماكن للعبادة غير قانونية، ويطبعون أدبيات غير مجازة إلى غير ذلك من تهم[٤].

وكان الحسيديم نشيطين أيضاً في الردِّ على أتباع الهسكلاه ومحاربتهم، وكانوا يتهمونهم بأنهم أشرار يخطِّطون لقرارات شريرة ضد اليهود[٥]. وكان أحد الحسيديم (مناحم مندل) يرسل رسله إلى روسيا وغيرها ليبينوا لليهود

(١) Encyclopaedia Judaica, **Levinsohn, Isaac Baer.**
(٢) A. Rubinstein (ed.) Hasidism, p. 72.
(٣) Ibid, p. 72.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 125 - 126.
(٥) R. Mahler, Hasidism and the Jewish Enlightement, in G.D. Hundert, Essential papers on Hasidism, p. 432.

خطط أتباع حركة الهسكلاه ضد الدين اليهودي[1]. وطالب أحد زعماء الحسيديم كذلك بعزل المسكيليم وفصلهم عن الطائفة اليهودية، وقال في سبب ذلك: «حتى لا يخدعوا اليهود ويقودوهم إلى الضلال». وفسَّر الحسيديم بعض عبارات التوراة على أنها إشارة إلى أتباع حركة الهسكلاه كما في تفسيرهم لعبارة سفر الأمثال ٢٦/٣ «للحصان السوط، وللحمار اللجام، ولظهور الجهّال العصا» حيث قالوا بأن المقصود بالجهال هنا هم أتباع حركة الهسكلاه الذين يعتبرون أنفسهم حكماء[2]. وقد ذكرنا سابقاً بأنهم اعتبروا «الحصان» في العبارة أعلاه إشارة إلى المتناغديم. وفسر الحسيديم كذلك كلمة «مومس» في سفر التكوين ٣٤/٣١ «أنعامل أختنا مثل ما نعامل المومس» على أنها إشارة إلى المسكيليم (أتباع حركة الهسكلاه)[3].

---

(١) N. Mindel, Rabbi Shneur Zalman, p. 133.
(٢) Ibid, p. 134.
(٣) R. Mahler, op. cit. p. 432.



إسحق ايرتر من أتباع حركة الهسكلاه والذي كتب ضد الحسيديم.

# الفصل الثالث

# من معتقدات الحسيديم

- الله.
- العالم.
- الإنسان.
- وحدة الوجود.
- الخير والشر.
- التناسخ.
- الثواب والعقاب.

# مِن مُعتقدات الحسيديم

## الله

يرى الحسيديم بأن الله كان موجوداً قبل أن يكون هناك شيء، وقد كان الحقيقة الوحيدة قبل الخلق. وهو أبدي ولا نهائي، وقد خلق الخلق من لا شيء. وهم يطلقون عليه «أين سوف» (لا نهاية)[١]. وليس هناك مكان أو فضاء خال منه، وكما أن الفضاء يحيط بالأرض كذلك الله يحيط بالكون، وليس هناك مكان يخلو منه، كما قيل في المدراش: إن الله أظهر نفسه في العلّيقة (في سيناء) من أجل أن يرى البشر بأنه ليس هناك مكان خال منه[٢].

وينسب إلى بَعْل شم طوب أنه قال: «إن بعض الناس يبحث عن الله وكأنه بعيد عنا، أو أنه مُحاط بأسوار. لو كان هؤلاء حكماء لعلموا بأنه ليس هناك فضاء خالٍ منه، وهو موجود في كل شيء وفي كل مكان. ويقولون كذلك بأن الله سُمِّي رب الأرباب لأنه أبعد من كل تصور يمكن للبشر أن يتصوروه، وعندما يُسمَّى الإله «رب» - وهو لقب قليل في حقِّه - فإن هذا لا يعني بأن الله نهائي ومحدَّد، بل لأن عالمنا شيء صغير، ولذلك يُعطى هذا اللقب المحدود.

وقد جاءت العبارة في سفر أشعيا ٢٣/ ١٠: «قبلي لم يوجد إله وبعدي لا يكون». إنَّ «قبل» هنا لا تعني «قبل» الزمنية، ولكنها تعني قبل وجودي،

---

(١) L.I. Newman, The Hasidic Anthology, pp. 148f.

(٢) Ibid, pp. 146 ff.

ويجب أن تفسر بمعنى «بوجودي لم يكن إله»، وكذلك «بعد» لا تعني بعد الزمنية[1].

وهم يعتقدون كذلك بأنه لا توجد حركة في الكون دون أن يكون سببها الله، وعناية الله في خلقه ليست عناية عامة وإنما هي عناية خاصة، فوجود الحجر في مكان ما، وسقوط الورقة من شجرة ما، وتحرك سمكة في بحر ما، إنما يكون بتقدير الإله وعلمه، ولا يحدث شيء مثل هذه دون علمه[2]. وهم يذكرون قصة يعزونها إلى بعل شم طوب لها علاقة بذلك. فقد روَوا بأنه كان قد خرج من بيته مع بعض أتباعه، وأوقفهم عند ورقة كانت تحركها نسمة هواء لبضعة أمتار، ثم خرجت ديدان من الأرض وقضمتها، فأخبر أتباعه بأن ما رأوه إنما كان بعلم الله وقدرته[3].

## العالم

يرى الحسيديم بأن الله قد خلق العالم بالكلمة، وبواسطة حروف هذه الكلمة ظهر العالم إلى الوجود وتحقق خلقه. ويقولون بأنه عندما تقول التوراة قال الله ليكن نور فكان نور، فإن هذا يعني بأن النور قد وجد بواسطة حروف الكلمة العبرية «أور» (نور). وبقية الموجودات تمَّ وجودها بواسطة تغيير تركيب الحروف العبرية وبواسطة تغيير كلمة إلى أخرى. ولذلك يكون للغة العبرية تأثير على خلق الخلق، بل ويصبح وجود الخلق متوقفاً بصورة عامة على حروف الكلمة العبرية.

ويرى الحسيديم كذلك بأن العالم ليس له وجود مستقل قائم بنفسه، لأن بقاءه معتمد على الله وراجع إليه، وهو باق ومستمر في هذا البقاء بواسطة الكلمة التي يقولها الله يومياً، وبدون ذلك فإن العالم يصبح عَدَماً في لحظة واحدة. وهم يرون كذلك بأن استمرار الكلمة هو لطف من الله يتلطف به على الخلق. ويقولون كذلك بأن عالمنا هذا هو ليس العالم الوحيد الذي خلقه الله، بل إن هناك عوالم أخرى غيره قد خلقها.

---

(١) Ibid, pp. 146 ff.
(٢) Encyclopaedia Judaica, **Hasidism.**
(٣) D. Meijers, The Ascetic Hasidism of Jerusalem, p. 36.

وهذه العوالم في معتقد الحسيديم هي:

«عالم الـ «أصيلوت» (الفيوضات) ويضم هذا العالم مخلوقات روحانية فقط، وهذا العالم هو أعلى مراتب الخلق وأعظمها بسبب ما فيه وما يحتويه. وهو لا يحتوي على أشياء مخلوقة بالمعنى المعروف، وهو في الوقت نفسه خالٍ من الشر تماماً. وعلى الرغم من أنَّ ما فيه هو إلهي وروحاني، إلا أنه ليس مستقلاً عن الإله. وفي هذا العالم يكون الله أوضح ظهوراً وتبدياً وأكثر انكشافاً وتجلياً عما عليه في العوالم الأخرى. وصفات عالم الأصيلوت تكون أكثر وضوحاً عند الصديقيم.

عالم الـ «بريئاه» (الخلق)، وبهذا العالم بدأ الخلق بالمفهوم الذي نعرفه، وهو عالم يغلب عليه الخير لكنه في نفس الوقت فيه شيء من الشرّ، وهذا العالم يضم من المخلوقات الملائكة.

عالم الـ «يصيراه» (التكوين)، ونصف هذا العالم خير ونصفه الآخر شرّ، وتوجد فيه أيضاً أنواع دنيا من الملائكة.

عالم الـ «عسياه» (الفعل) وهو عالمنا الذي نعيش فيه، وفي هذا العالم تكون الفروقات بيّنةً وواضحة بين المادة وبين الروح، وتسكن في هذا العالم أكثر أنواع المخلوقات الروحية تدنياً وانحطاطاً»[1].

## الإنســـان

يرى الحسيديم أن الجمادات هي مخلوقات لها شكل الحياة الخاص بها وهي حياة دنيا. والنباتات لها حياتها الخاصة بها كذلك، ولكن هذه الحياة هي أرفع مستوى من الجمادات وأعلى شأناً منها. فالنباتات لها جذور في باطن الأرض، ولكنها تنمو فوق الأرض مستفيدة من الجماد ومستغلة له، أما الحيوانات فحياتها أعلى مستوى وأفضل مرتبة لأنها تعيش فوق الأرض، ولكن رؤوسها تتجه نحو الأرض. ويتميز الإنسان في أنه يقف على رجليه ورأسه إلى السماء، وهذا يرمز إلى ما يتمتع به من روحانية بطبيعة خلقه، إذ أن

(١) D. Meijers, Ascetic Hasidism of Jerusalem, p. 107.

طبيعته تتكون من عنصرين متعارضين هما: الروح والجسد، وبهذا التعارض يتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، فهو من ناحية الجسم يكون مرتبطاً بهذا العالم المادي. أما من ناحية الروح فهو مرتبط بالعالم العلوي، أي عالم الروح، وهذا التركيب فريد إذ يوجد في الإنسان وحده دون غيره، ولما كان الإنسان وحده هو الذي يتمتع بهذا، فإنه هو الوحيد الذي يصلح لكي يكون واسطة بين الأعلى والأسفل وبين الخالق والخلق[١].

ويرى الحسيديم أن الإنسان (اليهودي) يولد وفيه نفسان: إحداهما تسمى حيوانية وأخرى يسمونها إلهية، والنفس الحيوانية هي التي تمد الإنسان بقوة الحياة وتبقيه على قيدها، وهذه النفس هي المسؤولة عن ميول الشر عند الإنسان، وتضم هذه الروح عناصر مادية وعاطفية. ويغلب على الروح الإلهية القوة العقلية، وإن كان فيها بعض العناصر العاطفية، وتضم كذلك شيئاً من طبيعة الخالق. ولهذه الروح قدرة السيطرة على النفس الحيوانية.

والالتزام بالشريعة يجعل النفس الإلهية تحكم من سيطرتها على النفس الحيوانية، وعدم الالتزام بها يضعف من قوتها ويجعل الطريق صعباً أمامها للسيطرة على الحيوانية.

والنفس الإلهية درجات، فبعضها أرفع من بعضها الآخر، وهذا يتوقف على مدى علاقة هذه النفس بالعالم العلوي. وعلى الرغم من أن كل نفس إلهية تضم شرارة إلهية فإن هذه الشرارة تكون أكثر وضوحاً وجلاء وظهوراً في النفوس العليا والرفيعة، وهي نفوس الصديقيم. ولعلوّ هذه النفس فإنها تتمكن من إخضاع الحيوانية تماماً، بل إن بعض الصديقيم يتمكن من تحويل الحيوانية إلى نفس إلهية[٢].

ويرى الحسيديم كذلك بأن الإنسان هو مركز الخلق، وإن هدف الخلق يتحقق إذا أدّى الإنسان ما هو مطلوب منه وما هو واجب عليه. ومن مهمّات الإنسان في هذا العالم جمع الشرارات الإلهية وإرجاعها إلى أصلها، إذ الحسيديم يعتقدون بأن هناك شرارات إلهية قد ضلّت طريقها في بداية الخلق،

---

(١) Ibid, p. 102.

(٢) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 103.

وقد استقر بها المقام في عالمنا هذا، وهي مستقرة في كل الأشياء المادية ومن واجب الإنسان أن يرجعها إلى أصلها، ويكون هذا بتطبيق الشريعة. ويرى الحسيديم بأن الإنسان يتمتع بحرية الإرادة.

## وحدة الوجود

يظهر من أقوال مؤسس الحركة الحسيدية وأقوال بعض زعمائها الاعتقاد بفكرة وحدة الوجود. ولكن وحدة الوجود التي يؤمنون بها تختلف ـ على ما يبدو ـ عن تلك التي يقول بها الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا (ت ١٦٧٧ م) مثلاً، فقد كان هذا الفيلسوف يؤمن بما يسمى Pantheism، والتي تعني وحدة الله في الطبيعة، بينما وحدة الوجود عند الحسيديم تنطلق من القول باشتمال الله على الطبيعة، أي أن الطبيعة في الله وليس العكس. ولذلك يرى بعض الباحثين أن يُطلق على وحدة الوجود عند الحسيديم مصطلح Panentheism [1]، وهي كلمة تعني أن الكل في الله. إذ أنَّ مِنْ رأي بَعْل شم طوب أنّ كل شيء خُلِق وصوِّر من وجود الله، وأن الكون قد خرج من الله كما تخرج محارة الحلزون منه. ومن أقواله في ذلك: «إن العالم مرآة يعكس جلال الله». وقال أيضاً: «إن الله موجود حتى في الشرّ والذنوب... وليس هناك فاصل بين المقدَّس وغير المقدَّس.. وليس هناك حاجز بين الإنسان وخالقه» [2]. وقد أخذ الحسيديم أو أكثرهم يعتقدون بأنه ليس هناك وجود حقيقي غير وجود الله.

وقد فسَّروا بعض فقرات التوراة في ضوء هذه الفكرة: فقد فسروا ما جاء في سفر التثنية ٤/٣٩ «واعلم اليوم وردِّد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من تحت، ليس هناك سواه» إن هذه تعني بأنه ليس هناك شيء آخر عدا الله، أي أن الله في الواقع وحده الموجود. وهم يقولون: إذا قلنا بأن هناك شيئاً غيره فسيعني هذا انفصال العالم عن الله، وحينئذٍ سيكون الله متناهياً ومحدوداً [3].

وقال «شنيور زلمان»: إن الخالق يحتوي على كل العوالم ويضمها،

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Hasidism.**

(٢) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 34.

(٣) Encyclopaedia Judaica, **Hasidism.**

وهو فقط الوجود الحقيقي، وهذه المخلوقات التي يراها الإنسان ـ والإنسان منها ـ ما هي إلا مظاهر لهذا الوجود الحق وتعبير عنه، ولما كانت الحقيقة توجد في الألوهية وأن الألوهية توجد في كل المخلوقات حيث تتحد هذه مع الإله، لذلك يكون الخلق والخالق شيئاً واحداً. ولا يكون هناك شيء موجود خارج الخالق وعداه، إذ ليس هناك تعددية في الوجود على الإطلاق، لأن الموجود واحد. ولما كان الفكر قاصراً عن استيعاب حقيقة هذا الوجود وفهمه لذلك يتصور بأن هناك وجودات متعددة، وأن المخلوقات ذات وجود حقيقي ومستقل، بينما في الواقع أن وجودها غير حقيقي وغير مستقل تماماً مثل الضوء ومصدره، فالضوء ليس له وجود دون مصدره فهو معتمد عليه وبالضرورة مرتبط به ولا يوجد دونه.

وهو يرى كذلك بأن المخلوقات لا يمكن أن تكون سبباً في التأثير على الخالق بسبب هذه الوحدة، لأن ما عدا الخالق في حقيقة الأمر هو غير حقيقي بالمقارنة مع وجوده الحقيقي. ولذلك لا يمكن أن يكون تأثير للمخلوقات على الخالق[١].

وقال حفيده مناحم مندل شنيرسون الذي توفي حديثاً: «إن تلامذة بعل شم طوب قد اتجهوا بمفهوم الوحدانية وجهة عميقة جداً، إذ أن كلمة الوحدانية أصبحت لا تعني بأنه متفرد كما يرى مفكرو العصور الوسطى، بل أصبحت تعني بأنه ليس هناك حقيقة في الأشياء المخلوقة، أي أن الأشياء ليست أشياء أو صورة منها كما نراها بأعيننا، لأن هذا من وجهة نظرنا وكما نراها نحن، لأننا لا يمكن أن نستوعب حقيقة الألوهية. وأما من وجهة نظر الحقيقة الإلهية والتي تمدنا بالوجود فنحن ليس لنا وجود، ونحن ضمن درجة اللاشيئية... ولذلك فإن الذي يَفِيض منه ليس له وجود عدا وجوده هو، وهذا هو التفرُّد الحقيقي، ولذلك قيل: «أنت موجود قبل أن يُخلق العالم، وأنت موجود بعد أن خلق العالم، أي أنه كما لم يكن هناك وجود عداه قبل الخلق كذلك الحال الآن...»[٢].

---

(١) A. Green, Jewish Spirituality, vol, 2, pp. 161 ff.

(٢) Encyclopaedia Judaica, Hasidism.

## الخيـر والشـر

يعتقد الحسيديم بأن الله هو خالق الخير والشر معاً، وهم يعتقدون بأنه ليس هناك شر مطلق، إذ أنَّ الشر أحياناً داعم للخير بل وجزء منه، ويقولون: كما أنه لا بدَّ من وجود الظلام لظهور النور فكذلك لا بد من وجود الشر لتبيِّن حقيقة الخير، وبوجود الأشرار تعرف حقيقة الأخيار[1].

ويرى أحد زعمائهم ـ وهو المغيد ـ بأنه ليس هناك شر مطلق؛ بل هناك درجات من الخير، وقد قال عن ذلك: «ليس هناك شر مطلق، ولكن هناك درجات من الخير، فالذنب يحمل في داخله جذور التوبة، ولذلك فإنه في لحظة التوبة وترك الذنب فإن الشرارات الإلهية ترتفع إلى السموات[2]، وهم يرون كذلك أن من واجبات الإنسان أن يقتحم الشر ويواجهه ليحوله إلى خير[3].

وإذا وصل الإنسان إلى مرحلة الاعتقاد بأن كل شيء يحدث في العالم من خير أو شر إنما هو من الله، فإنه يكون من السهل عليه أن يتجاوز المشاكل، ويكون هادىء البال مرتاح الضمير مشروح القلب، على الرغم مما يصيبه من آلام، لأن ما يأتي من الله لا بدَّ وأن يكون لخير الإنسان وصالحه.

وقد عُزي إلى بَعْل شم طوب أنه قال: «على الإنسان أن يقبل كل ما يصيبه ما دام أنه مقبول عند الله. وعلى الإنسان أن يدعو دائماً بأن يرزقه الله ما هو خير له بعلم الله، لا ما يعتقده هو بأنه خير، لأن عقل الإنسان محدود ولا بد له من أن يثق بأن كل ما يصيبه إنما هو من مصلحته، فلا يجوز له أن يتأفَّف أو يشتكي حظه أبداً. وعليه أن يعتقد كذلك بأن حكم الله إنما هو حكم عادل، وأن الله رحيم بعباده. وإذا وصل الإنسان إلى هذه القناعة وتأكدت عنده، فإنه سوف لا يخاف أحداً في العالم، ويكون خوفه من الله وحده[4].

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 17.
(٢) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 25.
(٣) Ibid, p. 35.
(٤) A. Werthein, Law and Custom in Hasidism, pp. 17 ff.

## التناسخ

من الأفكار التي يؤمن بها الحسيديم فكرة التناسخ، والذي يسمى بالعبرية «غلغول». والحسيديم قد أخذوا هذه الفكرة عن القبلاه. وكانت فكرة التناسخ قد ظهرت في القبلاه أول ما ظهرت - على ما يبدو - في «سفر هابحير» وهو مؤلَّف يرجع تأليفه إلى القرن الثاني عشر الميلادي. كما أن ذكرها قد تكرر في كتاب «الزهر». ومما جاء فيه: «إن كل الأرواح لا بدَّ أن تتناسخ، والناس لا يفهمون قصد الإله المقدَّس وطرقه... وهم لا يعرفون كم من مرة يتناسخون، وكم من تجربة باطنية يمرون بها»[١].

وقد استمرت الإشارة إلى هذه الفكرة وتطوَّرَ مضمونها، وفسِّرت بعض عبارات التوراة على أنها إشارة إلى التناسخ كالعبارة التي وردت في سفر الجامعة ١/٤، والتي جاء فيها: «جيل يمضي وجيل يأتي». بل حتى إن بعض الأحكام في الشريعة اليهودية فسِّرت في ضوء التناسخ، كأحكام الشحيطاه (الذبح الشرعي). وأخذت فكرة التناسخ تُعطى تفسيراً عقلياً، لبعض الأعمال التي تبدو في ظاهرها وكأنها ظلم، كالمآسي والكوارث التي تقع على الإنسان الصالح وتصيبه، وما يتمتع به الشرير من نعمة ورفاه. وقد فسِّر عذاب الصالح مثلاً على أنه عقاب له على ما اقترفه من ذنوب في حياة سابقة[٢].

ومن جانب آخر يرى الحسيديم بأن هذه الأرواح التي تحلُّ في الأجسام في حال التناسخ إما أن تكون أرواحاً جديدة لم تنزل إلى الأرض من قبل، أو كانت قد نزلت في السابق. فإذا كانت من النوع الأول فإنها تحتاج إلى فترة ثلاث سنوات لكي تتهيأ للنزول، وإذا كانت من النوع الثاني فإنها تحتاج إلى سنة واحدة لتتهيأ للنزول[٣].

ويعتقد الحسيديم بأن التناسخ يعبر عن رحمة الله بعباده، إذ حتى أولئك الذين كتب عليهم أن يُزالوا من وجه الأرض - طبقاً لبعض أحكام الشريعة اليهودية - فإنهم يُعطون فرصة للإصلاح، إذ الغرض من التناسخ هو تطهير

---

(١) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 22.
(٢) Encyclopaedia Jadaica, **Gilgul.**
(٣) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman of Laidi, pp. 22 - 23.

النفس وإعطاء الإنسان فرصة أخرى كي يتمكن أن يقوم بعمل ما لم يعمله في السابق. والصديقيم إنما يتناسخون لا من أجل أنفسهم ومصلحتهم ولكن من أجل مصلحة العالم والناس.

وهم يرون بأن التناسخ يكون لأكثر من مرة، وأن الناس الذين يعيشون في هذا العالم قد تناسخوا لعشرين أو ثلاثين مرة[١].

ويقولون بأن التناسخ يحصل إذا لم يتمكن الإنسان خلال حياته من أداء الواجبات والفرائض المطلوبة منه، ولم يحقق ما يجب عليه.

ويقولون كذلك: إنه من أجل أن يؤدي الشخص كل الفرائض عليه أن يتناسخ لمرات كثيرة، ولكنهم أيضاً يقولون إنه من الأفضل أن يتفادى الإنسان ذلك ويتحاشاه ، لأن كل حياة جديدة تكون محاطة بمخاطر اقتراف الذنوب مرة أخرى. وهم يذكرون قصة بهذا الخصوص، وهي أن أحد الحسيديم عندما حوسب بعد وفاته وجد مذنباً باقتراف ذنب واحد، وقد عرض عليه أن يختار بين أن يدخل جهنم لنصف ساعة أو ينزل إلى الأرض مرة أخرى، فاختار الدخول إلى جهنم على النزول إلى الأرض بحياة أخرى[٢]. ويقولون بأن الصديقيم وحدهم الذين يعرفون عدد المرات التي تناسخ فيها الإنسان، وكما أن الروح قد تحل في جسم إنسان آخر، فإنها أيضاً قد تحل في مادة كالطعام، ويكون تحرير هذه الروح عندما يؤكل الطعام بشكل صحيح.

ويقول الحسيديم: إن هذا التناسخ لا يكون بين إنسان وإنسان فقط، بل إن التناسخ يكون بين إنسان وحيوان، فالروح قد تحل في جسم حيوان. وهم يروون في هذا الصدد قصة تنسب إلى بَعْل شم طوب.

وتقول القصة بأن بعل شم طوب قد ذهب لزيارة أحد أتباعه التجار، فسأله بعل شم طوب عن عمله وكيف هو، فكان جواب الشخص له بأنه ليس على ما يرام، وأثناء ما كانا يأكلان سأل بعل شم طوب مضيفه فيما إذا كان عنده حصان، فأجابه الرجل بأن عنده أكثر من واحد، فطلب منه أن يرى هذه الخيل، وعندما رآها أعجب بحصان منها ـ وكان حصاناً صغيراً ـ وطلبه

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Gilgul.**
(٢) J.R. Mintz, Legends of the Hasidism, p. 128.

من صاحبه، ولكن هذا قال له بأن الحصان الصغير هذا يقوم مقام ثلاثة أحصنة ويصعب عليه أن يستغني عنه، وعرض عليه أن يعطيه آخر بدله. ثم سأله بعل شم طوب فيما إذا كان هناك شخص مدين له بدين ولم يرجعه، فأجابه بالإيجاب، وعرض عليه أسماء المقترضين الذين لم يوفوه ديونهم. ثم سأله أيضاً عن قرض شخص معين وجد اسمه ضمن المقترضين. وبدت على مضيفه الحيرة والتعجب وتساءل عن سبب السؤال والهدف منه؟ ولكن بعل شم طوب طلب معرفة قرض الرجل وفيما إذا كان قد أرجعه. فأخبره مضيفه بأن الرجل كان قد مات منذ فترة طويلة، ولم يوفه قرضه، لأنه لم يكن عنده شيء، فمزق بعل شم طوب الورقة التي فيها اسم الشخص إلى قطع صغيرة جداً وقال لمضيفه: إنه عفا عن دينه، وطلب منه أن يذهب إلى الحصان ليراه، وعندما دخل الزريبة وجد الحصان ملقىً على الأرض ميتاً، فتعجب من ذلك وسأل بعل شم طوب عن السبب، فأخبره بأن الشخص المقترض عندما مات كان قد حوسب وتقرر عليه أن يدفع ما في ذمته، وبسبب ذلك فقد حلّت روحه جسم حصان يعمل عمل ثلاثة أحصنة ليرضي المقرض، ولما عفوت عن دينه تحررت روحه من جسم الحصان فسقط هذا ميتاً[1].

وكان صديق مجموعة «البلز» الحسيدية ـ التي سنتحدث عنها ـ يوزع مرة شهادات على بعض الذين تخرجوا قصّابين شرعيين من أتباعه، وأثناء الاحتفال فتح الشباك وقال للمتخرجين: انظروا إلى تلك الكلاب إنها كلاب قد حلّت فيها أرواح قصابين شرعيين، لأنهم قد جعلوا زوراً من الميتة ذبيحة حلالاً[2].

ويقولون كذلك: إن الإنسان إذا مات في شبابه فإن ذلك يعني بأنه قد أدّى الواجبات المطلوبة منه في وقت مبكر، ولذلك فإنه يموت مبكراً. وقد يكون الإنسان فقيراً في هذه الحياة بسبب أنه يجب أن يعاقب على ما ارتكبه من أخطاء سابقاً. وقد تعسر ولادة المرأة لأن روح الطفل ما زالت في جسم إنسان آخر يجب أن يموت أولاً لكي يولد الطفل[3].

---

(١) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 105.
(٢) J.R. Mintz, Legends of the Hasidism, p. 127.
(٣) D. Meijers, op. cit. p. 105.

وهناك شيء آخر يتعلق بالتناسخ ولكنه ليس بتناسخ، وإنما يسمى بالعبرية «العبّور» وهو يختلف عن «الغلغول» بأن روح الرجل الصالح أو الولي تجد من الضرورة أن تحلَّ في جسم شخص آخر ليس أثناء الحمل أو أثناء الولادة، ولكن خلال حياة الشخص[١]، أي أن روح الصالح المتوفَّى تلقِّح الروح الثانية التي ما زالت في جسم الإنسان، من أجل أداء فرائض وواجبات تحتاج كل واحدة منهما لأدائها. ويذكر لنا الحسيديم قصصاً عن بعض الصديقين الذين حلَّت فيهم أرواح أولياء أو أنبياء[٢]. وكان الصديق ليفي إسحق برديشيف - الذي سنتحدث عنه - يعتقد بأن روح الحاخام المشهور «عقيبا» (ت ١٣٥م) قد حلّت فيه. وكان صديق مجموعة Stoline يعتقد بأن روح الحاخام المعروف راشي (ت ١١٠٥ م) قد حلَّت فيه، ونسب إليه أيضاً بأنه كان يعتقد بأن روح المسيح المخلِّص قد حلَّت فيه، ولكن الله لم يسمح له أن يظهر نفسه. وكان الصديق يعقوب إسحق (الرائي) - الذي سيأتي الحديث عنه - يعتقد بأنه كان عظيم كهنة اليهود في حياة سابقة، ولذلك فهو عندما كان يقرأ النص الذي يقول «هكذا قال هو» (أي عظيم الكهنة) يبدلها إلى «هكذا أقول أنا»[٣].

## الثواب والعقاب

يرى الحسيديم بأن هناك ثواباً وعقاباً بعد الموت، حيث يعاقب المذنب على ما اقترفه من ذنوب، ويثاب الصالح على ما عمل من خير. وفي اعتقادهم أنَّ الإنسان لا بدَّ أن يتطهر لكي يدخل الجنة، والتي تسمى «جان عدن». والمرحلة الأولى من هذا التطهير تأتي بعد الموت مباشرة، حيث يقوم الملائكة بهزِّ جسم الإنسان كي يزول ما علق به وتراكم عليه من أدران بسبب الملاذّ الحسية والجسدية. ويجب أن يتطهر كذلك مما دخل النفس من تلوث خلال الكلام والتفكير أثناء حياته، حيث تبقى أصداء هذا الكلام والتفكير ترنُّ في نفس الإنسان كما ترن العملة عند وقوعها على الصخر، إذ أن هذه الأصداء تحرم النفس من السكينة والطمأنينة التي تحتاجها عند لقائها ربها.

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Gilgul.**

(٢) A. Green (ed.) Jewish Spirituality vol, 2, pp. 121 - 122.

(٣) H. Robinowicz, the World of Hasidism, pp. 95 and 103.

ولكي يتطهر الإنسان من هذه فإن مَلَكَين يأخذانه ويتقاذفانه بين نهايتي العالم. وهناك من الخبث ما لا يمكن زواله إلا بالدخول إلى جهنم لتطهيره.

ولجهنم عند الحسيديم طبيعتان: إحداهما ذات طبيعة شديدة البرودة، والأخرى ذات طبيعة شديدة الحرارة، وتطهِّر الأولى الذنوب التي ارتكبت بسبب الإهمال، أما الثانية فإنها تطهِّر الذنوب التي ارتكبت عن طريق العاطفة والأحاسيس الأخرى. وهم يقولون: إن عملية التطهير هذه هي فضل يفيضه الله على الإنسان. وفي معتقد الحسيديم أن الوقت الذي يقضيه اليهودي في جهنم لا يزيد على إثني عشر شهراً[١]، إذ إن النبي ابراهيم يكون واقفاً عند الباب يحرِّر من جهنم كل مختون (من اليهود) قبل اثني عشر شهراً.

ويقول الحسيديم: إن جهنم تخلو من اليهود في يوم السبت، إذ أن اليهودي لا يتحمل عذاب سبعة أيام متوالية. والبعض الآخر منهم يقول إنها تخلو فقط من اليهود الذين أقاموا شعائر يوم السبت[٢]. وهم يرون بأن هناك من اليهود من يدخل الجنة مباشرة، ومن هؤلاء اليهودي الذي يموت من أجل دينه، والجندي الإسرائيلي الذي يموت وهو يقاتل العرب[٣].

وهم يعتقدون بأن العذابات التي يمر بها الإنسان في هذه الحياة تقلِّل من عذاب جهنم[٤]. ويعتقدون كذلك بأن بعض الأرواح تمر بأزمة هوية بعد

---

(١) وفي التلمود: إن باب جهنم تغلق على المرتدين والجواسيس والطواغيت والمشجعين على الذنوب لعدة أجيال (Tosefta Sanhadrin 13.5).

(٢) Z.M. Schachter - Shalomi, Spiritual Intimicy, p. 43.

(٣) ويذكر التلمود بعض الناس الذين لا يدخلون جهنم ولا يرونها وهم: الفقير، والمريض، وقد أضيف لهذين الرجل الذي يبتلىٰ بزوجة شريرة (Eruvim, 41b).

(٤) تعطي أدبيات اليهود القديمة وصفاً حيّاً لجهنم، حيث تذكر هذه الأدبيات بأن جهنم مقسمة إلى سبعة أقسام، وهذه الأقسام السبعة مقسمة إلى سبعة أخرى، وفي كل واحد من هذه الأقسام توجد سبعة أنهار من نار وسبعة من جليد. وفي كل واحد من هذه هناك سبعة آلاف كهف، وفي كل كهف يوجد سبعة آلاف عقرب، ولكل عقرب ثلثمئة حلقة، وفي كل حلقة سبعة آلاف كيس يسيل منها سبعة أنهار من سم قاتل. وفي جهنم يضرب ملائكة الهلاك المذنبين بسياط من لهب.

=

الموت، لأن بعض الناس ينسون شخصياتهم، فلا يعرفون أنفسهم عند وقوفهم أمام الرب. وسبب ذلك هو فقدان الذاكرة بسبب صدمة الموت. ولذلك فإن الحسيدي يُعطى من قبل مرشده الروحي كنية يعرف بها إضافة إلى اسمه.

---

= وفي المدراش وصفٌ لزيارة النبي موسى لجهنم، حيث رأى بعض المذنبين معلَّقين من أجفانهم، وبعضهم من آذانهم، وبعضهم من أيديهم، والبعض الآخر من ألسنتهم، وبعض النساء من شعورهن، وبعضهن من أثدائهن، بسلاسل من نار. ورأى كذلك بعض المعذَّبين معلقين من أرجلهم ورؤوسهم إلى الأسفل، وأجسادهم ينهشها الدود. وبعض هؤلاء تعلو وجوههم آلاف العقارب تلدغهم وتعذبهم، ومن شدة عذابهم تذوب عيونهم في محاجرها.

(انظر: D. Cohn - Sherbok, Holocaust Theology, p. 121).

## الفصل الرابع

# العبادة والصلاة
# وتأثير الفرائض على الإنسان

# العبادة والصلاة وتأثير الفرائض على الإنسان

## العبـــادة

يعتقد الحسيديم أن الإنسان، هو أعظم المخلوقات وأهمها، وأن مرتبته تأتي بعد مرتبة الله مباشرة. والله يرغب بوصول الإنسان إليه وتقربه منه. وإن أشرف شيء يقدِّمه الإنسان هو الاتصال الروحي بالإله، والالتصاق به، ولما كانت العبادة في رأي الحسيديم هي الطريق إلى تحقيق هذا فقد اعتبرت هي الواجب الأهم عندهم.

والعبادة عند الحسيديم لا تقتصر على قراءة التوراة والصلاة ـ كما عند اليهود الآخرين ـ حيث إنَّ الله لا يعبد بهذين فقط، بل إن هناك طرقاً أخرى كثيرة، إذ من الممكن أن يُعبَدَ الله بواسطة الأكل أو الشرب، أو المحادثة، بل حتى الاتصال الجنسي يمكن أن يكون وسيلة للعبادة. فالطعام يكون عبادة إذا قصد الإنسان منه أن يتقوَّى على طاعة الله، وليس من أجل الشبع أو التلذذ أو التذوق.

والعبـادة بهـذه الطرق المتعـددة ـ كمـا يقـول بَعْـل شـم طـوب ـ تعصـم الإنسان من الوقوع في الإجهاد الروحي، وتعصمه من التراجع عن هذا العالم، وإن الروح قد أحيطت بالقضايا المادية من أجل أن تؤدي أعمالاً مادية مثل الأكل والشرب وغيرهما، لكي تكون دائماً ملتهبة بعبادة الواحد المقدَّس، ومن أجل أن يحفظ الجسد والروح معاً.

ومسألة العبادة بواسطة الأعمال المادية قائمة عندهم على العلاقة الجدلية بين المادة والروح، إذ من أجل أن يصل الإنسان إلى الهدف الروحي عليه أن

يمر بالعالم المادي، إذ أن العالم الروحي هو المرحلة العليا من المادة. ويرى مؤسس الحركة الحسيدية بأنه ليس هناك طريقاً للتحرر من أسر المادة إلا بالتعامل الظاهري معها، وهذا المبدأ بالنسبة إلى الحسيديم هو شيء ذو أهمية دينية كبرى.

وعلى الرغم من أن الكثير من أفكار الحسيديم هي أفكار «القبلاه» إلا أن مفهوم العبادة الذي ذكرناه يختلف عما هو عليه عند الحاخام لوريا (ت ١٥٧٢ م) مؤسس مدرسة «صفد» في القبلاه. لأن الحاخام لوريا يُفرِّق بين عبادة الله والانشغال بالمسائل المادية والنشاطات الدنيوية. والتفريق مبني على الشكل التالي: وهو بما أن الله مقدَّس فعبادته يجب أن تكون مقدسة كذلك، أما الإنسان فهو مخلوق غير مقدَّس ونشاطاته غير مقدسة، كذلك ومن أجل أن يعبد الله فإن الإنسان يجب أن يترك الأشياء والنشاطات المادية والدنيوية، ويترك كذلك متع الحياة، وعلى الإنسان في عبادته لله ـ كما يقول لوريا ـ أن يشغل نفسه بأقل ما يمكن من المسائل الدنيوية، حتى يوفر وقتاً للصوم والصلاة، والتقشف والبكاء، ونكران الذات، وتعذيب النفس من أجل الله[١].

أما بالنسبة إلى بعل شم طوب فرأيه يختلف، فهو يرى كما مرَّ سابقاً بأن الله في كل مكان، وأنه موجود في كل شيء، لذلك تحمل الأشياء والنشاطات المادية في داخلها شرارة إلهية كما ذكرنا، ولهذا السبب يمكن أن تكون العبادة بواسطة هذه الأشياء، ولذلك فهي لا تقتصر على الزهد والتقشف ونكران الذات والصوم. وقد رأينا بأن بعل شم طوب لا يشجع على هذه الأشياء، بل إن الحسيديم يرون بأن الله يمكن أن يُعبد عن طريق الذنوب، لأن هذه أيضاً تحتوي على شرارات إلهية فيها، على الرغم من أنها تحاول أن تفصل الإنسان عن الإله.

ويرى بعل شم طوب كذلك أنه لا يجوز للإنسان أن يحاول في العبادة أكثر مما يستطيع، إذ أن العبادة يجب أن تكون بشكل طبيعي وليس بشكل مصطنع[٢].

وقد أصبح من تقاليد الحسيديم منذ ظهور الحركة الحسيدية أن يقول

---

(١) E.L. Cooper, Am Segullah, pp. 68 - 69.

(٢) Ibid, p. 71.

الحسيد عبارة قبل أداء أية فريضة، وهم يسمون هذه العبارة «الشم يحود» وتعني «من أجل التوحيد». وأصبحت الصيغة المفضَّلة لهذه العبارة في الوقت الحاضر على الشكل التالي: «من أجل توحيد الواحد المقدَّس تبارك وتعالى والشكيناه، فإني أؤدي الفريضة برهبة وحب، وبحب ورهبة من خلال الواحد الخفي والمستور، وباسم كل بني إسرائيل، من أجل أن أرضي خالقي وصانعي». وفي صيغة أخرى تضاف عبارة «ومن أجل توحيد الاسم ياء/ هاء مع واو/ هاء في وحدة كاملة» - والحروف الأربعة هي حروف الإله يهوه - بعد عبارة «وبحب ورهبة». وربما كان هذا التقليد مبني على ما جاء في التلمود: «قال الحاخام أليعازر: إن كل الأعمال يجب أن تؤدَّى من أجل الاسم المقدس، وماذا تعني عبارة «من أجل الاسم المقدس»؟ إنها تعني أن الإنسان يجب أن يتلفَّظ اسم الرب المقدس في كل وقت يؤدي عملاً (فريضة)، حتى يكون الأداء من أجله لا من أجل الجانب الآخر (الشيطان)، لأن الجانب الآخر يتربَّص دائماً بالإنسان من أجل أن يأخذ عمله». وقد كان قول هذه العبارة مثار جدل، حيث انتقدها معارضو الحسيديم، وكان من النقد المشهور لها ذلك الذي كتبه الحاخام الأكبر حزقيال لنداو (ت ١٧٩٣ م) حيث اعتبر ما جاء به الحسيديم بدعة لم تعرفها الشريعة اليهودية ولا علماؤها[١].

## الصلاة

للصلاة عند الحسيديم أهمية كبيرة، حتى إنها تجاوزت في أهميتها دراسة التوراة التي يعتبرها بقية اليهود الأرثوذكس من أهم الواجبات وأعظمها[٢]. وكان بعل شم طوب أول من أعطى أهمية وأولوية للصلاة، حيث ذُكر عنه بأنه قد كشف له عن العالم العلوي ليس بسبب دراسة التلمود والشريعة اليهودية، ولكن بسبب الصلاة التي كان يصليها بتركيز وإخلاص، حيث أوصلته إلى المرتبة العليا[٣]. ومن آرائه حول الصلاة كذلك بأنها

---

(١) L. Jacobs, Hasidic Prayer, pp. 142 ff.

(٢) تعطىٰ دراسة التوراة أهمية أكبر من الصلاة، لأنها تشريع إلهي، بينما الصلاة تشريع حاخامي.

(٣) L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 17.

لا يجوز أن تؤدَّى من أجل تحقيق غرض دنيوي، لأنها إذا أُدِّيت لهذا الغرض فستكون ستارة تفصل الإنسان عن الله[١]. والصلاة كذلك يجب أن تحقق هدفاً روحياً، وهذا الهدف هو الالتصاق الروحي بالله، وهذا ما يسمى عندهم «الدبقوت». ويعتبر الدبقوت الركيزة الرئيسية في الصلاة إذ لا بدَّ للحسيدي من أن يهدف من وراء صلاته إلى تحقيقه. وبسبب هذه الأهمية فقد ساواه بعل شم طوب بالإيمان.

والدبقوت لا يتحقق إلا إذا تحققت شروطه، ومن هذه الشروط طرد الأفكار التي لا ترتبط بالعبادة، وهي التي يسمونها «محشَبوت زاروت» (الأفكار الغريبة). وقد أعطى مؤسس الحركة مثالاً على ذلك فقال: «إنه من غير الممكن أن تلتصق قِطعتا فضة مع بعضهما إلا من أطرافهما، وهذا لا يتحقق إذا كان هناك صدأ أو جسم خارجي يمنع من ذلك، فكذلك الدبقوت مع الله لا يتحقق إذا كان هناك صدأ أو عنصر خارجي في الإنسان يمنعه من الالتصاق بخالقه (وإذا عدم هذا) فإن الدبقوت يصبح ممكناً»[٢].

«والدبقوت» يعني بأن المصلِّي لا يفكر إلا بالله، ويكون مركِّزاً تماماً على صلاته عند أدائها بحيث يشعر بأنه على وشك الموت لكثرة تركيزه وتفاعله مع الصلاة، ويقولون بأن السبب في أن الحسيد لا يموت لأن الله يعطيه القوة ليبقى حياً بعد أدائها، وإن روحه لم تفارقه لأنها متحدة مع ربه[٣]. والتركيز على الصلاة يسمَّى عند الحسيديم «كواناه» وجَذْر الكلمة يعني «وجّه» أي أن الإنسان يوجه فكره نحو الصلاة دون غيرها لينتقل إلى مرحلة «الدبقوت»[٤].

ويصل الحسيد أثناء عملية «الدبقوت» إلى مرحلة تسمَّى عند الحسيديم «بطول هايش» وتعني حرفياً «انعدام الشيئية»، وهي تعني كذلك انعدام الذات ـ ذات المصلِّي حيث تحلِّق روحه إلى العوالم العليا، عالم الفيوضات، وتترك وراءها الجانب المادي. وتكون كل الأشياء المادية المحدودة والنهائية قد

(١) E.L. Cooper, Am Segullah, p. 96.
(٢) Ibid. P. 72.
(٣) S. Hororodzky, Leaders of Hasidism, p. 94.
(٤) L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 21.

تلاشت في اللامحدود واللانهائي في وحدانية الرب[١]. وعندئذٍ يكون الحسيد واعياً لله وحده فقط.

وقد وصف أحد علمائهم الدبقوت بالنص التالي: «على الإنسان عندما يصلِّي أن يضع كل قوته في نطق الحروف وتلفظها، وينتقل من حرف إلى حرف حتى ينسىٰ طبيعته المادية، ويجب أن يتأمل حول فكرة أن هذه الحروف قد تركبت وانضم بعضها إلى بعض، وهذه سعادة عظمى. لأنه إن كانت السعادة قد حصلت بالتوحيد في العالم المادي، فكم تكون السعادة إذن في عالم الروح، وهذه هي مرحلة عالم التكوين. ثم بعد ذلك عليه أن يصل إلى مرحلة كون الحروف في ذهنه فقط بحيث لا يسمعها عند نطقها. وهنا يدخل عالم التكوين، ثم بعد هذا يجب أن يصل إلى حالة اللاشيئية حيث ينعدم جانبه المادي تماماً، وهذه هي مرحلة عَالم الفيض، عالم الحكمة»[٢].

ويُعطي الحسيديم كذلك أهمية للحركة الجسمانية في الصلاة، وكان بعل شم طوب هو الذي أعطى لهذه الحركة هذه الأهمية، وهو الذي طلب من أتباعه أن يؤدوها في الصلاة. وقد قال عن ذلك: «كما أن الإنسان لا يجوز له أن يضحك من الغريق الذي يحرك جسمه ليخلص نفسه من الغَرَق، كذلك يجب أن لا يهزأ بالمصلِّي الذي يحرك جسمه في الصلاة ليخلِّص نفسه من الشرور والأفكار الخبيثة التي تقطع عليه التفكير بالصلاة[٣].

---

(١) Ibid, p. 77.

(٢) L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 77.

(٣) Ibid, p. 59.

يذكر بأن جماعة دينية مسيحية قد ظهرت في هذه الفترة (فترة ظهور الحركة الحسيدية) في بريطانيا أطلق عليهم Shakers وكانوا يمارسون الصياح والرقص في العبادة J.D. Douglas, W.A. Elwell, P. Toon, The concise Dictionary of the Christian Tradition, p. 347).

وقال بعضهم بأن هؤلاء كانوا يضعون رؤوسهم بين أرجلهم ويتدحرجون على الأرض. (L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 56).

وظهرت كذلك جماعة دينية أخرى في هذه الفترة في «ويلز» - في بريطانيا - أطلق عليها The Jumpers والاسم يدل على أن أتباعها كانوا يقفزون أثناء العبادة H. Graetz, Popular History of the Jews, vol, 5, P. 341.

وقد شبَّه بَعْل شم طوب هذه الحركات تشبيهاً غريباً، إذ أنه ماثلها بالحركة أثناء العملية الجنسية، فقال: «إن الصلاة عبارة عن جماع مع الشكيناه، فكما يكون هناك تحرك في عملية الجماع، فكذلك على الإنسان أن يتحرك أولاً، ثم يبقى ساكناً ملتصقاً بالشكيناه بشكل قوي، ويسأل نفسه ويقول: «لماذا أحرك جسمي؟ (ويكون الجواب): لأن الشكيناه تقف أمامي. ونتيجة لهذا النود فإن الإنسان يحصل على حالة قوية جداً من الإثارة، ويحصل على درجة عظيمة من الحماس». وقال كذلك: «كما أنه لا يمكن أن يولد طفل من دون تزاوج جسمي بواسطة عضو حي يعمل بنشوة وسعادة، كذلك التزاوج الروحي الذي يكون بواسطة دراسة التوراة والصلاة ينتج عنه الولادة (الاتحاد) إذا أُدّي بواسطة عضو حيّ بسعادة وفرح ونشوة»[١] وكانت هذه النصوص قد استشهد بها جوزف برل وغيره من معارضي الحسيديم كدليل على الطبيعة الفاحشة لبعض أفكار الحسيديم[٢].

وقال الصديق نحمان براسلاف حفيد بعل شم طوب: «إن الطريقة التي تجعل القلب يفيض بالتحرق إلى الله هي التي تكون بواسطة الحركة، إذ أن الحركة السريعة تولد دفئاً، وهذا يشبه وضع الشمع على السهم، حيث يذوب الشمع عندما يطلق السهم من القوس بسرعة عظيمة»[٣].

---

(١) L. Jacobs, Hasidic prayer, p. 60.

(٢) Ibid, p. 60.

التعبير بالرموز الجنسية في علاقة الإنسان بالرب ليست نادرة في الأدبيات اليهودية، فموسى بن ميمون (ت ١٢٠٤ م) يفسر «نشيد الأناشيد» الذي فيه الكثير من الغزل والأدب الجنسي المكشوف على أنه حوار بين الرب والنفس الإنسانية.

(انظر: L. Jacobs, Hasidic, Prayer, p. 60).

وورد في «الزهر» نصوص كثيرة استعملت فيها الرموز الجنسية للعلاقة بين الإنسان والرب، فقد جاء فيه: «وعلى هذه الشاكلة يكون حال طلاب التوراة الذين ينفصلون عن نسائهم خلال الستة أيام من الأسبوع ليحرروا أنفسهم لدراسة التوراة، فإن الشريك الإلهي يكون لهم حتى يستمروا لكي يكونوا ذكراً وأنثى. .» ومثل هذا كذلك «إذا كانت الزوجة في حالة طمثها، فإنه خلال تلك الأيام يكون له مكان زوجته الشريك الإلهي، حتى يبقى ذكراً مع أنثى». (Zohar, Vol, 1, 50 a).

(٣) L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 56.

وقد أصبحت الحركة الجسمانية في الصلاة عنيفة عند بعض الصديقيم فقد رُوي عن الصديق شنيور زلمان (ت ١٨١٢ م) أنه كان يضرب بيديه الحائط أثناء الصلاة، حتى كان الدم يخرج منهما. وقد اضطر أتباعه أن يضعوا قطعة ناعمة الملمس حتى لا تُجرح يداه عند ضربه الحائط في صلاته[١]. وكان الصديق ليفي إسحق برديشيف (ت ١٨١٠) يتحرك بعنف في صلاته، حيث كان يبدأ صلاته في زاوية من المكان، ويكون في زاوية أخرى عندما ينتهي منها بسبب عنف حركته[٢].

وروي عن الصديق إسحق مئير ألتر (ت ١٨٦٦ م) أنه كان يصيح، ويقوّس جسمه، ويقوم بحركات غريبة أثناء الصلاة. وعندما ينتهي من الصلاة تكون ثيابه مبلّلة تماماً من كثرة تعرّقه. وقد روي عنه كذلك أنه في إحدى المرات وفي أثناء انغماسه في الصلاة سقطت سنّه وهو لا يعلم[٣].

وقد اتخذت الحركة في الصلاة طرقاً مختلفة، وكان الحسيديم ـ الأوائل منهم خاصة ـ يقومون بحركات اعتبرت في نظر اليهود الآخرين لا تليق بحرمة الصلاة وقدسيتها، ولذلك فقد أصبحت موضوعاً للنقد الشديد، وكان الحاخام يعقوب إمدن قد انتقدهم في كتاب له طبع عام ١٧٦٨ م ـ بعد وفاة بعل شم طوب بثماني سنوات ـ وقال عن حركاتهم هذه: «إن هؤلاء يؤدُّون حركات غريبة وشاذة وقبيحة في الصلاة. إذ هم يصفّقون، ويهزون أعجازهم، ويميلون رؤوسهم إلى الخلف، ويرفعون نظرهم إلى الأعلى على عكس ما أقره الحاخامون[٤].

وإلى جانب الحركات الجسمانية فقد أكّد الحسيديم على الفرح والسعادة أثناء الصلاة، وهو جزء من تأكيدهم على السعادة بصورة عامة، وقد نُقل عن بعل شم طوب قوله: «إن الصلاة التي تصلّى بسعادة هي بلا شك صلاة مهمة، ومقبولة لدى الرب أكثر من الصلاة التي تصلّى بحزن»[٥].

---

(١) Ibid, p. 57.
(٢) S.H. Dresner, the World of a Hasidic Master, p. 93.
(٣) L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 65.
(٤) Ibid, p. 57.
(٥) Ibid, p. 61.

وقال كذلك: «إذا أراد الإنسان أن تكون صلاته مثمرة فلا بد له أن يؤديها بفرح وسرور». وذكر عنه أنه قال: «إن الإنسان لا يمكن أن يعبد الله بحزن وكآبة، لأنه إذا كان واعياً لقرب الله وحبه له، فلا بد وأن يشعر أنه سعيد»[١]. وقال يعقوب يوسف هاكوهن: «إن الصلاة يجب أن تؤدَّى بفرح عظيم، وبصوت عال، وبحركة توحي بالفرح والسعادة»[٢].

وقال الصديق إسرائيل فريدمان روزن (ت ١٨٥٠ م): إن من لا يعبد الله بسعادة فكأنه لم يعبده تماماً[٣].

ولما كانت الأغاني والألحان تعبِّر عن الفرح والسعادة فقد أخذ الحسيديم يلحِّنون في صلاتهم ويغنون فيها. وكان الكثير من الصديقيم يفعلون ذلك في صلاتهم. وقد ذكر الصديق أليملخ ليزنسك (ت ١٧٨٧ م) أن الصديقيم في زمانه كانوا يغنون أحلى الغناء، ويلحنون أروع الألحان عندما يؤدُّون صلاتهم. ويقول أخوه زوسيا (ت ١٨٠٠ م): إن عبادة الله مع البكاء مقبولة وعبادته مع السعادة والأغاني مقبولة كذلك، لكن تأثير الأولى محدود، أما الثانية فتأثيرها بلا حدود. وقال سلومون زلمان (ت ١٩٠٠ م) حفيد شنيور زلمان: إنه من أجل أن تجلب العناية الإلهية من العوالم العليا، على المصلِّي أن يغني، حتى كأن روحه تريد أن تذوب شوقاً إلى ربها[٤].

ومما تميزت به صلاة الحسيديم أنها تتأخر كثيراً عن مواعيدها المقررة، وقد نُسب إلى بعل شم طوب قوله: «إن العبادة العفوية غير المحدَّدة بمواعيد تكون أكثر أهمية من تلك التي تحدَّد بها». وأحد الأسباب لهذا التأخير هو أن الحسيديم يحضِّرون للصلاة لوقت طويل، وقد برَّر ليفي إسحق برديشيف أهمية التحضير بقوله: «إن كل شيء يحتاج إلى تحضير، ولما كنا نريد الوقوف أمام الملك، فإننا يجب أن نفكر قبل الصلاة عماذا يجب أن نقول، وكيف نقوله وبأية طريقة». وفي الواقع فإن الحسيدي يحتاج إلى وقت أطول للتحضير للصلاة من الصلاة نفسها[٥].

---

(١) H. Robinowicz, the World of Hasidism, pp. 36 - 37.
(٢) E.L. Cooper, Am Segullah, p. 109.
(٣) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 121.
(٤) L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 69.
(٥) S.H. Dresner, the World of a Hasidic Master, p. 93.

ويقولون كذلك بأن النية هي أهم شيء في الصلاة، وأنه من غير الممكن أن يكون هناك وقت محدَّد للنية الصحيحة للصلاة، لأن النية تحتاج إلى تحضير. والنية تشبه شحذ الفأس، والصلاة تشبه قطع الشجر، فالذي يريد قطع الشجر لا بدَّ له من شحذ الفأس، وهذا يحتاج إلى وقت[١]. وبسبب ذلك فقد أصبح تأخير الصلاة عن مواعيدها ظاهرة بين المجموعات الحسيدية. فالشحريت (صلاة الصبح) تصلَّى أحياناً بعد الظهر والمنحاه (صلاة العصر) تصلَّى بعد غروب الشمس، بل إن البعض منهم يصليها قرب منتصف الليل[٢] وهذا شيء غير جائز عند بقية اليهود، ولذلك انتقدوا هذه الممارسة نقداً شديداً واعتبروها عملاً له دوافع شيطانية[٣].

وتختلف كذلك صلاة الحسيديم عن صلاة بقية اليهود الأرثوذكس في مضمونها، فهي ليست صلاة على الطريقة الأشكنازية، بل أضيف لها بعض أجزاء من الصلاة السفاردية، إلى جانب التقديم والتأخير بالمقارنة مع الصلاة الأشكنازية. وهم كذلك لا يقرأون فيها فيوطيم (أشعار دينية)، بل حذفوها منها. وليس عندهم حزانيم يؤمون الصلاة، بل عندهم ما يسمَّى بَعل تفلاه (سيد الصلاة) وهو أحد الحسيديم، وكثيراً ما يؤم الصلاة الصديق نفسه. وقد كان بعل شم طوب إمام الصلاة لأتباعه[٤].

ومكان الصلاة عند الحسيديم يختلف عن الكنيس عند اليهود الآخرين وكان مؤسس الحركة الحسيدية قد قال عن مكان العبادة: «إن الإنسان لا يحتاج إلى أماكن معينة محددة للصلاة، وليس هناك ضرورة للكنيس، إذ يمكن لليهودي أن يصلِّي في أي مكان حتى بين الشجر والغابات، وتكون صلاته مقبولة مسموعة»[٥]. ويسمِّي الحسيديم مكان صلاتهم Shtible «بيت صغير»، وهم لا يصلون فقط في هذا المكان، وإنما هو أيضاً مكان لحياتهم

---

(١) M. L. Wilensky, Hasidic Mitnagdic Polemics in the Jewish Communities of Eastern Europe: The Hostile phase, in G.D. Hundert, (ed). Essential Papers on Hasidism, p. 25.

(٢) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 135.

(٣) L. Jacobs, Hasidic Prayer, p. 49.

(٤) Z.M. Schachter - Shalomi, Spiritual Intimicy, p. 275.

(٥) E.L. Cooper, Am Segullah, p. 71.

الاجتماعية كذلك، فهم يأكلون فيه ويشربون ويرقصون. وهم أيضاً لا يلتزمون بالتقليد اليهودي في أن يكون مكان العبادة أعلى من غيره من البنايات القريبة منه، ولا يشترطون كذلك أن يكون في مكان عال. والحسيديم يقدِّسون كثيراً الأماكن التي صلَّى فيها صديقيم مشهورون. وما زال الحسيديم يقدِّسون المكان الذي صلى فيه بعل شم طوب، ويعتنون به في مدينة ميدزيبوج Medzibozh، بل إنهم لم يُجروا عليه تغييراً، وظلَّت حيطانه كما هي، ولا يسمحون لشخص أن يصلي فيه، وقد وضعوا حول مصلّاه سياجاً خشية أن يجلس فيه أحد دون قصد(١).

## تأثير الفرائض على الإنسان

يرى الحسيديم بأن الأوامر والنواهي الشرعية يجب أن تطاع من أجل ذاتها لا من أجل تأثيرها، ولكن عدم إطاعتها يكون له تأثير على الإنسان في هذا العالم، وهذا التأثير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، لأن الفرائض هي قوانين تحكم علاقة الإنسان بالكون الذي هو جزء منه. وهم يقولون بأن الأوامر والنواهي التي عددها في اليهودية ٦١٣ يقابلها أشياء حية في النظام الكوني وفي الجسم الإنساني. فالنواهي التي عددها ٣٦٥ تقابل أيام السنة، والأوامر التي عدها ٢٤٨ تقابل أعضاء الجسم والأعصاب(٢)، ولذلك يكون تأثير وتأثر في إطاعتها وعدم إطاعتها.

وهم يرون بأن المرض يسببه ذنب، وأن الاندفاع نحو الذنوب يسبب أنواعاً من الأمراض، وهناك مقطع في صلواتهم يشير إلى العلاقة بين الذنوب والأمراض وهو: «لتكن إرادتك أن لا أذنب بعد هذا، وأتضرع إليك أن تغفر ما أقترفه من ذنوب برحمتك، وليس بالعذابات والأمراض»(٣).

وقد عَزَى بعل شم طوب موت الأطفال في وقته إلى ذنوب اليهود(٤).

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 107.
(٢) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 124.
(٣) Z.M. Schachter, Shalomi Spiritual Intimicy p. 255.
(٤) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, 127.

وكان الصديق فنحاس كورتز يقول: «إن من لا يكذب لا يمرض»[١] وهم يروون قصصاً عن ذلك تأكيداً على صحة ما يقولونه، فهم يروون مثلاً بأن طفلاً كان قد أصيب بتخلف عقلي منذ الولادة، وعند البحث تبين أن أمه لم تكن قد اغتسلت الغسل الشرعي المطلوب منها[٢]. ولذلك هم يؤكدون على الحامل أن تتبع بشكل صحيح أوامر الشريعة ونواهيها، لأن في عدم الالتزام خطورة تنعكس على الطفل إذ قد يولد مريضاً أو مختل العقل. بل إنه من الضروري للزوج والزوجة أن يفكرا بالتوراة أو يستحضرا الصديقيم أثناء العملية الجنسية. وقد أكد بعض الصديقيم على هذا كثيراً.

وعندما تكون المرأة حاملاً فإنها يجب أن تكون حذرة أكثر مما لو لم تكن حاملاً. فهي مثلاً قبل أن تشعل الشموع ليوم السبت عليها أن تعطي صدقة وتدعو بدعاء خاص، بل إن تفكيرها يمكن أن يؤثر على الطفل، فإذا كانت مثلاً تفكر بشكل مستمر بقطة أو بكلب فإن طفلها قد يولد ويداه تشبهان مخالب حيوان[٣].

ومن القصص التي يروونها بهذا الصدد أن حسيدياً مسناً كان يعاني من مرض يعاوده بين فترة وأخرى، وبعد فحص واختبار تبين أن هذا الشخص كان قد قرأ كتاباً فلسفياً في شبابه، وأثناء قراءته للكتاب فهم التساؤلات التي فيه ولكنه لم يعرف الجواب عليها، فظلّت الشكوك مختمرة في ذهنه وتضرب على أوتار أفكاره، فسببت له هذا المرض[٤].

ومما يروونه أيضاً بأن شخصاً يهودياً كان قد عثر على جثته وفي جبهته ثقب وفي يده اليسرى ثقب آخر[٥]، وهما المكانان اللذان توضعان عليهما التفلين أثناء الصلاة. ومن القصص التي يذكرونها كذلك أن أحد الحسيديم في إسرائيل أصيب بجلطة قلبية، وعندما أخبر الزعيم الروحي الحالي لمجموعة الحسيديم اللوبافتش طلب من الذين اتصلوا به أن يسألوا خبيراً في التفلين

---

(١) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 8.
(٢) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 125.
(٣) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, pp. 82 - 3.
(٤) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 127.
(٥) Ibid, p. 125.

ليفحصهما ويتأكد منهما، وعند الفحص وجد أن هناك ثقباً على كلمة «قلب» التي في عبارة «اعبد الله من كل قلبك». وتذكر القصة بأنه بمجرد أن أصلح الثقب شفي الرجل من مرضه[1]. ويتأكد الحسيديم كذلك من أن المزوزة (علبة تحتوي على عبارات من التوراة توضع عند الأبواب) سالمة من الأخطاء أو العيب، إذ أن وجود عيب فيها كسقوط كلمة أو خطأ في الكتابة أو غير ذلك يكون له تأثير على ساكني الدار كما يعتقدون[2]. بل إنهم يقولون إن إهمال الواجبات الدينية يؤثر على الطائفة اليهودية كلها. فالشتات اليهودي كان سببه اقتراف اليهود للذنوب، وأن الاستمرار في ذلك يزيد من العقاب، ويطيل فترة الشتات، ويؤخِّر ظهور المخلِّص[3].

---

(١) Ibid, p. 126.
(٢) D. Meijers, Ascetic Hasidism of Jerusalem, p. 101.
(٣) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 129.

# الفَصل الخامِس

# السَّعَادة

# السّعادة

يعتبر مبدأ السعادة في الحركة الحسيدية من المبادىء الرئيسية والمهمة فيها، وقد بدأ التأكيد على هذا المبدأ مع بداية الحركة نفسها. وكان أول الداعين له والمؤكدين عليه مؤسس الحركة نفسه بعل شم طوب، حيث اعتبر السعادة شيئاً ضرورياً لليهودي والحياة اليهودية. وكنا قد ذكرنا بعض أقواله سابقاً، ومن أقواله أيضاً: «إن جلال الله لا يكون حيث يكون الحزن، بل يكون حيث يكون الفرح والسعادة»[١] ومن أقواله كذلك: «إن الله يفرح عندما يفرح أبناؤه. وفرحتهم تكون عندما يطبقون فرائضه». وقال أيضاً: «إن السعادة الدنيوية هي الثواب الحقيقي، وهي أعظم ثواب لتأدية الأعمال الصالحة وتطبيق الفرائض. وإن الثواب في العالم الآتي هو ثواب عرضي»[٢]. وقال كذلك: «إن السعادة المادية تؤدي إلى السعادة الروحية»[٣].

ومن جانب آخر أصبحت الأفكار التي تتسم بالحزن والكآبة منذ البداية مرفوضة عند الحسيديم، وقد حثَّ مؤسس الحركة الحسيدية على إبعاد الحزن والتخلُّص منه، وقد طلب من أتباعه أن لا ييأسوا أو يحزنوا حتى في حالة اقتراف الذنب. وكنا قد ذكرنا بعض أقواله فيما يتعلق بموضوع الحزن، ومن أقواله في ذلك: «على الإنسان أن يقهر الحزن ويرفع من نفسه إلى عالم السعادة، وإذا ما أذنب فعليه أن لا يلوم نفسه على الذنب»[٤] ومما قاله

(١) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 29.
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 36.
(٣) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 19.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 36.

كذلك: «إن أبانا في السماء يكره الحزن»[1]. وقد ذكرنا قوله أيضاً: «بأن جلال الله لا يكون حيث يكون الحزن...» وكان من نتيجة الأخذ بمبدأ السعادة أن أصبح الرقص والأغاني والموسيقى تعبيراً عنها، وأصبح لهذه الثلاثة مكان مهم في معتقدهم وفي ممارستهم، واعتبروا ذلك أيضاً معبِّراً عن الصلاح والتقوى وجزءاً من العبادة.

ويقول الحسيديم بأنهم لم يأتوا بِدْعاً في هذا المجال إذ أن الموسيقى والغناء لهما أهمية في اليهودية وعند اليهود قبل ظهور الحركة الحسيدية. فقد ذكر في التوراة أن النبي إليسع عندما كان يريد التنبؤ كان يطلب أن يؤتى له بعوَّاد يضرب له بالعود. وقد جاء ذلك في سفر الملوك الثاني ٣/ ١٥: والآن فأتوني بعوَّاد، ولما ضرب العوّاد بالعود كانت عليه يد الرب». ونسب إلى داود النبي بأنه كان حاذقاً بالضرب على الآلات الموسيقية، وقد جاء عن ذلك في سفر صموئيل الثاني ٦/ ٥ ما نصه: «وكان داود وكل بيت إسرائيل يضربون أمام الرب بكل آلة من السرو بالكنارات والعيدان والدفوف والجنوك والصنوج».

ويقول الحسيديم كذلك بأن أكثر المزامير التي تنسب إلى داود كانت تُغَنَّى مع آلات موسيقية، وكان موسيقيو المعبد مقسمين إلى أربعة وعشرين موسيقياً، ثم بعد تهديم المعبد انتقل الغناء إلى الكنيس، وظهر مجموعة من المغنِّين المنشدين الذين يطلقون عليهم حزانيم. ويعبِّر الغناء عند الحسيديم عن تماسك الجماعة ووحدتها، ويقولون بأن للغناء معنى تحلِّق فيه روح الإنسان إلى الآفاق العليا وترتقي، وقد اعتقد هؤلاء بأن الإنسان يكون قريباً من الحضرة الإلهية فقط عندما يكون سعيداً ومسروراً. وقد ألَّف الحاخام اسحق لوريا وغيره من أتباع القبلاه أنغاماً بقيت وظلَّت معروفة إلى الآن.

وللحسيديم أقوال كثيرة في أهمية الأغاني وتأثيرها، وأكثر هذه الأقوال تعزى إلى الصديقيم، وكان مؤسس الحركة الحسيدية نفسه قد أكَّد على الأغاني، ومن أقواله في ذلك: «إن الرقص والأغاني يطردان الرغبات والأفكار الشريرة». بل قال أيضاً: «حتى في أغاني غير اليهودي هناك شرارات

---

(١) Ibid, p. 37.

إلهية»[١]. وقال الصديق نحمان براسلاف: «إن كل فرع من فروع المعرفة له لحنه الخاص به، حتى حكمة أبقراط لها لحنها الخاص. وكل علم له لحنه الذي يناسب طبيعته وأهميته. وكلما كان العلم أعلَى درجة وأرفع منزلة كان لحنه المرتبط به أكثر دقة وشفافية، فيتسامى إلى الأعلى ليصل إلى المبدأ الأول للخلق حيث الفيض الإلهي». وقال كذلك: «إن الطريق الوحيد للابتعاد عن هذا العالم والاتصال بالله هو طريق الأغاني. بل إن الأغاني يمكنها أن تمنع الكوارث»[٢].

وكان صديق مجموعة «غر» الحسيديم يقول: لو كنت مباركاً بصوت حلو جميل لغنيت لكم كل يوم لحناً. إذ أن العالم يتجدَّد كل يوم وتُخلَق معه أغان جديدة. بل إن الحسيديم فسَّروا بعض عبارات التوراة تفسيراً يخالف التفسير التقليدي المعروف، وربطوه بموضوع الأغاني. كتفسيرهم لعبارة سفر التثنية ٢٢/ ٤ والتي تقول: «إذا رأيت حمار أخيك أو ثوره واقعاً في الطريق فلا تتغافل عنه بل أنهضه معه» والتي تفسر تقليدياً على أنها تشير إلى الحيوان الذي سقط على جانبي الطريق، على أنها تعني أن على الشخص أن يساعد المغنِّي وذلك بالانضمام إليه. وجاء في كتاب «نحمد مذهب» (أنفس من الذهب) للصديق حزقيال إشارات كثيرة جداً إلى الأغاني والرقص وأهميتها[٣].

وقد عرف عن بعض الصديقيم بأنهم كانوا مغنِّين حاذقين، فقد كان الصديق ليفي إسحق برديشيف مغنياً معروفاً ومحباً للغناء، حتى قيل بأن أغانيه هي الأغاني الشعبية المفضَّلة لدى اليهود في أوروبا الشرقية (سابقاً)[٤] وكان الصديق الرائي يؤدي بعض الصلاة غناءً[٥]. وكان الصديق شنيور زلمان مؤسس جماعة اللوبافتش مغنياً حاذقاً، وكانت أغانيه تساعده على حلّ بعض المشاكل التي واجهته. ويروي اللوبافتش في ذلك قصصاً. فقد رَوَوا بأنه عندما واجه معارضيه من اليهود غير الحسيديم الذين أمطروه بأسئلة كثيرة حول المعتقدات الحسيدية أمام جمع من الناس، أخذ هذا الصديق يغنِّي لهم أغاني

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 36 and 194.
(٢) Ibid, pp 195 - 196.
(٣) Ibid, pp. 197 - 198.
(٤) S.H. Dresner, The World of a Hasidic Master, p. 101.
(٥) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 197.

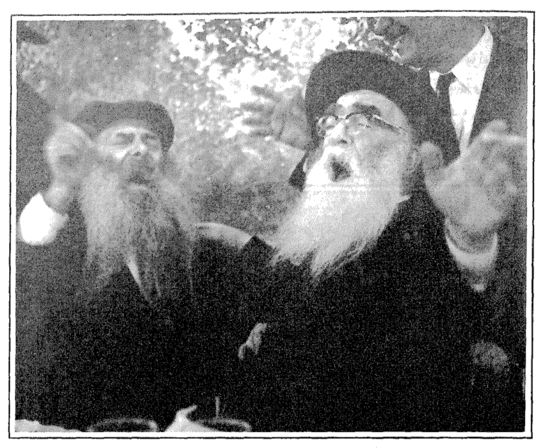
من تأليفه. وقد كان لهذا اللحن تأثير كبير على معارضيه وإزالة شكوكهم[1]. وعندما كان يدرِّس تلميذاً من تلاميذه ووجده لا يستوعب ما يقول غنَّى له أغنية ففهم التلميذ ما أراده أستاذه[2]. وكان الصديق أرياه ليب (شيخ شبولا) ـ الذي سيأتي الحديث عنه ـ مغنِّياً معروفاً، وألف هو نفسه بعض الأغاني ولحَّنها. ومن أغانيه أغنية حوارية مشهورة عند الحسيديم يغنونها كثيراً. وكان المغيد أيضاً قد ألف مجموعة من الألحان عرف بها[3]. ولكل مجموعة من المجموعات الحسيدية أنغام وألحان تتميز بها، وأصبح من الممكن تمييز مجموعة حسيدية معينة عن غيرها من خلال النغم الذي تغنِّيه.

وقد أصبح الرقص عندهم كالغناء مظهراً من مظاهر الفرح والسعادة وتعبيراً عنهما كما ذكرنا. وهم يعتقدون بأنهم يتبعون تقليداً يهودياً ذكر في التوراة، فقد ذكرت التوراة عن بعض الأنبياء بأنهم رقصوا تعبيراً عن شكر يؤدُّونه للرب. فمريم النبية أخت النبي موسى كانت قد رقصت عند عبور البحر، كما ورد ذكر ذلك في سفر الخروج ١٥/ ٢٠/ ٢١: «فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف، ورقص، وأجابتهم مريم رنِّموا للرب فإنه قد تعظَّم. الفَرَسُ وراكبه قد طرحهما في البحر». وجاء في سفر صموئيل الثاني ١٦/ ١٢ ـ ١٦ عن داود ما نصه: «فمضى داود وأصعد تابوت الله بفرح من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود. ولما خطا حاملو تابوت الرب ست خطوات ذبح ثوراً وعجلاً مسمناً، وكان داود يرقص ويدور على نفسه بكل قوته أمام الرب، وكان داود متمنطقاً بأفود من كتان... ولما دخل تابوتُ الرب مدينة داود، أطلَّت ميكال ابنة شاؤول من النافذة ورأت الملك داود يقفز ويرقص أمام الرب، فازدرته في قلبها».

ويقولون بأن الأعياد منذ القدم كانت تصاحَب بالرقص، مثل عيد المظال. وقد ذكر التلمود كذلك بعض أنواع الرقص الذي يشارك فيه رؤساء اليهود والعلية منهم.

---

(١) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman of Liadi, p. 248.
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 196.
(٣) Ibid, pp. 194 - 195.



حسيديم يغنون.

وكان الرقص كذلك شعيرة من شعائر المعبد اليهودي، وعند الحسيديم أصبح الرقص مكملاً للأغاني، ولم يقتصر على ما يسمّى برقص المنديل الذي يؤديه أقرباء العروسين وأصدقاؤهم أثناء الاحتفال بالزواج، بل أصبح الحسيديم يرقصون أيام السبت، وفي المناسبات الدينية، وفي ذكرى وفاة الصديق وعند قبره.

ويعتبر الحسيديم الرقص صلاة وتجربة روحية وصوفية، وهو في رأيهم تعبير عن حب الراقص لخالقه. وقال بعل شم طوب: «إن رقص اليهودي أمام ربه عبادة».

وقال صديق مجموعة البلز الحسيديم: «لا أتمكن أن أخبركم عن السبب الذي يجعلني أرقص بمناسبة «سمحت توراة» (عيد فرح التوراة)، ولكني أتمكن أن أقول لكم إن الصلوات التي لا تصعد إلى الرب خلال السنة كلّها

تصعد له في هذا اليوم خلال الرقص»[1] وقال الصديق أبراهام: «إن رقصي بالنسبة إلى الخالق هو أكثر أهمية من صلاتي» وقال الصديق نحمان براسلاف: «إن الإنسان يحصل من خلال الرقص على أصل البركات». وكان يقول: «إن الرقص فريضة مقدسة» وقد ألف هذا الصديق أدعية تقرأ قبل أداء الرقص. وكان هو وبعض الصديقيم الآخرين من الداعين إلى أداء الرقص في كل مناسبة سواء أكانت مناسبة فرح أم حزن[2].



حسيديم يرقصون مع الصديق.

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 198.
(٢) Encyclopaedia Judaica, **Dance.**

وقد حذق بعض الصديقيم الرقص كما حذقوا الغناء، ومن هؤلاء كان الصديق نحمان فقد كان راقصاً متميزاً، حتى قال بعض الحسيديم عن رقصه: «بأن من لم يَرَ رَقْص الصديق نحمان براسلاف فإنه لم ير خيراً حقيقياً». ونقلوا عن الصديق ليفي إسحق برديشيف بأنه عندما كان يرقص كان يسود العوالم العليا الصمت والسكون، وكانت الملائكة في السموات العلا تقطع أنفاسها وتتوقف عن مديح الخالق، بل وتسود السموات سعادة روحية عظيمة لا تماثلها سعادة[١].

وفي احتفال «سمحت توراة» فإن رقص الحسيديم يختتم برقص صديقهم الذي يكون قمة الاحتفال، حيث يلبس طاليت الصلاة ويحمل نسخة التوراة عالياً، والحسيديم يرقصون ويصفِّقون من حوله. وكثيراً ما يرقص الحسيديم بشكل دائري، وهم يرمزون بذلك إلى أن كل واحد منهم حلقة في سلسلة في دائرة ليست لها بداية أو نهاية، وأنهم متساوون ليس هناك شخص أعلى من الآخر حيث لا يكون هناك غيرة أو حقد.

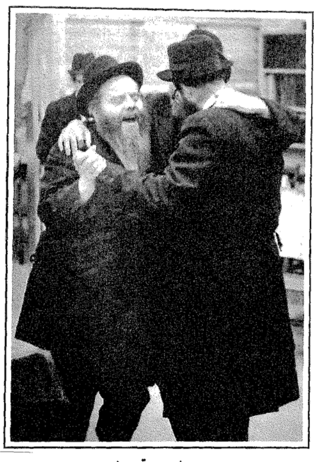
ومما يرتبط بالسعادة عند الحسيديم شرب الكحول. ويقول الحسيديم حول علاقة شرب الكحول بالسعادة: «لما كان من غير الممكن للروح أن تسعد مع الله إلا إذا كان الجسم سعيداً، لذلك أمرتنا التوراة أن نسعد الجسم بأكلنا اللحم والسمك وشرب النبيذ. إذ عندما ينعم الجسم بالسعادة فإن الروح تتمكن من أن تنعم بالسعادة كذلك وتلتصق بالرب»[٢].

وقال المغيد: إن هناك نوعين من الحمرة: النوع الأول هو الذي يرمز للقوة، والثاني هو لون النبيذ. وهذا يمثِّل السعادة. ومن خلال النوع الثاني للحمرة فإن الحمرة الأولى تُخفف»[٣]. (القوة هي إحدى السفيروت العشر، وخلال هذه السفيراه تصدر الأحكام الإلهية الشديدة. وهي في فكر القبلاه يقابلها اللون الأحمر) وكانت هذه العادة قد بدأت في وقت مبكر عند الحسيديم، حتى ذكر عنهم بأنهم كانوا يشربون الويسكي قبل الذهاب إلى النوم»[٤].

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 194ff.
(٢) A. Werthein, Law and Custom in Hasidism, pp. 39 - 40.
(٣) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 31.
(٤) A. J. Heschel, The Circle of Baal Shem Tov, p. 30.

وقال أحد علمائهم عن هذه العادة: «إنّ من عادة أكثر الحسيديم أن يشربوا ميد (وهو نوع من الشراب الكحولي) في يوم السبت بعد الانتهاء من الغسل، لكي يشعروا بحب عميق للرب خلال صلاة المنحاه والمعاريف، لأن الصلاة في السبت تحتاج إلى نية أصدق من تلك التي خلال أيام الأسبوع. ومن الحسيديم من يشرب كثيراً حتى إنه لا يتمكن أن يفرق بين الأشياء[1].



حسيديم يرقصون.

بل إن بعض الصديقيم قد شجّع على شرب الكحول وأعطاه أهمية دينية، فقد قال الصديق أرياه ليب (شيخ شبولا): عندما يعطي اليهودي صديقه شيئاً من الخمر ليشرب فإن ذلك يعتبر صدقة حقيقية، لأنه بهذا يقوّي قلب

---

(١) Ibid, p. 31.

صديقه وينعش روحه. وقد قال حاخامونا: «إن من أحيا نفس يهودي فكأنما أحيا الناس جميعاً»[١].

وكان الصديق فنحاس كورتز ـ الذي سنتحدث عنه فيما بعد ـ قد جعل شرب الكحول عادة لأتباعه، وكان قد مرّ على قرية في إحدى سفراته فقال: «كيف تسكن الحكمة هذه المدينة وأهلها لا يشربون إلا قليلاً من النبيذ. إذ قد جاء في الغمارا (شرح المشناه): إن النبيذ يجعل الإنسان حكيماً». وقال مرة كذلك: «إن شرب الكحول يزيد الحب بين اليهود»[٢] وكثيراً ما يكثر الحسيديم من شرب الخمر في الأعياد الدينية. وهناك حادثة معروفة يذكرها الحسيديم في أدبياتهم حدثت أيام بعل شم طوب تتعلق بالذي ذكرناه. فقد ذكر أن بعل شم طوب كان يحتفل مع أتباعه في بيته بعيد «سمحت توراة»، فجاءته زوجته وطلبت منه أن يأمر أتباعه بالتوقف عن الرقص وشرب النبيذ، حيث أن النبيذ كان على وشك أن ينفد ولا يبقى منه شيء لصلاة القدوش والهفدلاه، فقال لها بعل شم طوب: اطلبي أنت منهم ذلك. وبعد قليل رآها وهي تحمل إناءين كبيرين من النبيذ جاءت بهما من السرداب إلى المكان الذي يرقص فيه الحسيديم، وعندما رآها زوجها سألها عن السبب الذي جعلها تغيِّر رأيها، ولماذا هي تزودهم بالنبيذ. فقالت له: إنها عندما ذهبت لتخبرهم بالتوقف عن الرقص رأت هالة مقدَّسة تحيط بهم أثناء ما كانوا يرقصون، ولذلك أعطتهم النبيذ مرة أخرى»[٣].

وقد سئل أحد حاخاميهم الكبار يوماً عن السبب الذي يجعل الحسيديم يقبلون على الخمر والنبيذ بعد الصلاة، بينما اليهود الآخرون من غير الحسيديم يقرأون التوراة بعد الصلاة. وكان جواب هذا الحاخام بأن المتناغديم يصلون صلاة باردة دون اندفاع أو عواطف، وتبدو صلاتهم بلا حياة، وبعد انتهائهم من الصلاة يدرسون المشناة وهو شيء مناسب لمن يريد أن يندب ميتاً. ولكن صلاة الحسيديم شيء حي، والناس الأحياء يحتاجون إلى شراب[٤].

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 338.
(٢) A. J. Heschel, the Circle of the Ball Shem Tov, p. 30.
(٣) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, pp. 165 -6.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 189.

وبعض الصديقيم تحفَّظوا حول شرب الكحول والإكثار منها، وقد قال الصديق أليملخ: ـ الذي سيأتي ذكره فيما بعد ـ «على الإنسان أن يحفظ نفسه من شرب الكحول التي تسكره، لأن شرب الكحول هو مرض يوصل الإنسان إلى الحضيض»[1]. وقال صديق آخر: «يجوز للحسيدي أن يشرب الكحول إذا كان خال من الانفعال. وفي هذه الحالة يمكن أن يشرب باعتدال، ولا يصح له أن يسكر»[2]. وقال الصديق نحمان براسلاف: «إن الذي لم يكمل نفسه عليه أن يبتعد عن شرب الخمر، لأنه يزيد حركة الدم ويسبب أنواعاً من الذنوب: بل إن شرب الخمر يؤثر على دخل الإنسان ويجعله فقيراً. ولكن الخمر يقوي عقل الرجل الكامل ويجعله أكثر كمالاً»[3].

وكان مناحم مندل فيتسبك قد حذَّر ابنه في وصيته وطلب منه أن لا يشرب خمراً أيام الأسبوع، إلا إذا جاءه زائر أو كان هناك سبب آخر. وفي هذه الحال يجب عليه أن لا يشرب أكثر من كأس واحدة، وحذَّره من أن يصبح مخموراً، وطلب منه كذلك أن لا يشرب في عيد الفوريم وعيد «سمحت توراة» أكثر من ثلاثة كؤوس من النبيذ[4].

وممّا له صلة بعادة شرب الكحول عادة أنشأها الحسيديم ويسمونها «تقّون» وهو يعني حرفياً «إصلاح، تصحيح، تعويض». ويطلق هنا على مبلغ من المال يعطيه الحسيد إلى جماعته الحسيديم ليشتروا به شيئاً من المشروبات الكحولية و «الكيك» لمناسبة تكون له. كأن يكون قد احتفل بذكرى وفاة أمه أو أبيه أو قريب له، أو أن ابنه قد خطب أو ابنته قد خطبت، أو أن الشخص يمرّ في أزمة مرضية أو مالية، أو أنه شارف على الإفلاس في تجارته، أو اشترى بيتاً جديداً أو أثاث بيت جديد، بل أحياناً يعطيه من يشتري قبعة جديدة. وكان أحد الصديقيم يقول عندما يمرض: «اعملوا لي ولعلماء التوراة الصالحين وليمة حتى أعافى من المرض». وعندما يشرب الحسيديم الكحول يرفعون كؤوسهم ويقولون للشخص الذي أعطى التقون «من أجل صحتك».

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 41.
(٢) Ibid, p. 41.
(٣) Ibid, p. 41.
(٤) Ibid, p. 339.

والمسؤول عن أخذ مبلغ المال هو الغباي (الحاجب) الذي يعتني بالكنيس، ويقوم على شؤونه، ويعتني بحاجات مرتاديه. ومن واجبات هذا الحاجب أن يتأكد من أن الكنيس لا يخلو من الكحول. إذ أن الاحتفال للتقون يكون في الكنيس. وقد أخذ اليهود غير الحسيديم يقلدونهم في هذه العادة في الفترة الأخيرة[١].



حسيديم يرقصون.

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, pp. 337 -8.

# الفصل السادس

# الصّديق (المرشد الروحي) ومكانته عند الحسيديم

- زيارة الحسيد للصديق
- الفديون (الفدية)
- اجتماع الصديق مع الحسيديم يوم السبت.
- أكل الحسيديم لبقايا طعام الصديق
- ذكرى وفاة الصديق.

# الصّديق (المرشد الروحي) ومكانته عند الحسيديم

ينظر الحسيديم إلى مرشدهم الروحي (الصديق) نظرة تختلف عن نظرة بقية اليهود إلى زعمائهم الدينيين. فالحسيديم لا يعتبرون زعيمهم رجل دين فحسب، وإنما يرون فيه معلّماً ومستشاراً وأباً روحياً ومخلوقاً مقدّساً. وزعيمهم الروحي ليس هو المسؤول الديني الذي يفتيهم في المسائل الشرعية وإنما هناك حاخام للمجموعة له هذه المهمة. وهذا الزعيم ليس كالحاخامين الآخرين يحتاج إلى مؤهلات رسمية - وإن كان أكثر المرشدين الروحيين مؤهلين - ليصبح مرشداً روحياً. وهو كذلك ليس مثل الكاهن اليهودي الذي يحصل على الكهانة بالوراثة والتي تستمر في نسله ولا تنقطع عنه طبقاً للشريعة اليهودية، إذ ليس من الضروري أن تكون الزعامة وراثية وإن كانت هي كذلك في كثير من الأحيان.

وكان المغيد - دوف بائر - خليفة بعل شم طوب - الذي مرّ ذكره - يعتبر أول من جعل للصديق مكانة خاصة تميزت بالقدسية والهيبة والتجلة. وكان هو نفسه قد طبق ذلك عملياً بسلوكه. وقد ذكرنا كيف كان يعزل نفسه، وكيف كان يظهر لأصحابه بلباسه الخاص ذي اللون الأبيض. ولكن الذي عزّز من مكانة الصديق وأعطاه صورة مثالية أكثر هي الأقوال التي قالها الصديقيم أنفسهم خلال تاريخ الحركة الحسيدية، بدءاً ببعل شم طوب وانتهاء بالصديقيم في وقتنا الحاضر.

وسنذكر في هذا الفصل بعض ما قاله هؤلاء في حق الصديق ومكانته.

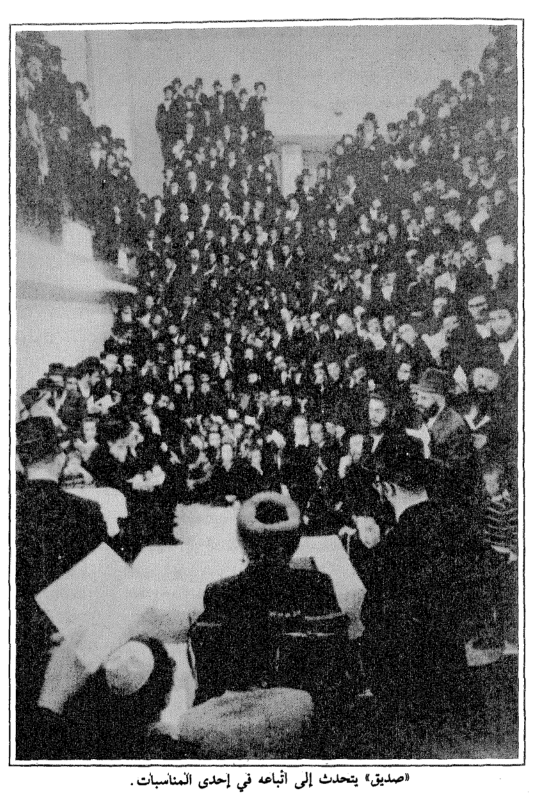
وعلى الرغم مما في هذه الأقوال من تطرف ومبالغة ـ كما نعتقد ـ فإننا سوف نعرض ما يقولونه دون تعليق أو نقد.

فالصديق عند الحسيديم قد خُلق منذ البداية لمهمة عليا، ولذلك فهو مقدس من رحم أمه، وإن جسمه مخلوق من مادة أكثر شفافية من غيره، بحيث أنه يتمكن أن يعبد الله من خلال شهواته الجسمانية. وإن جسمه هو جسم مفصول عن هذا العالم الدنيوي، وكأنه ليس منه، وهو مشغول دائماً بالتأمل بالأفكار السامية سواء أكان نائماً أم صاحياً.

والصديق كذلك يحمل روح موسى النبي، وقد قال دوف بائر: «إن الصديق ليس فقط هو أكثر الناس كمالاً وأنه لا يقترف ذنوباً، بل إنه مثل موسى ويمثل الإله». وقال كذلك: «إن كل ما يقوم به الصديق من فعل أو عمل أو تفكير إنما يكون له تأثير على العوالم العليا والسفلى. وإن الإله يكشف عن نفسه من خلال ما يقوم به الصديق. حتى الأفعال التافهة تعتبر شيئاً مهماً عندما يقوم بها الصديق. فالطريقة التي يلبس بها ملابسه أو يشدّ خيوط حذائه أو يدخن سيجاره، أو يمزح، كل هذا يرتبط بعلاقة الصديق بالإله، وهو يؤديها على أنها واجبات دينية»[١].

وقال الصديق ليفي إسحق برديشيف: «إن كلمات الصديق أكثر أهمية من كلمات التوراة وكلمات الأنبياء». وهم يرون بأن مايقرره الله يتمكن أن يلغيه الصديق، إذ جاء في التلمود: «بأن الصديق يقرر والله ينفذ». بل ويتمكن الصديق من أن يغيِّر قرار موت ضد إنسان ويحرز له الرحمة[٢]، ويتمكن أن يغير القرارات الإلهية ضد اليهود ويلغيها قبل أن تقع. بل إن الصديق يتمكن أن يأتي بحكم ضد أعداء اليهود إذا رغب. ويُروَى عن صديق مجموعة Stoline الحسيدية أنه كان مريضاً في السنة الأخيرة من حياته، إذ دخل عليه حاجبه مرة فرآه ينضح عرقاً، فسأله عن حاله فأخبره الصديق بأنه كان في السماء يمنع قراراً اتخذه العرب لمحاربة اليهود[٣].

(١) H. Graetz, Popular History of the Jews, vol. 5, p. 343.
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 81 ff.
(٣) J.R. Mintz, Legends of the Hasidism, p. 374.



«صديق» يتحدث إلى أتباعه في إحدى المناسبات.

وإن دور الصديق في هذا العالم ليس له حدّ أو مقياس لأن الخلق كله كان من أجل الصديقيم. وقوة الصديق غير محدودة وهو يتمكن أن يرى ما لا يراه الآخرون، وبنظرة إلى الإنسان يتمكن أن يعرف حقيقته وتكوينه. وإن كلامه صافٍ ومقدّس، بل إن كلامه يصفّي فكر المستمع. بل إنّ الملائكة يُخْلَقُون من كلامه الذي يتفوّه به عن التوراة، بل وتُخْلقُ الملائكة من صلاته، بل حتى أنهم قالوا إن ما في قدرة الله هو في قدرة الصديق(١).

ولا يمكن بأية حال من الأحوال أن تنتقد أقوال الصديق وأفعاله، فكما لا يجوز نقد التوراة في أقل مسائلها وأحكامها، كذلك يحرم على الحسيد أن ينتقد الصديق الذي يعيش في جيله حتى لو قام بأعمال لا يعرف لها سبباً، لأن الصديق عادل في سلوكه وما يقوم به إنما هو من أجل السماء. وهم يقولون كذلك: لما كانت روح الصديق أعظم منزلة، وأصفى معدناً، وأشرف أصلاً من روح الإنسان العادي، فإنه وحده الذي يتمكن أن يخوض الحرب ضد قوى الشر ونزعاته التي تحاول دائماً أن تأخذ الإنسان إلى الحضيض وتقوده إلى العوالم السفلى(٢).

ويتسامى الحسيد روحياً ويزداد فضله ويصل إلى القدس الأعلى عندما يربط صلاته بصلاة الصديق ويلصقها به، فبواسطة الالتصاق بالصديق يتمكن الحسيد من أن يتجاوز الحدود المادية، ويحقق الجانب الروحي والكمال الأعلى والقدسية الإلهية، إذ الصديق هو الواسطة للوصول إلى الله كما كان موسى واسطة بين اليهود وبين الرب(٣).

ولما كان الإنسان (اليهودي) العادي لا يتمكن أن يصل إلى مستوى الصديق، فإنه يجب أن يقنع بما عنده من مستوى خصّصه الله له، وأن لا يشغل نفسه بمسائل هي أعلى من مستواه، بل يجب عليه أن لا يقوم بأعمال خارج نطاق إمكانيته وحدودها.

---

(١) R. Mahler, Hasidism and the Jewish Enlightment, in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, p. 434.

(٢) Ibid, pp. 433 - 4.

(٣) H. Robinowicz, the World of Hasidism, p. 91.

وهو لا يمكن أن يكون قريباً من الله إلا إذا كان قريباً من الصديق، وإن الإيمان بالصديق هو الطريق الرئيسي لتقوية الدين ضد الارتداد والهرطقة، وإنه من غير الممكن لليهودي أن يطوِّر نفسه ويجعلها شفافة صافية إلا بواسطة الصديق، لأن الله يريد أن يكون التكامل في الكون بواسطة الصديق(١).

ويرى الحسيديم بأن الصديق قد يضطر أحياناً إلى النزول إلى مستوى الحسيد لينقذه، ويتمكن من التأثير عليه حتى لو اقتضاه ذلك اقتراف الذنب، لأن مثل هذا الذنب جائز بل إنه محبب. وقد ذكر الصديق أليملخ في كتابه «نئوم أليملخ» نقلاً عن التلمود (B. Nazir, 23b) النص التالي: «طوبى للذنب الذي يقترف من أجل السماء» ولذلك على الصديق أن يقترف مثل هذا الذنب لأنه ذنب من أجل خير اليهود(٢).

وقد قال الصديق ليفي إسحق برديشيف كذلك: «إن بعل شم طوب والمغيد قالا: إن على الصديق أن يرفع الحسيد من الطين والقمامة، ولذلك فإن عليه أن ينحدر إلى الطين والقمامة ليرفعه إلى الأعلى»(٣). وقد ذُكر عن بعل شم طوب أنه قال: «إنه من أجل أن ينقذ الإنسان إنساناً آخر من الطين عليه نفسه أن يدخل في الطين»(٤). وقد أصبح هذا المبدأ من المبادىء المشهورة عند الحسيديم وهو يسمى عندهم بمبدأ «يريداه لصروخ عالياه» (الهبوط من أجل الصعود). بل إن بعض الصديقيم يرى بأن الصديق في حال هبوطه تصبح درجته أعلى وأفضل مما كانت عليه قبل الهبوط، وأن الذنب الذي يقترفه إنما هو ذنب من أجل تقوية المقدس وإسناده(٥). وينتقد هذا المبدأ كثير من اليهود ويرون فيه مخالفة لقيم الدين وروحه، لأن الصديق قد ينغمر في الذنوب وينجرّ إليها ولا يتمكن من تخليص نفسه منها(٦).

---

(١) Ibid, p. 433.
(٢) J. Dan, The Teaching of Hasidism, p. 74.
(٣) S. Ettinger, The Hasidic Movement, Reality and Ideals in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, p. 234.
(٤) E. Wiesel, Souls on fire, p. 20.
(٥) راجع فصل «حياة بعض الصديقيم وأقوالهم».
(٦) Encyclopaedia Judaica, **Hasidism.**

## زيارة الحسيد للصديق

لقد أصبحت زيارة الحسيد للصديق شيئاً واجباً لا بدَّ للحسيد من أن يؤديه، حيث يذهب لزيارته على الأقل مرة في السنة، وغالباً ما تكون هذه الزيارة في المناسبات الكبرى عند اليهود. ولهذه العادة أصل في التلمود، فقد ورد فيه: «إن اليهودي يجب أن يزور حاخامه في المناسبات الدينية، ويجب أن يزوره كذلك في بداية الشهر وأيام السبت»[١].

وقد حث الصديقيم أنفسهم الحسيديم على زيارتهم، ولهم في ذلك أقوال. فقد قال الصديق نحمان براسلاف: «إن الذين يسافرون لزيارة الصديق يثابون على ذلك حتى لو لم يسمعوا التوراة منه». وقال صديق مجموعة Karlin الصديق شلومو: «إن من يزور الصديق تكون الحقول والغابات التي سافر خلالها في ميزان حسناته في العالم الآخر» وكتب لأتباعه يقول: «إن أهم شيء هو الإيمان بالصديق، خاصة ذلك الصديق الذي يسافر إليه الحسيد[٢]. وقال الصديق أوري شترلسك: «إن الحسيد يجب أن يسافر إلى الصديق حتى لو اقتضاه ذلك آلاف الأميال، وإنه يسمح له أن تفوته الصلاة ويسمح له أن تفوته قراءة التوراة بسبب ذلك»[٣].

وكانت زيارة الحسيد للصديق في السابق مرهقة ومتعبة إذ كانت سفرته تستغرق عدة أسابيع بسبب صعوبة الطرق ووسائل السفر، حيث يترك في هذه الفترة أولاده وزوجته، ومع ذلك فإن الحسيد يفرح بهذا السفر إذ أنه بالإضافة إلى رؤية الصديق والحديث معه والالتقاء به فإنه كان يجتمع في مقرّ الصديق بالحسيديم، حيث يتعرف عليهم ويشاركهم همومهم ويستفيد منهم ويرقص معهم. وكان كل ما يصرف على من يزور الصديق يخرج من الصندوق المالي المشترك، ويصل عدد الزائرين إلى المئات أحياناً بل إلى الآلاف.

وقد وصفت لنا سارة شنيرر ـ مؤسسة أول مدرسة للبنات اليهوديات ـ زيارة الحسيديم لزعمائهم في بداية هذا القرن فقالت: «وخلال شهر أيلول

---

(١) Talmud. Rosh Hashanah, 16 B.

(٢) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 238.

(٣) A. Wertheim, Traditions and Customs in Hasidism, in G.D. Hundert (ed.) Essential papers on Hasidism, p. 376.

تمتلىء القطارات التي تذهب إلى البلدات الصغيرة حيث يعيش الصديقيم. فالآلاف من الحسيديم يذهبون إليهم ليقضوا المناسبات الدينية معهم. وكل يوم ترى جماعات منهم متجمعين، مسنين وشباب، آباء وبنين، لابسين اللباس الحسيدي، يتزاحمون للحصول على مكان في القطارات، ومتحمسين لقضاء الأيام المقدَّسة خلال السنة في كنف صديقهم والتبرك بالبقاء معه. وميسورو الحال يقومون بهذه الرحلة عدة مرات في السنة، فيذهبون إلى مدينة غر، وبلز والكسندر، وبوبوف، وإلى كل البلدات التي أصبحت قلاعاً لهذه الحياة الدينية التي تهيمن عليها شخصية الزعيم الروحي»[١].

ويعتبر الحسيد زيارته لصديقه ذات أهمية خاصة، إذ يحصل فيها على بركة صديقه. وأنه سيحدثه حول مشكلة يريد حلها واستشارته حولها ورأيه فيها. وفي هذه الحالة تكون مقابلته لصديقه ذات معنى خاص وأهمية خاصة، ولها في هذه الحالة اسم خاص وهو «يحيدوت» وتعني «انفراد»، حيث ينفرد الحسيد بالصديق. ولأهمية هذه المقابلة فإن الحسيد يتهيأ لهذه المقابلة روحياً، فهو يذهب إلى الحمام ليغتسل ويتطهر، ويقرأ التوراة لعدة أيام أو لأسبوع. وكثيراً ما لا يأكل الوجبة الغذائية قبل المقابلة.

وفي السابق كان الحسيديم الذين عندهم موعد مع صديقهم يجتمعون في غرفة واحدة في الكنيس يدعون ويتعبدون ويبقون إلى ساعة متأخرة من الليل قبل يوم المقابلة، وعندما ينتهون من المقابلة مع صديقهم يرقصون رقصاً خاصاً يسمونه «رقص اليحيدوت» أو «رقص الطهارة». ورقصهم هذا هو تعبير عن فرحتهم بمقابلة صديقهم، واعتقادهم بأن مشاكلهم ستحل بعد مقابلتهم له[٢]. وفي الوقت الحاضر لا يختلف الوضع كثيراً، فالحسيد بعد مقابلته لصديقه كثيراً ما يعبر عن فرحته بالرقص، وأحياناً ينفجر بالبكاء، وفي أحيان أخرى يعمل الإثنين معاً[٣].

وعندما يبارك الصديق الحسيد في زيارته له فإن طريقة هذه البركة تختلف في مضمونها وفي طريقتها من صديق إلى آخر، فعند بعض الصديقيم

---

(١) L. Jung (ed.) Jewish Leaders, pp. 410 - 11.
(٢) N. Mindel, Rabbi Shneur Zalman, p. 136.
(٣) Z.M. Schachter Shalomi, Spiritual Intimicy, p. 199.

تكون فترة المباركة طويلة وتكون ضمن النصيحة التي يعطيها الصديق للحسيد. وبعض الصديقيم يقول البركة بشكل غير واضح، وهو يتعمد ذلك حتى لا يفهمها الحسيد. وبعض الصديقيم يقولها بشكل واضح. ويروى عن بعض الصديقيم بأنه كان يقول البركة على شكل لعنة وهي في الواقع ليست بلعنة، ويعلل الحسيديم ذلك بأن الغرض من ذلك هو التمويه على الشيطان واستغفاله، حتى يعتقد بأن الصديق إنما يلعن الحسيد ولا يباركه. وكان الصديق زوسيا يبارك الأطفال بقوله: «رزقك الله صحة كصحة الأغراب» والغرض من هذا أيضاً خداع الشيطان[1] لأن الشيطان ـ كما يعتقد الحسيديم ـ يلاحق الأغراب.

وبعض الصديقيم يبارك الحسيد وهو يمسك بيده، وبعضهم يضع يده على رأس الحسيد ويباركه، والبعض الآخر منهم يبارك الحسيد وهو قائم وليس قاعداً. ويذكر أحد الباحثين اليهود بأن الصديق حاييم هلبرشتام عندما كان يبارك الحسيد كان يصفعه على وجهه، وقد عرف وشاع بين أتباعه بأن الذي يصفعه الصديق لا بدَّ وأن تتحقق رغبته. وقد جاءه حسيد مرة وهو لا يعرف هذه الممارسة، فلما أراد الصديق صفعه خفض رأسه، وعندما أُخْبِرَ بفائدة هذه الصفعة فيما بعد رجع إلى الصديق يطلب منه أن يصفعه، ولكن الصديق ردَّ عليه بما معناه «سبق السيف العذل» وفات الأوان[2].

والنصيحة التي يقدمها الصديق للحسيد لا تقتصر أحياناً على النصيحة

---

(١) ومن الحالات التي تذكر لمسألة خداع الشيطان عند الحسيديم ما كان يفعله الحسيديم في أوكرانيا. فقد كان البعض من هؤلاء يبيع ولده إلى صديق أو قريب بيعاً ظاهرياً وليس حقيقياً حيث يعطى الأبوان مبلغاً من المال ويستعمل هذا في الصدقة، فإذا أراد الشيطان أن يصيب ابنهما بسوء يتبين له أنه قد بيع وأنه لم يعد ابنهما.

ومن التقاليد التي ترتبط بهذا الموضوع والتي تشيع ليس عند الحسيديم وحدهم بل عند غيرهم من اليهود كذلك هو تغيير اسم الطفل عندما يصيبه مرض خطير، والغرض من ذلك هو خداع ملك الموت، حيث يعتقد بأن هذا الطفل شخص آخر، فلا يقبض روحه ويسلم الطفل من الموت، وقد جاء في التلمود: أربعة أشياء تبعد الأذى عن الإنسان: الصدقة، الدعاء، تغيير الاسم، تغيير السلوك (Talmud, Rosh hashanah, 16B).

(٢) Z.M. Schachter - Shalomi, Spiritual Intimicy, p. 304.

الكلامية، بل تصاحبها أشياء عملية يصفها الصديق لحل مشكلة الحسيد، وكثيراً ما تكون هذه الأشياء لها ارتباط بالمناسبات الدينية وشعائرها، مثل الأطرنج، وخبز الفصح غير المخمر، والنبيذ، وطعام السبت وغير ذلك. ومن النادر أن توصف أشياء لا ترتبط بهذه كوصف أعضاء حيوانات أو غيرها[١].

ولما كان الحسيديم يهتمون بالأولاد كثيراً، وقولهم: «من ليس له ولد فهو ميت» يعبر عن ذلك، فإنهم يهرعون إلى الصديق بمجرد تأخر الحمل عن وقته المعتاد، يطلبون رأيه ويسمعون نصيحته. وربما يسأل الصديق الحسيد بعض الأسئلة قبل أن يعطيه نصيحته في ذلك، كأن يسأله إذا كان يأكل السمك والثوم طبقاً لما جاء في التلمود وغير ذلك من أسئلة. ومن الصديقيم من يطلب من الحسيد أن يغتسل بماء بارد صباحاً لفترة ستين يوماً، أو يطلب منه أن يشرب ماء المطر. وإذا علم الصديق بطريقة أو أخرى عدم رتابة الدورة الشهرية لزوجة الحسيد، فإنه يطلب منه أن تكون زوجته في ذهنه عندما يقرأ عبارة التوراة: «سوف لا يغير مواعيدهم» في رأس كل شهر. وكان بعض الصديقيم يطلب من الحسيد أن يقرأ قسم «ناشيم» (النساء) من المشناة[٢].

وهذه الوصفات تسمى «سيغولوت» (جمع سيغولاه) وهي تعني حرفياً وسائل مؤثرة. وهناك وسيلة أخرى يعطيها الصديق للحسيد وهي الحِرْز وتسمى بالعبرية قميع (وجمعها قميعيم وقميعوت). وتشتمل هذه على عبارات من التوراة، أو أسماء الله أو الملائكة، وتكتب على ورقة أو رقٍّ من أجل طرد الشر، وعادة ما تُغلَّف هذه الورقة بقطعة من الجلد أو القماش، وتعلق هذه عادة على رقبة الإنسان المريض أو المرأة الحامل أو الطفل المولود حديثاً[٣]. ولا بدَّ أن نذكر هنا بأن هذه الممارسة لا تقتصر على الحسيديم وإنما كانت شائعة بين اليهود الأرثوذكس بصورة عامة. وقد دارت نقاشات بين حاخامي اليهود حول ما إذا كانت كتابة مثل هذه الأحراز جائزة في يوم السبت لشخص يعاني مرضاً خطيراً[٤].

---

(١) Ibid, p. 248.
(٢) Ibid, p. 297.
(٣) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 358.
(٤) Ibid, p. 358.

وقـد دار نقـاش شهير بيـن حاخامَيـن معروفيـن همـا جيكـوب إمـدن (ت ١٧٧٦ م) وجـونثـان إيبشـوينـز (ت ١٧٦٤ م) حـول محتـوى بعـض هـذه الأحراز، حيث اتهم الأول الثاني بأن مضمون أحرازه تتضمن أفكاراً شبتائية (نسبة إلى شبتاي صبي)[١].

وهناك شيء آخر يعطيه الصديق للحسيد من أجل التبرك به وجلب الحظ السعيد له، مثل قطعة خبز، أو عملة معدنية، أو غيرهما. وتسمى هذه الأشياء «شميروت» (جمع شميراه)، وتعني حرفياً أشياء محروسة. والمعروف في الوقت الحاضر عن صديق جماعة الحسيديم اللوبافتش أنه يعطي دولاراً لمن يأتي لزيارته حتى لغير الحسيديم.

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Emden, Jacop.**

## الفديون (الفدية)

عندما يجتمع الحسيد بصديقه يعطي له شيئاً من المال يطلقون عليه بالعبرية فديون (فدية)، أو (فدية النفس). والفديون هذه لها أصل تاريخي عند اليهود، فقد وردت قصة في التوراة تشير إلى أن اليهود كانوا يعطون شيئاً من المال أو غيره إلى النبي أو إلى الرائي، من أجل الصلاة للشخص أو الدعاء له لقضاء حاجته.

وقد جاءت القصة بالنص التالي في سفر صموئيل الأول ٩/٣ ـ ١٠:

«فَضَلَّت أُتُنُ قيس أبي شاءول. فقال قيس لشاءول ابنه: خذ معك واحداً من الغِلْمان وقم اذهب وفتش عن الأُتُن. فعبر في جبل أفرايم، ثم عبر في أرض شليشه فلم يجدها، ثم عبرا في أرض شعليم فلم توجد، ثم عبرا في أرض بنيامين فلم يجداها. ولما دخلا أرض صوف قال شاءول لغلامه الذي معه تعال نرجع لئلا يترك أبي الأتن ويهتم بنا. فقال له: هوذا رجل الله في هذه المدينة والرجل مكرّم وكل ما يقوله يصير، لنذهب الآن إلى هناك لعلّه يخبرنا عن طريقنا التي نسلك فيها. فقال شاءول للغلام هوذا نذهب فماذا نقدم للرجل؟ لأن الخبز قد نفد من أوعيتنا، وليس من هدية نقدمها لرجل الله. ماذا معنا؟ فعاد الغلام وأجاب شاءول وقال: هوذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه لرجل الله، فيخبرنا عن طريقنا. سابقاً في إسرائيل كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلمَّ نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يُدعى سابقاً الرائي، فقال شاءول لغلامه: كلامك حسن هلمَّ نذهب إلى المدينة التي فيها رجل الله».

وبعد عصر التوراة كان اليهود أيضاً يذهبون إلى من اعتقدوا فيه الصلاح ليكون لهم وسيطاً في قضاء حاجاتهم والدعاء لهم. وقد جاء في التلمود: «إن من كان عنده مريض في البيت لا بدَّ وأن يذهب إلى أحد علماء التوراة ليتوسط له لاستنزال الرحمة». كما جاء في سفر الأمثال ١٤/١٦ «إن غضب الملك كرسول الموت لا يهدؤه إلا الرجل الحكيم»[1].

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 243.

ولكن الفدية عند الحسيديم تختلف عما كانت عليه سابقاً. فالهدية التي يعطيها الحسيديم إلى صديقهم إنما تحمل معنى خاصاً أكثر مما تحمله الهدية في العصور الماضية، فهي عند الحسيديم لا تسمى هدية كما كانت تسمى قبل ذلك؛ بل أعطيت اسماً آخر له أكثر دلالة وهو «فديون (هانفش)»، والتي تعني «فدية (النفس)»، وهي هنا تحمل معنى ارجاع دَيْن. ويعتقد الحسيد بأن إعطاءه الفديون إلى صديقه إنما يؤكد سلامته وسلامة من يتعلق به ومن يقرب له، وهو يفرح بإعطائها كما يفرح الأب اليهودي عندما يعطي فدية للكاهن عن مولوده البكر.

وليس هناك مبلغ معين لهذه الفدية وإنما تترك لإمكانية الشخص وقدرته، وفي أحيان أخرى يطلب الصديق مبلغاً معيناً للفديون، كما إذا كان الشخص عاقراً ويأمل ولداً، فيطلب الصديق مثلاً مبلغ ٥٢ وهذا الرقم يساوي كلمة «بن» بالعبرية بحساب الجُمَّل، أو يطلب مبلغاً يعادل اسم الشخص واسم أمه بهذا الحساب، ولكن في الفترة الأخيرة أصبح المبلغ ١٨ (ثمانية عشر) أو مضاعفاته هو المتعارف عليه لهذه الفديون. والرقم ثمانية عشر يساوي كلمة «حي» العبرية بالحساب نفسه.

والفديون ليست بِدْعة جاء بها الحسيديم إذ كانت موجودة كما ذكرنا سابقاً، ولكن البدعة على ما يبدو هي في الطلب الذي يكتبه الحسيد إلى صديقه مع الفدية، وفي هذا الطلب الذي يسمى عندهم Kvitl، يكتب الحسيد حاجته وحاجة أسرته ـ إذا أراد ـ، ويكتب بشكل واضح ومضبوط اسمه واسم أمه[١] وأسماء الأشخاص الآخرين الذين يدفع عنهم الفديون وأسماء أمهاتهم كذلك[٢]. وجماعة الحسيديم اللوبافتش يكتبون على ورقة الطلب العبارة التالية الموجهة إلى زعيمهم: «إلى قداسته الشريفة، إلى سيدنا ومعلمنا الذي نأمل أن يتمتع بحياة مديدة: الرجاء إثارة الرحمة من منبع الرحمات الحقة لفلان بن

---

(١) يقال بأن ذكر الأم بدل الأب هو تقليد لما جاء في المزمور ١١٦/٦ «أنا عبدك وابن أمتك». وبعض الحاخامين يقول لأن الأم هي الطرف المؤيد من بين الأبوين. ومن المعروف كذلك أن اليهودي يكون يهودياً عن طريق أمه عند اليهود الأرثوذكس.

(٢) A. Wertheim. Law and Custom in Hasidism, pp. 243 - 4.

فلان. وبعد الاسم تذكر حالة الشخص وما يراد لها، ويكتب المبلغ[1]، وكثيراً ما يكتب الغباي[2] بيده صيغة الطلب، ويعطيه الحسيد على ذلك شيئاً من المال، وقد أصبح للغباي دخل خاص من هذه الوسيلة. والطلب الذي يقدِّمه الحسيد إلى صديقه إما أن يعطيه هو له مباشرة مع الفديون أو يرسلهما معاً بالبريد مع رسول. ويقرأ الصديق الطلب بحضور الحسيد، وإذا أرسل بالبريد فإن الغباي هو الذي يقرؤه للصديق وما يجيب عليه الصديق يكتبه الغباي ويرسله إلى صاحبه. وإذا كان يصعب على الصديق قراءة الطلبات لكثرتها كما في عيد رأس السنة اليهودية، أو في يوم الكبور حيث يجتمع في هذه المناسبة عدد كبير منها فإنه يضعها في جيوبه، ويضع يده عليها ويقول: «أمنح بركاتي لكل الأشخاص أصحاب الأسماء في جيوبي من أجل حياتهم وحياة أبنائهم، ومن أجل رزقهم وسنة طيبة لهم»[3]. وبعضهم يضعها في كيس أو يلفها بقطعة قماش ويباركها[4].

ولا يعرف على وجه التحديد كيف نشأ أصل تقديم الطلب المكتوب مع الفديون عند الحسيديم. ولكن بعضهم يعزو ظهور هذا التقليد إلى مؤسس الحركة الحسيدية نفسه. فقد وجد على مخطوطة كتاب صلاة كان يقرأ بها بعل شم طوب أسماء بعض الحسيديم وأسماء أمهاتهم. وقد ربط الباحثون بين هذا وبين ظهور تقديم الطلب لدى الحسيديم. وقد ارتبطت بعض العادات بهذه الممارسة بعد أن أصبحت ثابتة. منها أن الطلب عندما كان يكتب بحبر فإن الكاتب لم يكن يضع عليه رملاً لتجفيفه كما كانت العادة آنئذٍ، وكان يحافظ على ورقة الطلب كيلا تسقط على الأرض إذ أنَّ سقوطها يعتبر نذير شؤم. كذلك كان يحاذر كاتب الطلب أن لا يُخْطِىء في كتابته إذ يعتبر الخطأ شيئاً جالباً للمآسي والشرور.

---

(١) Z.M. Schachter and E. Hoffman, Sparks of Light, p. 94.

(٢) الغباي هو مساعد الصديق وحاجبه والكلمة العبرية تعني أصلاً «حارس» «محافظ» جابي (صدقات). وقد ذكرنا سابقاً بأن الذي يشرف على الكنيس ويقوم على شؤونه يسمى غباي كذلك.

(٣) A. Wertheim, Law and Custom, pp. 244 - 245.

(٤) Z.M. Schachter, Shalomi, Spiritual Intimicy, p. 118.

ولما كان اعتقاد الحسيد راسخاً وقوياً بقدرة الصديق على تحقيق رغبته عند تقديم طلبه إليه، فإنه كان يحاول جهده في سبيل إيصال هذا الطلب إليه، حتى إنّ بعضهم كان يرسله في يوم السبت بيد شخص غير يهودي إذ أن سفره يوم السبت يكون مخالفاً لأحكامه. ويكتب الحسيديم طلباتهم هذه حتى بعد وفاة الصديق حيث يذهبون إلى قبره ويضعونها عنده. وقد اجتمعت آلاف الطلبات عند قبور بعض الصديقيم، ولكثرتها بنى لها الحسيديم أماكن خاصة بها عند القبر[1].

(١) A. Wertheim, Traditions and Customs in Hasidism, in G.D. Hundert, (ed.) Essential Papers on Hasidism, pp. 381 - 382.

## اجتماع الصديق مع الحسيديم في يوم السبت

قبل أن نتحدث عن اجتماع الحسيديم بصديقهم يوم السبت أرى من المناسب أن أذكر بأنَّ من عادة الحسيديم أن يغتسلوا احتفالاً بقدوم يوم السبت، وهم يغتسلون قبل مغيب الشمس عادة بساعة أو ساعتين من يوم الجمعة، حيث أن يوم السبت يبدأ بعد أن تغرب الشمس من هذا اليوم، وينتهي عند مغربها من يوم السبت وبعضهم يؤخره. وتكون الحمامات في الوقت الذي ذكرناه من أكثر الأماكن الحسيدية انشغالاً وأشدّها ازدحاماً. ويعتبر الاغتسال هذا واجباً عند الحسيديم، بل إنهم أوجبوه حتى لو وقع في الأسبوع الأول لموت الشخص، وهو عمل لا يجيزه بقية اليهود. وقد حثّ الصديقيم على هذا الاغتسال. فقد قال أحدهم: «إن على الحسيد أن يمشي ميلاً إذا اقتضى الأمر من أجل أن يغتسل ليلة السبت، وأن يمشي ثلاثة أميال ـ إذا كان هذا جائزاً ـ من أجل أن يغتسل صباح يوم السبت». وقد وضع الحسيديم دعاءً يَعْزُونه إلى بعل شم طوب يقرأونه قبل الاغتسال ليوم السبت بدايته: «اللهم إني أقوم بهذا (الاغتسال) حتى يكون أدائي لأحكام يوم السبت كاملاً»[1].

أما اجتماع الصديق بالحسيديم يوم السبت فهي عادة جَروا عليها منذ البداية لظهور الحركة الحسيدية، والكثير من الحسيديم يتجشّمون مصاعب السفر وتعبه من أجل أن يكونوا مع صديقهم في هذا اليوم. ويكون الاجتماع بالصديق عادة مع الحسيديم الآخرين من المجموعة ـ وليس على انفراد ـ على مائدة الطعام في الوجبة الثالثة من يوم السبت. وربما يكون من المناسب أن نتحدث عن وجبات الطعام الثلاث هذه وما ذكر عنها في الأدبيات اليهودية قبل الحديث عن الوجبة الثالثة.

لقد جعل الحاخامون أكل ثلاث وجبات لليهودي يوم السبت حكماً واجباً، وقد تحدَّث علماء الفقه اليهودي في القرون الوسطى بشكل مفصل

---

(١) A. Wertheim, Traditions and Customs in Hasidism, in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, pp. 363 f.

عن هذا الموضوع، حيث جعلوا له قسماً خاصاً ضمن أحكام السبت وواجباته، وهم يرون أنَّ على كل يهودي أن يأكل ثلاث وجبات من الطعام في يوم السبت وليلته، وهذا الوجوب ينطبق على المرأة اليهودية كذلك. وأولى هذه الوجبات تكون في ليلة السبت، أما الأخريان فتكونان في يوم السبت نفسه. وقد اشترط الحاخامون أن يؤكل في كل وجبة خبزاً(١).

وبمرور الزمن طرأ تطور على أنواع الطعام الذي يؤكل في هذه الوجبات. ففي عصر التلمود كان من الأطعمة التي تؤكل يوم السبت سمكة كبيرة، وحبات من الثوم، وشيء من السبانخ. ثم أصبح اللحم والنبيذ بجانب السمك عناصر رئيسية في الوجبة التي تؤكل ليلة السبت. وفي العصور الوسطى أضيفت الحلوى إلى هذه الوجبة عند يهود أوروبا، وأضاف أتباع القبلاه إليها التفاح حيث يعتقدون بأن التفاح رمز يشير إلى بساتين التفاح المقدسة، ولهذا هم أيضاً يذكرونه في أغنية لهم يغنونها يوم الجمعة ليلاً، وهم يعتقدون كذلك بأن حروف كلمة «تفاح» الذي هو بالعبرية «تبوح» تشير إلى كشف المعاني الباطنية للتوراة. ولما ظهر الحسيديم أضافوا أنواعاً أخرى من الأطعمة، وأعطوا أسباباً لذلك. فمن الأطباق التي يأكلونها يوم السبت وليلته طبق يحتوي على أقدام البقر، ويعلِّل بعض الصديقيم ذلك بأن هذه تذكِّر بوقع أقدام المسيح المخلِّص وخطواته، بينما يعطي غيره سبباً آخر ويقول: «إن الكذب ليس له أقدام (يقف عليها) بينما الصدق يقف على أقدام، والسبت حق وصدق ولذلك تؤكل أقدام البقر فيه»(٢) ولكني لم أجد تعليلاً لكون الأقدام أقدام بقر دون غيرها مما يجوز أكله عند اليهود من الحيوانات الأخرى.

ويأكل الحسيديم البصل كذلك ويعللون أكله بقولهم: إن البصل مهم لأن له سبع طبقات تحت القشر كل واحدة منها فوق الأخرى، ولذلك يؤكل البصل في اليوم السابع (السبت) وهم يعطون أيضاً سبباً لأكل

---

(١) S.Ganzerfield - Goldin, Kitzur Shulhan Arukh, vol. 2, p. 82.

(٢) A. Wertheim, Traditions and Customs in Hasidism, in G.D. Hundert (ed.) Essential Papers on Hasidism, pp. 369 and 391.

الثوم[١]. والحسيديم يشربون الكحول في يوم السبت كما كان يفعل مؤسس الحركة حيث كان يشرب النبيذ الحلو والبراندي في صلاة القدوش يوم السبت. ويقولون عن ذلك: إن النبيذ يحلي (يخفف) حكم السماء الشديد القاسي، والبراندي يحرق قوة الحكم الإلهي. وعادة ما تكون الأطباق التي يأكلها الحسيديم عشرة أطباق، وهذا العدد يقابل العوالم العشرة العليا في الفكر الحسيدي. وتعتبر الفطيرة كذلك من أنواع الطعام المهمة التي يأكلونها يوم السبت[٢]. وعادة ما يجلس الحسيديم على مائدة الوجبة الثالثة بطريقة تختلف عنها في ليلته حيث تكون المائدة طويلة، ويجلس الصديق في الوسط وهو محاط بالحسيديم، وبعض الحسيديم يجلس تحت المائدة ليكون قريباً من الصديق يسمع كل ما يقوله.

أما الوجبة الثالثة يوم السبت فقد أكد عليها الفقهاء اليهود كذلك، حتى إن الفقيه المشهور جوزف كارو قال: «إن على اليهودي أن يكون حذراً جداً كي لا يترك فريضة الوجبة الثالثة»[٣]. وقد اهتم بهذه الوجبة كذلك أتباع القبلاه، وهم يفرحون بأكلها أكثر مما يفرحون بأية وجبة أخرى. ولكن تأكيد الحسيديم كان عليها أكثر لأنهم جعلوها وجبة جماعية يشترك فيها الصديق وأتباعه، ويلتقي عندها بالذين يأتون لزيارته. ويقول الحسيديم إن أهمية هذه الوجبة تأتي من هدفها الروحي وليس المادي. وأثناء هذه الوجبة يلقي الصديق محاضرته ويقص بعض قصصه، حيث يستمع لها الحسيديم باهتمام بالغ. وبسبب حرصهم عليها فإنهم يختارون من بينهم شخصاً ذا حافظة شديدة يحفظ ما يقوله الصديق ويعيده على الحسيديم متى شاءوا. وقد ذكر أن من هؤلاء الحافظين من يسعل في المكان الذي يسعل عنده الصديق ويتوقف في المكان الذي توقف فيه[٤].

وقد أصبح من تقاليد الحسيديم في الوجبة الثالثة أن تحتوي على شيء من السمك. وقد قال الصديق شنيور زلمان مؤسس جماعة الحسيديم

---

(١) Ibid, p. 391.
(٢) Ibid, p. 369.
(٣) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 227.
(٤) J.R. Mintz, Legends of the Hasidism, p. 98.

اللوبافتش: «إنه من المناسب في هذه الوجبة أكثر من أية وجبة أخرى أن يأكل (الحسيدي) سمكاً» وهو يعطي سبباً لأكل السمك بقوله: «إنه (السمك) يوقظ الأنظار العليا» (العناية الإلهية) لسبب أن السمك معروف بدوام انفتاح العين [(١)].

ويضع الحسيديم في هذه الوجبة اثنتي عشرة قطعة من الخبز. وقد ذكرنا سابقاً التأكيد على أكل الخبز. والسبب التاريخي التقليدي لهذه العادة هو أن هذه القطع ـ كما يروون ـ كانت توضع على منضدة ذهبية أيام الهيكل، ويرتب وضع القطع على الشكل التالي: أربع قطع على الجانب الأيمن اثنتان فوق اثنتين. وأربع قطع على الجانب الأيسر اثنتان فوق اثنتين، وقطعتان كبيرتان في الوسط فوق قطعتين. وبعد أن يقرأ الصديق البركات فإن هذه القطع تقسم على الجالسين، وما يقوم به الصديق هنا هو تقليد لما كان يقوم به الكهنة سابقاً [(٢)].

وتتضمن القصص التي يرويها الصديق قصة عن بعض المتوفين، ولا بدَّ أن تكون هناك قصة عن بعل شم طوب مؤسس الحركة الحسيدية، ويعتقد الحسيديم بأن هذه القصص تكون لهم حرزاً أثناء أيام الأسبوع، بل وفألاً بالنجاح المادي والمعنوي طيلة تلك الأيام [(٣)].

---

(١) A. Wertheim, Traditions and Customs in Hasidism, in G.D. Hundert (ed.) Essential papers on Hasidism, P. 392.

(٢) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, PP. 225 - 6.

(٣) Ibid, PP. 228 - 9.

## أكل الحسيديم لبقايا طعام الصديق

أصبح من العادات المهمة والتقاليد المعروفة لدى الحسيديم أكل بقايا طعام الصديق التي يتركها على المائدة في الوجبة الثالثة يوم السبت، فالحسيديم المجتمعون مع صديقهم في هذه الوجبة يلتهمون هذا الفتات ويتزاحمون على أكله.

وليس لهذه العادة أصل في التقاليد الدينية اليهودية ولكن ورد في التلمود النص التالي: «إن الذي لا يترك شيئاً من طعامه على مائدته لا يرى الخير في حياته»[1]. وهذه العبارة كما هو بيّن لا تدل على أكل بقايا الطعام، وإنما تدل على استحسان تركه. ولكن التلمود اليروشليمي يروي قصة عن الحاخام الشهير يوحنان بن زكاي، وتقول هذه القصة: إن هذا الحاخام، كان يذهب إلى الكنيس صباح اليوم التالي من الاحتفال برأس الشهر، ويأكل بقايا الطعام التي تركها المحتفلون، ويقول: «اللهم اجعل عاقبتي في العالم الآخر مع الذين كانوا هنا ليلة أمس»[2]. ولذلك اعتقد الحاخامون اليهود أنّ بقايا الطعام فيها بركة.

ولكن عادة الحسيديم يختلف سببها عن ذلك عندما يأكلون بقايا طعام الصديق، فهم يعتقدون بأن هناك قوة خاصة في هذه البقايا وفيها بركة كذلك. لأنهم يَرَون بأن الصديق إنما يأكل من أجل السماء. وهو بأكله يريد إخراج الشرارة الإلهية من الطعام، ويرجع الأرواح التائهه إلى أصلها. وقد فسر بعل شم طوب عبارة المزمور ١٠٧/ ٥: «جياع وعطاش فعامت أرواحهم» بقوله: «إن السبب في أن الله خلق الإنسان يجوع فيأكل ويعطش فيشرب، إنما هو من أجل أن يخرج الأرواح العائمة في الطعام والشراب». ويعتقد الحسيديم بأن الصديق يبارك الطعام ويقدّسه عند ملامسته له وأكله منه، ولذلك فإنهم يتدافعون على أكل هذه البقايا والتهامها، بل إنهم يرون بأن فتات الطعام الذي يمسّه الصديق يكون له تأثير إيجابي على رزق الحسيد وعلى صحته[3].

---

(١) Talmud, Sanhadrin, 92a.

(٢) Talmud, Moed qatan 2:3.

(٣) A. Wertheim, Law and Custom in HJasidism, pp. 252 f.

وبعض الحسيديم يأخذون بقايا النبيذ الذي شرب منه الصديق ويصبونه في كؤوسهم من أجل التبرك به، ويأخذون القنينة التي شرب منها الصديق يحتفظون بها ويتبركون. وبعد الانتهاء من الأكل والشرب يغنِّي الحسيديم مع صديقهم لفترة، ثم بعد ذلك يرقصون رقصة تسمى «ملواه ملكاه» (اصطحاب الملكة) ـ والملكة هنا إشارة إلى السبت ـ. وهم غالباً ما يتجاوزون منتصف الليل في هذا الاحتفال. وفي معتقداتهم بأن المعذَّبين في جهنم يُعْطَون إجازة يوم السبت منها، وهم لا يرجعون إليها حتى يترك آخر صديق مائدته في هذه الوجبة ولذلك يكون من عادة الصديقيم التأخر قدر الإمكان. وعندما ينادي المَلَك «دوما» على هؤلاء المجازين ويقول لهم: أيها الأشرار «ارجعوا إلى جهنم»، يكون جوابهم له: «إن السبت لم ينته بعد»[١].



حسيديم يحيطون بالصديق أثناء الوجبة الثالثة من يوم السبت.

---

(١) Ibid, p. 144.

## ذكرى وفاة الصديق

وعندما يموت الصديق يشقُّ الحسيديم ملابسهم، ويجلسون على الأرض يندبونه ساعة أو أكثر، والبعيدون منهم يأتون إلى المكان الذي توفي فيه. وكل من يحمل الجنازة لا بدَّ وأن يكون طاهراً، ومن لم يغتسل لا يقرب قبره. وبعد أن يدفنوه يكوِّنون حلقة حول قبره، ثم يتصدقون عنه، ويطلبون من الآخرين أن يندبوه. ومع أن الحاخامين الأوائل قد منعوا البناء حول قبر الشخص، إذ قالوا بأن الصالح ذكراه عمله، إلا أن الحسيديم قد اعتادوا على أن يبنوا صرحاً على القبر ويسمونه أوهليم (مظلّة)، ويعلّمون القبر بالحجارة، حيث يأتي أتباعه للصلاة عنده وقراءة التوراة في ذكراه السنوية. وللقبر قدسية عند الحسيديم ولذلك فإنهم يكثرون من زيارة قبور الصديقيم.

وتعتبر الذكرى السنوية لموت الصديق عيداً ومناسبة مسرّة يجتمع فيها الحسيديم أتباع ذلك الصديق ويحتفلون فيها. وهم يجتمعون في نهاية ذلك اليوم في الكنيس، فيشعلون شموعاً كثيرة في كل الكنيس خاصة عند شبابيكه حتى يراها المارة، ثم يصلّون صلاة المغرب، ويشربون نبيذاً، ويأكلون وجبة من الطعام في الليل. وفي الصباح يجتمعون لصلاة الصبح ويحذفون مقطعاً معيناً منها لأن فيه دلالة على الحزن. وهم يعطون سبباً لجعل هذا اليوم يوم فرح وسعادة بأنه قد جاء في التلمود (قسم بروخوت) أن أولاد الصديق «وتلاميذه» يجب أن يجعلوا الذكرى السنوية للصديق عيداً، لأن في كل سنة في ذكرى موته تتسامى روح الصديق إلى درجة أعلى، ويقولون بأن يوم الذكرى هو يوم يشبه يوم معجزة حدثت[1].

ويقولون كذلك: إن ارتفاع روح الصديق في كل سنة إلى درجة أعلى يجب أن يكون سبباً للسعادة والسرور، لأن الروح تفرح بهذا الصعود، وهم يفرحون لفرحها. وفي يوم الذكرى يحيُّون بعضهم بعضاً بقولهم: «جعل الله الروح تعلو والمريض يشفىٰ، ومن هو في صحة طيبة ينال الخلاص».

وعادة الحسيديم هذه تختلف عن عادة بقية اليهود الأرثوذكس، فهؤلاء

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 345.

اليهود لا يعتبرون يوم ذكرى موت حاخامهم يوم فرح وسرور بل هم يعتبرونه يوم حزن وندب، ولذلك يكون من عادتهم أن لا يشربوا نبيذاً، بل ولا يأكلوا لحماً، وإن البعض يصوم يوم الذكرى هذه، حتى إن بعض الحاخامين قد أوجب صيام هذا اليوم. وقد أعطَوا سبباً لجعل هذه المناسبة مناسبة حزن وندب حيث قالوا بأن روح الميت الصالح تصعد في كل سنة إلى درجة أعلى، وفي كل مرة تبتعد الروح عند جسد الميت وبالتالي فإنها تبتعد عن هذا العالم، وهذا يوجب الحزن[١].

وما دمنا نتحدث عن ذكرى وفاة الصديق وزيارة قبره، أرى من المناسب أن نتحدث عن عادتهم في إنشاء مقبرة جديدة. فمن عادة الحسيديم في إنشاء مقبرة جديدة أنهم يؤدون احتفالاً بهذه المناسبة، وهذا الاحتفال ورثوه من أتباع القبلاه. وهم يؤدون شعائر هذا الاحتفال بعد أن يُدفن أول شخص في المقبرة. في بدايته يأخذون ديكاً ويذبحونه دون أن يقرأوا عليه ما يجب عندما يذبحون حيواناً ليأكلوه. ثم يدورون حول المكان سبع مرات على أن تضم هذه الدورات كل جوانب المقبرة الجديدة، وخلالها يقرأون ثلاثة مزامير هي ١٠٢ و١٠٣ و١٠٤، ويقرأون كذلك مقاطع من سِفْر إشعيا، وبعد إكمال كل دورة ينطقون أسماء الله. ويجب أن تبدأ هذه الدورات من الجنوب الشرقي من المقبرة. وعادة ما يشترك أحد الصديقيم في هذه المراسيم، وهم يقولون: إن فضائل الصديق ستساعدهم على أن لا يتدخل الشيطان في هذا العمل، وهم في ذلك اليوم يأكلون وجبة من الطعام سوية. ومن عاداتهم المتعلقة بالمقبرة الجديدة أنّ الكاهن لا يكون أول من يدفن فيها. وهم كذلك لا يبدأون بالدفن من الجانب الشمالي، ولا يبدأون ببناء السور من هذا الجانب كذلك[٢].

(١) Ibid, pp. 341ff.
(٢) Ibid, p. 394.

# الفصل السابع

## حياة بعض الصديقيم وأقوالهم

١ ـ أليملخ ليزنسك
٢ ـ فنحاس شابيرا كورتز
٣ ـ ليفي اسحق برديشيف
٤ ـ نحمان براسلاف
٥ ـ أرياه ليب
٦ ـ يعقوب اسحق هروفتش
٧ ـ إسرائيل فريدمان روزن
٨ ـ مناحم مندل كوتسك

# حياة بعض الصديقيم وأقوالهم

تحدثنا في فصل سابق عن مكانة الصديق وأهميته عند الحسيديم، وقد رأيت من المناسب أن أتحدَّث عن حياة بعض الصديقيم وأقوالهم، لإعطاء القارىء فكرة عن هؤلاء الناس الذين ينظر إليهم أتباعهم ـ كما رأينا ـ نظرة تمجيد وتقديس.

والذي أهدف إليه من هذا الفصل هو بيان أن هؤلاء الأشخاص مهما كانت نظرة أتباعهم إليهم إنما هم بشر كبقية البشر الآخرين، لا يختلفون عنهم في تصرفاتهم وسلوكهم وعواطفهم، فهم يفكرون كما يفكرون، ويفرحون كما يفرحون، ويحزنون كما يحزن الآخرون. وقد اخترت هؤلاء من فترات مختلفة من تاريخ الحركة الحسيدية، وقد اتبعت في الحديث عنهم التسلسل التاريخي.

**أليملخ ليزنسك Elimelekh of Lizensk (ت ١٧٨٧ م)**

ولد هذا الصديق عام ١٧١٧ م في مدينة Lapacha في مقاطعة Tiktin في بولندا، وكان أبوه ثرياً من أصحاب الأراضي، وكان جدّه الأعلى أحد علماء التوراة المشهورين في القرون الوسطى. ويعتبر أليملخ من مؤسسي الحركة الحسيدية في مقاطعة غاليسيا، وكان قد درس على يد دوف بائر (المغيد) وعلى غيره من مشاهير الصديقيم. وكان هذا الصديق قد سافر كثيراً هو وأخوه الحاخام «سوزا»، فكانا يرحلان من قرية إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى من أجل أن يحققا حالة النفي والشتات، ولكي تُغفر لهما ذنوبهما طبقاً لما روي في أدبيات اليهود بأن «الشتات يغفر كل شيء». وقد استمر سفرهما لأكثر من ثلاث سنوات، عانَيا فيه الأمرَّين من جوع وعطش وذلة وإهانة وقد

وصلا في سفرهما إلى الحدود الألمانية، وكانا أثناء ذلك ينشران الدعوة الحسيدية بين اليهود(١).

وقد عرف عن هذا الصديق زهده وتقشفه وتعذيبه لنفسه، حتى نقل عنه بأنه كان يضرب نفسه ضرباً مبرِّحاً ويَخِزُ نفسه بالشوك، وقد نقل عنه بأنه كان يصوم طيلة أيام الأسبوع لفترة أربع عشرة سنة. وقد ذكرت المصادر الحسيدية بأنه كان يطلب من خادمه أن يتبعه إلى الغابة، ويقول له: لنذهب كي نعذِّب المذنب، وعندما يصلان إلى الغابة يطلب من خادمه أن يجلده ويقول له بأنه هو المذنب وليس غيره(٢). ومع هذا فهو لم يكن يرى بأن الزهد هو الطريق الوحيد إلى الله، إذ من الممكن أن يعبد بعض الصديقيم ربَّهم بطرق أخرى غير طريق الزهد وقد كان الصديق أليملخ يندب حظه لأنه لم يؤدِّ الفرائض، وكان يقول: «إنني شيخ وقد قاربت الستين من عمري ولم أتمكن أن أؤدي فريضة واحدة بنية خالصة صادقة، وإن جهنم أخرى يجب أن تخلق لي إذ أن جهنم الحالية لا يمكن أن تزيل ذنوبي وسيئاتي»(٣). وقال كذلك: «لو سئلت في العالم الآخر فيما إذا كنت عادلاً لقلت لا، وفيما إذا كنت قد تصدَّقت لقلت لا، وفيما إذا قرأت التوراة لقلت لا، وفيما إذا صلَّيت ربما قلت لا، وعندئذٍ يبتسم الرب الأكبر ويقول لي أليملخ، أليملخ أنت قلتَ الحق، ومن أجل هذا فقط تدخل الجنة»(٤).

وبعد وفاة أستاذه دوف بائر استقر هذا الصديق في مدينة Lizensk في غاليسيا ـ ولذلك نسب إليها ـ، وأصبحت بعد أن استقر فيها من مراكز الحركة الحسيدية المهمة، وأصبح هو من أبرز الصديقيم بل والزعيم غير الرسمي للحسيديم. ولقد هوجم من قبل المتناغديم وذكر اسمه خاصة في كتبهم التي هاجموا بها الحسيديم، بل إنه أُشبع في إحدى المرات ضرباً من قبل جماعة من المتناغديم(٥)، وكان هجوم المتناغديم على الحسيديم في هذه الفترة على أشده.

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 88.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 123.
(٣) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 90.
(٤) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 120.
(٥) Encyclopaedia Judaica, **Elimelekh of Lyzhansk.**

وقد وضع هذا الصديق مجموعة مبادىء للسلوك لأتباعه وغيرهم، واعتبرها مبادىء ضرورية للحياة، وهي على الشكل التالي:

١ ـ يجب على الإنسان أن يدرس التلمود وشروحه ويدرس القبلاه وقواعد الأخلاق.

٢ ـ يجب أن يتحصّن ضد الغش والكذب والخداع والحقد والمنافسة والتكبر والنظر إلى النساء، وكذلك يتحاشى الحديث الدنيوي حتى مع زوجته خاصة خلال أيام الطمث.

٣ ـ يجب أن يفكر بالموت.

٤ ـ يجب أن لا يفكر بأفكار شريرة في أي ظرف كان.

٥ ـ يجب أن لا يكره أي يهودي حتى لو كان شريراً.

٦ ـ يجب أن لا يتحدث بأي شيء قبل الصلاة حتى ولا بكلمة واحدة.

٧ ـ يجب أن يذهب إلى المرافق قبل الصلاة وقبل الأكل.

٨ ـ يجب أن يتأكد من نظافة ملابسه دائماً.

٩ ـ يجب أن يدعو الله ليساعده على التوبة من ذنوبه وأن لا يموت وهو غير تائب.

١٠ ـ يجب أن يتكلم بأدب مع كل شخص، ويجب أن يحزن إذا مدحه الآخرون.

١١ ـ يجب أن يتصور دائماً بأن هناك شخصاً يراه لكي يكون حذراً من اقتراف الذنب أمام ربه.

١٢ ـ يجب أن يفرح عندما يشتمه أحد، لأن هذا الشخص قد أظهر عيوبه، ويجب أن يعتقد بأن الناس كلهم أفضل منه.

١٣ ـ يجب أن يبتعد عن كل شيء غير ضروري للحياة، ويجب أن يكون بصحة جيدة من أجل عبادة الله.

١٤ ـ يجب أن يحذر من ذكر الله عبثاً..

١٥ ـ يجب أن لا يتفوه بكلام مقدّس في مكان غير طاهر.

١٦ ـ يجب أن لا يتحدث في الكنيس حتى في المسائل الدينية والأخلاقية حتى لا يقود هذا إلى الذنوب[١].

---

(١) L. Jacobs, Hasidic Thought, pp. 100 ff.

وقد طلب هذا الصديق من أتباعه أن يطبقوا هذه المبادىء ويعملوا بها سواء أكانوا لوحدهم أم كانوا مع الآخرين[١]. وقد حثَّ أتباعه كذلك على التقليل من المشروبات الكحولية. وقد قال عن هذا «إن أهم شيء أن لا يكون الإنسان سكران، إذ أن السكر ينزل الإنسان إلى الحضيض، وقد قال الحاخامون: «لا تسكر حتى لا تذنب»[٢].

وقد أعطى أليملخ أهمية عظيمة للصديق، فهو لا يعتبره زعيماً روحياً حسب بل يراه زعيماً في كل حقول الحياة. وفي رأيه أن الصديق يملك من القوة الروحية ما يتفوَّق به على الملائكة، وله القدرة على التأثير في السموات العلا، وأن قدرته هذه تأتي من علاقته بالسموات وارتباطه بها، وهو وإن كان يعيش على الأرض لكنه في الواقع يعيش في العوالم العليا[٣]. والصديق عنده هو المختار الذي لا يرفض له طلب (من قبل الرب) في الأرض أو في السماء، فإذا كان الله غضبان فهو الذي يزيل غضبه.

وعلى الحسيد أن يطيع الصديق إطاعة عمياء غير مشروطة، وإن التشكيك بالصديق يعتبر شيئاً أكبر من الذنب وأعظم منه، بل إنه مخالف للعقل. وإذا كان سلوك الصديق غير مألوف للحسيد فإن هذا يعني بأن الحسيد لا يملك الوسيلة الضرورية لفهم هذا السلوك وحقيقته، حتى لو عمل المتناقضات فإنه يعرف ماذا يعمل. لذلك على الحسيد أن لا يحاول الفهم والتعرف على تلك الأعمال، بل على الحسيد أن يبدي إعجابه فقط. والصديق ليس إنساناً عادياً وإنما هو إنسان كامل تقريباً، لأن محاولته للوصول إلى الكمال هي الكمال بنفسه... وأي شيء يقوم به الصديق إنما هو صَقْل لنفسه، فهو عندما يأكل إنما يقوم بعملية تطهير.... وهكذا[٤].

وبسبب الحماس الديني المتوقد الذي يغمر الصديق فإنه يواجه خطر الموت، وإن الله يخفف من حماسه عندما يصل إلى درجة عالية من الخطورة

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 90.
(٢) L. Jacobs, Hasidic Thought, p. 107.
(٣) Encyclopaedia Judaica, **Elemelekh of Lyzhansk.**
(٤) E. Wiesel, Souls on Fire, pp. 121 - 122.

في تجربته الروحية حتى لا يموت بسببها. ويرى أليملخ كذلك أن من مهمات الصديق إلغاء وجود الإثنينية بين الخير والشر، وذلك بتحويل الشر إلى خير، ولهذه العملية ـ كما يقول ـ تأثير في إظهار المسيح المخلص. ويفسر الصديق أليملخ حرفياً عبارة التلمود: «إن الصديق يقرر والله ينفذ» فيقول: «إن قوة الصديق تأتي من علاقته المباشرة بالسماء. وقدرته على مساعدة أتباعه إنما تأتي من هذه العلاقة». وكانت هذه الآراء قد أثارت المتناغديم ضده، فانتقدوه وكالوا له التهم، واعتبروا ما يقوله تجديفاً...

وأليملخ من الصديقيم الذين يؤكدون على وجوب هبوط الصديق من أجل أن يخلِّص أتباعه من الذنوب، حتى لو اقتضاه ذلك مخالفة أحكام الشريعة، بل هو يرى بأن الصديق يجب أن تكون له القدرة على الذنب إذ أن ذنبه شرط في تحقيق مهمته لإنقاذ أتباعه، وإن عدم قدرة الصديق على الهبوط إلى مستوى الأتباع لا يتناسب وضرورة تقوية المستوى الروحي للجماعة (الحسيدية). وهذا المبدأ هو الذي ذكرناه سابقاً وهو مبدأ «الهبوط من أجل الصعود». والصديق في هذه العملية كما يرى أليملخ إنما يقوم بطرد الأفكار الشريرة من الحسيد، ومنعه من الذنوب، وتحويل غير المقدس إلى مقدس. وهو يرى كذلك بأن الصديق بعد هبوطه تصبح حالته أفضل، ومنزلته أعلى درجة وأكثر شفافية مما كان عليه قبل الهبوط، ولهذا فإن أليملخ يرى بأن الشر يَدْعم المقدَّس ويُقوِّيه ويعززه. وقد ضمَّن اليملخ هذه الأفكار كتابه «نئوم أليملخ» (مسرّة أليملخ)[1]. وكان هذا الصديق مهتماً بظهور المسيح المخلص وقد قال مرة «لو تركت وحدي لسنتين بسلام لجئت بالمسيح المخلص»[2].

وقد عزل هذا الصديق نفسه في أواخر أيامه وهي الفترة التي توترت فيها علاقته بتلامذته، وأخذ يشعر بالمرارة منهم، فأصابه المرض وأخذ يرفض حتى الطعام، وقطع صلته بالعالم الخارجي، وأخذ الشك يراوده بالذين حوله حتى حقد على أولاده مع أنهم دافعوا عنه. ولم يترك لهم شيئاً مما خلَّف. وعندما اقترح عليه بعض المقربين منه أن يترك لهم شيئاً رفض ذلك وقال: «ليكونوا

(١) Encyclopaedia Judaica, **Elimelekh of Lyzhansk.**
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 123.

فقراء وليعيشوا على الصدقة لأنهم لا يستحقون ذلك، ويجب أن لا يعطوا شيئاً»[1].

وقد أصبح قبر هذا الصديق مزاراً للحسيديم حتى وقت متأخر، حيث كان يذهب إليه الكثير منهم ويضعون أوراقاً عند قبره تحتوي على رغباتهم وطلباتهم. وقد أطلق عليه الحسيديم اسم «بعل شم طوب الثاني». ولقد ترك أليملخ مجموعة من الكتب أهمها كتاب «نئوم أليملخ». وهو تفسير لبعض نصوص التوراة، ويعتبر من الكتب المهمة عند الحسيديم. وقد طبع لأول مرة عام ١٧٨٨ م، ومنذئذٍ طبع أكثر من أربعين مرة. ويبدو أن هذا الكتاب يصعب فهمه حتى على الصديقيم أنفسهم، حتى قال أحدهم: «لا يمكن أن يفهم هذا الكتاب شخص إلا إذا كان قادراً على إحياء ميت»[2].

## فنحاس شابيرا كورتز Phinehas Shapira Koretz (ت ١٧٩١ م)

ولد هذا الصديق عام ١٧٢٦ م في مدينة شكلوف Shklow التي كانت جزءاً من بولندا، وكان أبوه حاخاماً ثم أصبح واعظاً يتجول من مكان إلى آخر ومن كنيس إلى كنيس يسترزق بهذا الطريق. ولا يُعْرَف الشيء الكثير عن طفولة هذا الصديق إلا أن ما عرف عنه أنه كان قد بدأ دراسته الدينية التقليدية في مدينته، وأنه ـ على غير ما هو متعارف بين اليهود الأرثوذكس ـ درس شيئاً من العلوم غير الدينية، مثل الرياضيات والهندسة وقواعد اللغة، وقد قال فيما بعد عن ذلك: إن الإنسان يجب أن يدرس مثل هذه الموضوعات في شبابه. وقد درس كذلك بعض الأعمال الفلسفية من العصور الوسطى، ولكنه ترك هذا الموضوع وقال عنه: إنه (موضوع الفلسفة) لا يستحق الاهتمام[3].

وكان الصديق فنحاس قد تزوج مبكراً، وأخذ في البداية يعتاش من تدريس الأطفال في مدينة بولنوي Polnoy، ثم رحل إلى مدينة كورتز ليدرس القبلاه على عالم شهير مختص بها[4]، وقد بقي فيها لفترة ثم رحل عنها بعد

---

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 129.
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 91 - 92.
(٣) A. J. Heschel, The Circle of the Baal Shem Tov. pp. 3 -4.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 47.

أن ساءت علاقته مع أحد تلامذة المغيد[1]، واستقر في مدينة أوستروغ Ostrog ولكنه ظل ينسب إلى مدينة كورتز.

وتذكر أدبيّات الحسيديم أن فنحاس كورتز قد التقى بعل شم طوب ثلاث مرات، وتعلم منه ثلاثة أشياء، وتعلم بعل شم طوب من الصديق فنحاس ثلاثة أشياء كذلك. ولكن هذه الأدبيات لا تذكر لنا ماذا كانت هذه الأشياء التي تعلّمها أحدهما من الآخر[2].

وقد كان الصديق فنحاس معجباً كثيراً بكتاب الزهر ومغرماً بالحديث عنه، وله أقوال كثيرة في ذلك تدل على تأثّره به واعتماده عليه، وتقديسه له وكان يشجع تلامذته على قراءته، فمن أقواله في ذلك: «إن الزهر هو الذي أبقاني يهودياً، وإن قراءتي له تخفِّف عني صعوبة الشتات» وقال كذلك: «إنني أحصل على الراحة النفسية إما في الصلاة أو بقراءة الزهر فقط.. إن الزهر وحده هو شجرة الحياة» وقال: «إن حياة الشتات الصعبة لا تفارقني.. ولكني عندما أستغرق في دراسة الزهر أجد راحة». وقال كذلك: «إن الزهر دليل للحياة المادية والحياة الروحية».

وكان يصفه لأتباعه كدواء لبعض الأمراض النفسية، فقد جاءه أحد تلامذته وسأله كيف يخلِّص نفسه من الغرور فنصحه الصديق فنحاس بقوله: «إقرأ الزهر» فقال له السائل: ولكني أقرؤه، فرد عليه الصديق بقوله: «اقرأه أكثر». ويصفه كذلك كوسيلة لتحصيل الرزق، فعندما جاءه أحد أتباعه يسأله عن أحسن طريقة لتحصيل الرزق كان جوابه له بأن يقرأ الزهر. وقال كذلك: «في بقية الكتب يبحث الإنسان بجد وبجهد عن الله، ولكنه في الزهر يجده بسهولة». وكان يحذِّر أتباعه من عدم قراءتهم للزهر وقال لهم: «احذروا أن تمر عليكم ثلاثة أيام وأنتم لا تقرأون الزهر»[3].

وكان هذا الصديق لا يعتبر نفسه أقل منزلة من مؤسس الحركة

(١) L. Jacobs, Hasidic Thought, p. 21.
(٢) E. Wiesel Souls on Fire, P. 42.
(٣) A.J. Heschel, The Circle of Baal Shem Tov, pp. 4 - 5.

الحسيدية، ولا أقل علماً منه، وكان يقول: «إن الحكمة تخرج مني فقط، وإنها لم تكن تتجاوز عتبة باب بعل شم طوب». ومما نقل عنه أنه كان مرة يتحدث إلى بعل شم طوب فقال له الثاني: «في أيام شبابي كنت أشعر بأنني عندما أرفع يدي تهتز العوالم كلها، ولكني الآن لا أشعر بشيء. فرد عليه الصديق فنحاس بقوله: ولكني أنا أشعر عندما أرفع يدي الآن تهتز العوالم كلها»[1].

ومما ذكر عنه كذلك بأن ملحدين كانوا يطلبون دليلاً على وجود الله، وجاءوا إليه، فهرع إلى الكنيس وفتح الصندوق الذي تحفظ فيه التوراة، ثم أخرجها منه ورفعها بيده وأخذ يصيح: «أقسم بأن الله موجود. أليس هذا دليلاً كافياً. وماذا يريدون أكثر من هذا؟»[2]. ومن أقواله: «إن ملايين الناس يسكنون الأرض، ولكن القليل منهم يهود، والقليل من هؤلاء متعلمون، وأقل من هؤلاء صالحون، وأقل منهم من يعرف الصلاة بشكل صحيح»[3].

وكان الصديق فنحاس يهتم بالحقيقة ويبحث عنها. ومن أقواله في ذلك: «لقد تكسَّرت عظامي من أجل الوصول إلى الحقيقة، وقد استمر (البحث عنها) إحدى وعشرين سنة، سبع سنوات لاكتشاف ما هي الحقيقة، وسبع سنوات لطرد الكذب وإبعاده عن نفسي، وسبع سنوات من أجل الحصول على الحقيقة والعيش معها». وكان يقول: «لو أن كل الناس قالوا الحقيقة لكان المسيح المخلِّص قد ظهر، فكما أن الحقيقة تأتي بالمسيح المخلص فكذلك هو يأتي بالحقيقة»[4].

ومن أقواله: «إن كل شيء مرتبط بسبب جيد أو سيء، إلا الغرور فإنه لا يحتاج إلى سبب، فهو ينمو وينمو حتى إن الإنسان يمكن أن يكون فقيراً محتاجاً وجائعاً ومفتقراً إلى كل فضيلة وجاهلاً مغرقاً في الجهل، ولكنه يبقى يعتقد بأنه عظيم وأنه عالم وأنه عدل»[5]. وقد ذكر عنه بأنه قد ضجر في وقت

---

(١) Ibid, p. 14.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 43.
(٣) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 17.
(٤) Ibid, p. 20.
(٥) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 12.

من الأوقات من الناس الذين يزورونه بكثرة، وطلب من ربه أن يقطعهم عنه، وقال: «يا رب العالم، اغفر لي جرأتي وتهوري. إنني أعلم بأني يجب أن أشكرك على كل ما تفضلت به علي، وأشكرك كذلك على أن جعلت أبناءك (اليهود) يحبونني كثيراً، ولكني أتوسل إليك أن تفهم بأنه ليس لدي وقت كاف أخصصه لك، فافعل شيئاً، أي شيء واجعل الناس يقللون من حبهم لي»[1]. ويقال بأن الرب استجاب دعوته، ولكن الناس عندما قلّلوا المجيء إليه أحسَّ بالوحدة والضجر، ودعا ربه مرة أخرى أن يرجعه سيرته الأولى فاستجاب له ربه. وقد قال في ذلك: «إن على الإنسان أن لا يحاول بأن يكون مختلفاً عما هو عليه»[2].

وكان الصديق فنحاس يعاتب ربه بين وقت وآخر حول وضع أبناء جلدته، وقد قال مرة في يوم الكبور: «ليتني أعرف الغناء فأغنّي، وأجبره (الرب) على أن ينزل إلى الأرض ويكون مع أبنائه ويشهد عذاباتهم ويخلّصهم»[3]. وخاطب ربه مرة وقال: «لماذا تترك شعبك في الشتات؟ لماذا استمر هذا إلى هذا الوقت؟ هل إننا لم نُطعْ شريعتك ولم نطبقها؟ ولكن قل لي مَنْ أجبرك على إعطائها لنا؟ هل نحن سألناك إياها؟ وهل نحن أردناها؟ إنك أنت الذي جعلتنا نتسلمها. وأيضاً قل لي يا رب العالمين ألم تكن تدري بأنك عندما أعطيتها لنا بأننا لا نطبقها، ومع ذلك فقد اخترتنا. أخبرني إذن لماذا أنت غضبان؟»[4].

وكان الصديق فنحاس ينتقد المغيد خليفة بعل شم طوب، وكان يختلف عنه في بعض وجهات النظر: فالصديق فنحاس كان لا يشدِّد على بذل الجهد المكثّف في الصلاة، بحيث أن الحسيدي يصل إلى مرحلة عدم الاحساس بما حوله، ولم يكن يهتم بالكشف عن أسرار التوراة والبحث عنها كما هو رأي المغيد ومدرسته، بل إنه كان يرى بأن الله يُعبد عندما يصلح الإنسان سلوكه ولا يكون هذا إلا بتطهير النفس. ولذلك كان هذا الصديق، يدرّس طلابه

---

(١) Ibid, p. 16.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 42.
(٣) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 21.
(٤) Ibid, P. 21.

التواضع والصدق وغير ذلك من مواضيع أخرى مشابهة حتى يطهِّروا أنفسهم، ولم يكن يهتم كثيراً بتحضير نفسه للصلاة. بينما كان المغيد ومدرسته مثل ليفي إسحق برديشيف وغيره يهتمون كثيراً بالتحضير للصلاة، ويحضِّرون لها بطرق شتى ولوقت طويل ويقولون: بأنه من دون هذا التحضير لا يمكن الحصول على البركات السماوية. وهؤلاء يرون بأن هذا التحضير هو عبارة عن الإثارة من تحت لتثير الفوق، وإن الإثارة من تحت تسبق الإثارة من فوق.

وقد وصف أحد الصديقيم المدرستين بقوله: إن مدرسة الصديق فنحاس تدعو الحسيد إلى أن يقضي على ما عنده من صفات الشرّ، ويصلح سلوكه، ولا يكون ذلك إلا بتطهير النفس، فإذا طهرت النفس تكون الصلاة صادقة وخالصة، ويمكن للمصلي الصعود إلى الأعلى والالتصاق بالرب، ولذلك فإنه لا حاجة ـ في هذه الحالة ـ إلى بذل الجهد المكثف للتحضير للصلاة. بينما ترى مدرسة المغيد بأن على الحسيد أن يتأمل عظمة الرب. وجلاله من أجل أن يتجرد لصلاته، وتعلو نفسه لتلتصق بربها، ونتيجة لهذه العملية فإن روح الشرّ وحقيقته تتحطم وتزول، وإزالة الشر تكون لاحقة وليست سابقة[1].

---

(١) A.J. Heschel, The Circle of Baal Shem Tov. pp. 26 - 28.

## ليفي إسحق برديشيف Levi Isaac of Berdichev (ت ١٨١٠ م)

ولد ليفي إسحق برديشيف عام ١٧٤٠ م لأب حاخام معروف يسكن مدينة هوشكيف Hoshkev في غاليسيا، وقد تزوج وهو صغير من بنت تاجر ثري، وانتقل للعيش معه في مدينة لوبرتوف Lubertov في بولندا، وهنا درس على يد حاخام معروف، ثم اقترح عليه هذا الحاخام أن يذهب للدراسة على يد «المغيد»، فالتحق به وأصبح من تلامذته ومن المقربين له والمفضِّلين عنده.

وقد رويت عنه حادثة وقعت له أثناء هذه الفترة، فقد ذهب في إحدى المرات لزيارة أبي زوجته، وقد دُعي في ليلة الاحتفال بـ «سمحت توراه» لأن يصلِّي بالناس في الكنيس، وعندما وقف عند البيماه (منضدة التوراة) تهيأ للقراءة ووضع طاليت الصلاة (لباس الصلاة) عليه، ولكنه نزعه ثم وضعه، ونزعه مرة أخرى، وتكرر هذا لعدة مرات ولفترة طويلة والمصلون يعجبون مما يحدث، ثم نزع الطاليت أخيراً وصاح بغضب: «ما دُمْتَ تَدَّعِي بأنك تعرف التلمود وأنك حسيد إذن اقرأ الصلاة أنت» ثم ذهب وجلس في مكانه.

وفي تلك الليلة قال له أبو زوجته: «لقد أخجلتني أمام الناس»، فقال له ليفي إسحق بأنه لم يكن بيده حيلة. وأوضح له بأنه عندما أراد الصلاة جاءه الشيطان وطلب منه أن يصلِّي معه، فقال له ليفي إسحق: أنت لا تستحق أن تقوم بذلك، فقال له الشيطان: وهل أنت تستحق ذلك؟ فقال له ليفي إسحق: نعم أستحق ذلك لأني قرأت التلمود، فقال له الشيطان: وأنا درست التلمود كذلك، فقال له: أين؟ فقال له الشيطان: درسته معك، فقال له: وكيف وأنا أختلف عنك بكوني حسيداً، فقال له الشيطان: وأنا حسيد مثلك، فقال له ليفي إسحق: ومن هو صديقك؟ فقال له: «المغيد»، إذ أني أذهب معك في كل وقت تذهب إليه، فصرخ ليفي إسحق بغضب وقال: ما دام عندك هذه المؤهلات والفضائل فإنك لا تحتاجني وخذ الطاليت وأدِّ أنت الصلاة[١].

وبعد هذه الحادثة غضب عليه أبو زوجته ومنعه من الذهاب إلى أستاذه

---

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 93.

«المغيد»، ولكن ليفي إسحق أضرب عن الطعام وصام احتجاجاً على منعه. وعندئذٍ سمح له أبو زوجته بأن يستمر بالدراسة. وبعد أن أنهى دراسته ذهب واستقرّ في مدينة Zelechow في بولندا حيث أصبح صديقاً تحلّق حوله تلامذة وأتباع. وكان في هذه الفترة قد بدأ هجوم المتناغديم على الحسيديم. وكان ليفي إسحق قد وقف موقفاً شديداً من المتناغديم، ولكنه لم يتمكن من مقاومتهم والوقوف بوجههم فاضطر إلى مغادرة المدينة.

وفي عام ١٧٧٥ م انتخب حاخاماً لمدينة Pinsk (مركز اليهود في ليتوانيا)، ولكن المتناغديم حاربوه كذلك واستخدموا عدة طرق للضغط عليه واضطهاده، وقد الجأوه إلى عقد عدة مناظرات علنية معهم، ولكن ذلك لم ينفع معهم ولم يوقف هجومهم، حتى إنه في يوم من الأيام عندما كان يمشي في الشارع رَمَته زوجة أحد المتناغديم بكومة من القمامة[١]. ولم يتمكن من الصمود أمام المتناغديم أيضاً فغادر المدينة، واستقر به المقام في مدينة برديشيف Berdichev الذي أخذ اسمه منها حيث بقي فيها حتى وفاته.

والصديق ليفي إسحق من الصديقيم الذين يركزون على الصلاة والعبادة، ويؤكدون كثيراً على الدبقوت الذي تحدثنا عنه. ولقد كان نفسه يطبق هذا عملياً، فقد ذكرنا سابقاً كيف أنه كان يصلي بعنف حيث يتحرك من زاوية إلى زاوية أخرى أثناء صلاته. وقد ذكرنا كذلك كيف أنه ركز على مبدأ السعادة في العبادة عندما تحدثنا عن مبدأ السعادة عند الحسيديم. وهو كذلك ممّن يؤمن بفكرة الهبوط من أجل الصعود، حيث يرى «بأن على الصديق أن ينزل إلى مستوى عامة الناس لإعلائهم ورفع درجتهم، ولكن عليه في الوقت نفسه أن يكون حذراً في هذه العملية، حتى لا يبقى في حالة هبوط، إذ عليه أن يرتبط ارتباطاً قوياً بربه أولاً»[٢].

وتروى عن هذا الصديق بعض القصص والروايات، فمما روي عنه أنه قابل مرة ملحداً وقال له: «أتدري بأني أحسدك، فقال له الملحد: لماذا أيها الصديق؟ فرد عليه ليفي إسحق بقوله: «طبقاً لما يقوله الحاخامون إذا تُبتَ فإن

---

(١) Ibid, p. 96.

(٢) S.H. Dresner, The World of a Hasidic Master, Levi Yitzhak of Berditchev, p. 25.

ذنوبك ستصبح حسنات»[١]. وكان يطلب من خادمه أن يذهب إلى الكنيس مباشرة ودون أن يلتفت يمنة أو يسرة، ويقف في المكان الذي تُقرأ منه التوراة ويضرب بجُمْعه على المنضدة ويصيح بأعلى صوته: «اعلموا أيها الناس رجالاً ونساءً أن الله موجود، وأنه هو الذي خلق العالم، هذا العالم الذي نعيش فيه»[٢].

وعندما كان في مدينة Pinsk أرسل وراء معلِّم مغمور في مدينة بعيدة، وعندما حضر عنده استقبله بترحاب وتهلُّل، وأجلسه أمامه لفترة ساعتين، وكان أحدهما يحدِّق بوجه الآخر دون أن ينبس أحدهما ببنت شَفَة. ثم ابتسم أحدهما للآخر، وبعدها غادر المعلم المكان، ولم يُعرف السبب لمجيء المعلم ولا سبب الابتسامة ولا أي شيء آخر. ولكن الرواية تقول بأن هذا المعلِّم قد أصبح فيما بعد صديقاً مشهوراً[٣].

وكان هذا الحاخام قد وقع ضحية الكآبة، تصيبه بين فترة وأخرى، إلى أن سيطرت عليه مرة فأغمي عليه، وبقي طيلة سنة نافراً من الناس منعزلاً عنهم وغير مكترث بهم. وكان يُرى خلال هذه الفترة يقرأ في كتاب صغير بشكل سريع جداً[٤]. وقد أُعطيت أسباب وتفسيرات لذلك ليس هناك كبير فائدة من الحديث عنها، ولكن هذه الحالة كانت قد أصابت صديقيم آخرين مثل: باروخ، ونحمان براسلاف، وأليملخ، والرائي، وغيرهم، حتى قيل بأن بعل شم طوب نفسه كان قد وقع ضحية لها[٥].

وقد أطلق على هذا الصديق لقب «المدافع عن اليهود» بسبب دفاعه الشديد عنهم أمام ربه. وقد قال مؤرخو حياته بأنه لم يكن هناك رجل في تاريخ اليهود أكثر دفاعاً عن اليهود من هذا الصديق. وقد روى أتباعه عن بعل شم طوب بأنه أشار إليه بقوله: «إن روحاً شريفة مقدَّسة ستنزل إلى الأرض، وسوف تكون محامية ومدافعة عن اليهود»[٦]. وكان يرى بأن اليهود هم

---

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 96.
(٢) Ibid, p. 102.
(٣) Ibid, p. 100.
(٤) S.H. Dresner, op. cit. p. 42.
(٥) E. Wiesel, Souls, on Fire, p. 106.
(٦) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 49.

الشعب المختار والمتميز والمفضَّل عند الله، وقد قال في ذلك: «إن كل شيء خلقه الله إلى اليوم إنما خلقه فقط من أجل شعبه المفضَّل بني اسرائيل. وكل العوالم في الأعالي والأسافل إنما خلقها الله من أجل بني اسرائيل. واليهود بالنسبة إلى الرب هم مثل الطفل بالنسبة إلى الأب، فكل ما يطلب الطفل يحققه الأب». وقال كذلك بأنه «لا يجوز أن نسمح بأية كلمة سيئة ضد اليهود، بل يجب أن ندافع عنهم دائماً»(١). بل إنه قال: «إن الرب يحكم طبقاً لرغبات اليهود».

وقال أيضاً: «كيف يمكن للإنسان أن يتحدث عن اليهود بسوء، مع أن الله اختارهم على أنهم شعبه، بل إن ألسنتنا قد وضعت في أفواهنا من أجل قراءة التوراة، ومن أجل أن تمجد اليهود»(٢). وقد قيل عن هذا الصديق بأنه أحب الله وأحب اليهودية، ولكن حبه لليهود قد فاق الإثنين(٣). ولذلك فقد كان يجادل ربه، ويرى بأن اليهود دائماً على حق، وكان يبرِّىء ساحتهم أمامه.

ومع أن الكثير من أقواله ـ التي سنذكر بعضها ـ فيها شيء من التطاول والجرأة على الله إلا أن اليهود لا يرَوْن في ذلك بأساً، ولا يرون فيها شيئاً يتنافى والمعتقد اليهودي. بل على العكس من ذلك فقد أصبح هذا الصديق متميزاً عندهم، وصاحب مكانة لديهم، ومنزلة عندهم، وأطلقوا عليه اللقب الذي ذكرناه سابقاً، وهو «المدافع عن اليهود». وفيما يلي شيء من أقواله في الدفاع عن اليهود أمام الرب: ففي إحدى المناسبات الدينية اليهودية كان هذا الصديق يقرأ عبارة سفر الخروج ٢٢/٢١: «ولا تؤذِ يتيماً»، فتوقف عندها وترك التوراة وأخذ يصيح: «يا رب العالمين، لقد أعطيت في توراتك تحذيراً بعد تحذير، ونهياً بعد نهي، وقلت بأنه لا يجوز لأحد أن يؤذي اليتيم، ونحن قد أطعنا أوامرك كل هذه السنين، واعتنينا باليتيم وعطفنا عليه ورحمناه. ولكن أيها الرب ألسنا نحن أيتام كذلك. أليس اليهود أيتام في هذا العصر؟!! ألم يذكر في التوراة في سفر الجامعة ٥/٣: «لقد أصبحنا أيتاماً دون آباء» أين هي إذن رحمتك؟! لماذا نبقى في مأساة الشتات كل هذه السنين؟».

---

(١) S.A. Horodezky, Leaders of Hasidism, pp. 44 - 47.

(٢) S.H. Dresner, The World of a Hasidic Master, Levi Yizhak of Berditchev, p. 51.

(٣) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 54.

وكان مرة يقرأ التوراة في إحدى الصلوات، ولما وصل إلى عبارة: «إن عرشك سيقوم على الرحمة، وتجلس عليه بحق» ترك النص وأخذ يخاطب ربه قائلاً: «أيها الرب، إذا أردت لعرشك أن يثبت حتى تجلس عليه بجلال، حيث يكون لائقاً بملك الملوك؛ إذن عامل أبناءك برحمة، وأصدر قراراتك بخلاصهم. أمّا إذا عاملتهم بقسوة، وأصدرت قرارات قاسية، فإن عرشك سوف لا يقوم، وسوف لا تجلس عليه بحق، لأن الصديقيم في كل جيل من الأجيال سوف لا يسمحون لك أن تجلس على عرشك، وقد تصدر قرارات ولكن هؤلاء الصديقيم سيلغونها. لذلك أنا أطلب منك أيها الملك أن يقوم عرشك على الرحمة وعندها سوف تجلس عليه بحق»[1].

وكان في يوم كبور يقرأ عبارة المزمور ٩١/١١٩: «إنهم يقفون هذا اليوم ليسمعوا حكمك في كل شيء، إنهم عبيدك». فعلّق على ذلك بقوله: «إن هذا اليوم هو اليوم الذي تصدر به أحكامك على الناس كما قال داود في مزاميره. وفي هذا اليوم تقف كل الخلائق أمامك لتصدر أحكامك عليها. ولكني أنا ليفي بن سارة أقول وأعلن: بأنك أنت الذي سَيَصدُرُ عليك الحكم هذا اليوم من قِبَل أبنائك الذين عُذِّبوا من أجلك، والذين يموتون من أجلك، ومن أجل تقديسك وشريعتك وعهدك»[2].

وقال مرة بمناسبة رأس السنة العبرية وقبل أن ينفخ بالبوق مخاطباً ربه: «لقد قلتَ في توراتك إن يوماً يجب أن ينفخ فيه بالبوق». وبسبب هذا الأمر الذي أوجبتَه في توراتك فإننا أبناؤك نفخنا مئات المرات بالبوق وفي كل سنة جديدة. والآن فإن هؤلاء الآلاف من اليهود أبناءك المخلصين يصيحون ويتوسلون إليك كما توسلوا في القرون الكثيرة السابقة أن تنفخ أنت بالبوق العظيم ولو لمرة واحدة، من أجل حريتنا، ولكنك إلى الآن لم تفعل»[3].

وكان مرة يصلّي في الكنيس فقطع صلاته وخاطب ربه بقوله:

«يا رب إبراهيم وإسحق ويعقوب، لقد طلبتَ منا ـ وبحق ـ أن نتبع

---

(١) S.H. Dresner, op. cit. pp. 80 - 82.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 110.
(٣) S.H. Dresner, op. cit. p. 80.

طريقك، ونحن وللحق قد حاولنا أن نقوم بذلك، إذن لماذا لا تتبع طريقنا أحياناً؟ لماذا مثلاً لا تعاملنا - على الأقل - مثل ما يعاملك اليهودي البسيط؟ فهذا اليهودي إذا سقطت منه التفلين على الأرض فإنه يرفعها ويمسح التراب عنها وينظفها ويقبلها، لأن التفلين هي مفخرة اليهود وفيها مكتوب: «اسمع يا اسرائيل، الرب إلهك والرب واحد». وإن شعبك هم تفلينك التي على رأسك، إذ أن التفلين تمجِّد حاملها، لأنك من خلال اسرائيل كنت قد مُجِّدت. وما هي الآية المكتوبة على التفلين التي تضعها أنت؟ إنها آية شعب داود الملك المقدَّس، وهي: «مَنْ مثل شعبك اسرائيل، شعب فريد على هذه الأرض». أيها الرب إنَّ تفلينك قد سقطت إلى الأرض في تراب الشتات والنفي والعذاب في هذه السنين الألفين!! لماذا لا ترفعها من الأرض مرة أخرى؟! إنك إن تركت طريقك واتبعت طريقنا، وغفرت لنا وخلَّصتنا، فهو كل ما نطلبه، وإلا فإنني سأضطر لأن أعلن للناس بأن التفلين التي تضعها أنت هي تفلين كاذبة»[1].

وقال في يوم كبور (يوم الغفران) مرة:

«يا إله الكون، عندي إليك أربع شكاوى أريد أن أسجلها ضد قرار محكمتك، لأني أنا حاخام وعلى اطلاع على شريعتك، وهذه الشكاوى الأربع هي:

**أولاً**: إنه مكتوب في التلمود في قسم «كتوبوت»: «يجوز تبرئة المتهم في غيابه، ولكن لا يجوز إدانته في غيابه». فكيف إذن أمكن لمحكمة السماء أن تجرمنا قبل أن نظهر أمامها.

**ثانياً**: لقد قال حاخامونا في كتاب «فرقي أبوت»: «لا تحكم على أخيك حتى تضع نفسك في مكانه»، فكيف إذن يمكن لأولئك الذين في السماء أن يحكموا على من في الأرض قبل أن يعيشوا الحياة على الأرض (مثلهم).

**ثالثاً**: إن حاخامينا قالوا في التلمود في قسم «السنهدرين»: لا يجوز أن يعين الرجل عضواً في السنهدرين إذا لم يكن له أولاد، لأن الأولاد يعلِّمون

(١) S.H. Dresner, op. cit. pp. 79 - 80.

الأب الرحمة، فكيف يكون للملائكة الحق أن يكونوا قضاة وهم ليس لهم أولاد.

رابعاً: إن هناك قاعدة في فقهنا، وهي: «أن الذي يَتَّهِم، يجب أن يأتي للمُتَّهـم»، ولما كان الذي يَتَّهِـم موجوداً في السماء والمُتهم موجوداً في الأرض، إذن على الذي في السماء أن ينزل إلينا في الأرض ويحاكمنا في محاكمنا طبقاً للشريعة»[١].

وكان مرة يصلي في جَمْع من الناس في يوم كبور أيضاً، فرفع صوته عالياً يخاطب ربه فقال: «منذ اللحظة التي أخذتَ بها العهد على شعبك حاولتَ دائماً أن لا تفي بهذا العهد لكي تختبرهم، فلماذا هذا؟ ألا تذكر أنك في سيناء ذهبت من هنا وهناك وتوراتك بيدك مثل بائع لا يتمكن أن يتخلَّص من تفاح عفن. لقد عرضت توراتك على كل الشعوب فرفضها كل واحد منهم باحتقار وأعلن بنو إسرائيل وحدهم استعدادهم عن قبولها وقبولك فأين الجزاء إذن؟»[٢].

وكان ليفي إسحق برديشيف يأتي أحياناً بأحد المصلين في الكنيس ويطلب منه أن يتوسل لربه ليغفر له، وقد جاء مرة بشخص خياط اسمه نيكل وطلب منه أن يتكلم أمام المصلين، فتكلم هذا وقال: «أنا نيكل رجل خياط فقير أقول وأنا صادق في قولي بأنني لم أكن مخلصاً في سلوكي، فقد احتفظت ببقايا قماش أحياناً، وفاتتني صلاة العصر أحياناً. ولكنك أنت أيها الرب قد أخذت أطفالاً من أمهاتهم وأمهات من أطفالهن، ونحن في يوم الأيام هذا (يوم الكبور) يجب أن نكون بلا ذنوب، فإذا غفرتَ لي فإنني أغفر لك» وبعد أن انتهى هذا الشخص من كلامه قال له ليفي إسحق: «لقد كنت متسامحاً معه»[٣].

وقد قال هذا الصديق مرة: «إن الرب لم يكن عادلاً حتى مع يهودي واحد»[٤].

---

(١) Ibid, p. 83.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, pp. 109 - 110.
(٣) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 52.
(٤) S.H. Dresner, op. cit. p. 79.

وقد ذكر أحد الصديقيم بأن حب الصديق ليفي إسحق لليهود واهتمامه بهم ودفاعه عنهم لم ينته بموته، لأنه وعد أتباعه بأنه عندما يدخل الجنة سوف لا يقر له قرار حتى يظهر المسيح المخلِّص ليخلص اليهود.

وكان لليفي إسحق برديشيف دَوْر مهم في انتشار الفكر الحسيدي في أوكرانيا وليثوانيا، وقد اعتبر مؤسساً للفكر الحسيدي في وسط بولندا. فقد كان يطوف المدن مع جماعة من طلابه المقرَّبين له يدعو إلى الفكر الحسيدي، ويشجع على اعتناقه، وفي أدبيات الحسيديم قصصاً كثيرة عن ذلك[1]. وله كذلك تأثير في أدبيات اليهود عامة وأدبيات الحسيديم بصورة خاصة، حيث ذكر في مجموعة من المسرحيات والأشعار، بل لقد قيل عن أثره بأنه لم يؤثر أحد من زعماء الحسيديم ـ باستثناء بعل شم طوب ـ في الخيال اليهودي مثلما أثَّر هذا الصديق. وقد جمعت أقواله وخطبه في كتاب عنوانه «قدوش ليفي».

## نحمان براسلاف Nechman Braslav (ت ١٨١١ م)

هذا الصديق هو حفيد مؤسس الحركة الحسيدية من جانب الأم، ولا يعرف عن عائلته الشيء الكثير سوى أن جده صحب بعل شم طوب واختص به، وأن أباه كان حسيدياً. وقد أُضفي على أمه شيء من القدسية لانتمائها إلى بعل شم طوب. وكانت ولادته في بلدة Medzibozh وهي بلدة مؤسس الحركة التي سكنها في السنين الأخيرة من حياته. وعلى الرغم من أن تعاليم الحركة الحسيدية لا تشجع على الصيام والتقشف، إلا أن نحمان براسلاف كان يعذِّب نفسه بالصيام الطويل؛ بل قيل إنه عندما كان يفطر كان لا يمضغ الطعام حتى لا يتذوق طعمه. وكان أيضاً يعذب جسده بأن يلقي به في الماء الشديد البرودة[2]. وكان قد تزوج وهو في الرابعة عشرة من عمره. وقد سكن مدينة Medvedevka في مقاطعة كييف، حيث التف حوله مجموعة من الحسيديم

---

(١) L. Jacobs, Hasidic Thought, pp. 115 - 116.

(٢) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 64.

اتخذوه صديقاً لهم فعُرفوا به ونسبوا إليه. ورحل عام ١٧٩٨ إلى فلسطين ولكنه تركها بعد أن دخلها نابليون.

وقد اشتهر هذا الصديق بنزاعه مع بقية الصديقيم ونقده لهم والنيل منهم، وهو ينطلق في ذلك من رأي اعتقد به وتبناه وهو ضرورة التنازع مع الآخرين ومجادلتهم، حيث اعتقد بأن هذا شيء مهم ومحتَّم عليه ولا مفرّ له منه. وله أقوال في ذلك، فقد قال: «إنني يجب أن أجادل دائماً، لأنني أتحرك دائماً وأنتقل في كل لحظة من مرحلة إلى مرحلة، وإذا شعرت بأنني واقف في المكان الذي كنت أقف فيه قبل ساعة فإن ذلك يزعجني»[١]. وقال: «أنا أريد أناساً ينازعونني لأن هذا يجعلني أتسامَى في كل لحظة، لأن وجودي يتغير في كل لحظة»[٢]. وقال أيضاً: «كيف لا يتنازع معي هؤلاء وأنا أسلك طريقاً لم يسلك من قبل»[٣]. بل إنه يعتبر حالة الجدل معه جزءاً من النظام الكوني القائم على العملية الجدلية، إذ أن في كل شيء ـ كما يرى ـ عملية جدلية حتى الإنسان الذي يكون وحده فإن هناك عملية جدلية في داخله[٤].

وكان يعتبر الكثير من الصديقيم كذّابين، ومن أقواله في ذلك: «إن هؤلاء الذين لا يعرفون كيف يسلكون، يدّعون هنا بأنهم زعماء الناس، ولما كان الشيطان مشغولاً جداً ولا يمكنه أن يؤدي مهمته لوحده، فهو يستخدم هؤلاء ليساعدوه»[٥]. وقال أيضاً: «لما كان ملك الموت غير قادر على تحقيق مهمته بقتل البشر، فقد جعل الأطباء مساعديه ليحطموا الجسم والصديقيم ليحطموا العقل»[٦]. وكان قد استهزأ بصديق مرة وقال عنه: «إنه كان لفترة تسع سنوات يصلي بحرارة وحماس معتقداً أن في الغرفة المجاورة يجلس أتباعه بسبب حركة كان يسمعها، وعندما فتح باب الغرفة رأى قطة تخدش

---

(١) A. Green, Tormented Master, p. 114.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 193.
(٣) S. Horodezky, Leaders of Hasidism, p. 89.
(٤) A. Green, Tormented Master, P. 115.
(٥) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 193.
(٦) Ibid, p. 194.

أرض الغرفة»[١]. وقال عنهم كذلك: إنهم أناس منافقون. وإلى جانب ما كان يقوله عن الصديقيم فقد كان كثيراً ما يمدح نفسه ويجعل منها شخصاً لا يضاهيه أحد ولا يدانيه، وله أقوال في ذلك فمنها:

«إن كل الصديقيم عندما يصلون إلى مرحلة معينة فإنهم يتوقفون، إلا أنا فإني بحمد الله أتجدد في كل لحظة وأصبح شخصاً آخر»[٢].

ومنها قوله: «لقد كانت هناك أربعة عصور مختلفة منذ بدأ شتات اليهود، على رأس كل واحد شخص مختار. فعلى الأول كان الحاخام شمعون بن يوحاي، وعلى الثاني إسحق لوريا، وعلى الثالث بعل شم طوب، وعلى العصر الرابع أنا». ومن أقواله كذلك: «أنا لست من هذا العالم ولذلك فإنه لا يفهمني، وليس فيه من يشبهني. وإنني مثل شجرة فروعها طرية خضراء، وقد أشعلتُ ضياء لا ينطفىء أبداً، وإن المخلِّص (مخلِّص اليهود) سيكون من أحفادي. وكل الناس في العالم القادم سيكون حسيديم من أتباعي»[٣].

ومن أقواله كذلك: «لو كشف عن حكمتي لكان البشر قد اكتفوا بها بدل الماء والطعام»، وقال: «إن المسيح المخلِّص سيكون واحداً من أولئك الذين يكتبون عن مؤلفاتي». وقال أيضاً: «إن لي كل صفات المخلِّص ومؤهلاته، عدا أنه هو الذي سيظهر إلى العالم ولست أنا».

وكان الصديق نحمان يعتبر نفسه أفضل ممن سبقه من علماء القبلاه والحركة الحسيدية، وقال في ذلك: «في عالم الحقيقة الأبدية فإن هؤلاء كلهم سيحتاجونني، وسوف يطلبون سماع ما يجب أن أقوله...». وكان يردُّ على الذين ينتقدون تعاليه وتفاخره بقوله: «إن الصديق لا يشبَّه إلا بالخالق، فهو لا يشبه المخلوقين، ولا يُقارن بهم، والناس لا يفهمون حقيقته، وهم كذلك غير قادرين على الحكم عليه، لأن معياره يختلف عما هو عند الناس»[٤]. وهو يرى بأن الصديق لا يذنب[٥].

---

(١) Ibid, p. 194.

(٢) S. Horodezky, Leaders of Hasidism, p. 85.

(٣) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 80 - 82.

(٤) E. Wiesel, Souls on Fire, pp. 194 - 95.

(٥) H. Weiner, 9 1/2 Mystics, the Kabala Today, p. 215.

وبسبب أقواله هذه حرَّض على إيذائه بعض الصديقيم، وطلبوا من الحسيديم مهاجمته، حتى إن أحد الصديقيم قال: «كل من يؤذي نحمان براسلاف أضمن له الجنة». وأصدر صديقيم آخرون قراراً ضده وضدّ أتباعه، وقد جاء فيه: «. . إن الزواج من هؤلاء محرَّم، والصلاة معهم محرمة، والكلام والتعامل معهم أيضاً محرمان، وحتى الإجابة على أسئلتهم. ولا يجوز أن يدرِّس هؤلاء أطفال الحسيديم، ولا يجوز أن يؤكل ما يذبحونه، أو الرحمة بهم أو الشعور بعاطفة نحوهم»(١).

وعندما اشتكى أتباعه له بأنه من الصعب عليهم أن يتحملوا مهاجمة أعدائهم واضطهادهم لهم قال لهم: «صدِّقوني بأنني أتمكن أن أكون مسالماً مع العالم أجمع، ولكن هناك درجات سماوية عليا لا يمكن الحصول عليها إلا بالنزاع والجدل»(٢).

وبسبب هذا الهجوم فقد اضطر إلى مغادرة المدينة التي كان يسكن فيها، حيث استقر في مدينة براسلاف، ومنها أخذ اسمه. وكان يقول عن محاربة هؤلاء له: «إن المعارضين لي يعتقدون بأنهم يؤذونني، ولكنهم في الواقع يساعدونني كثيراً، بل إن نجاحي يُعزى لهم»(٣).

وكان هذا الصديق يسافر كثيراً، وعندما كان يسافر لم يكن أتباعه يعرفون إلى أين كان يسافر ولماذا، ولم يكن هو يعلمهم بسفره أو الغرض منه. وكان يقول عن رحلاته هذه: «لو علم الناس فقط أهداف أسفاري لقبّلوا آثار أقدامي»(٤) وكان يفضل أن يكون متخفياً غير معروف في هذه الأسفار.

وعندما ذهب إلى فلسطين ومرّ بمدينة اسطنبول سلك سلوكاً غريباً، إذ كان يمشي في الشوارع والأسواق حافي القدمين، لابساً ملابسه ظهراً لبطن دون حزام أو غطاء رأس، يسخر من الناس ويضحك منهم، ويحرك يديه يميناً وشمالاً، ويتحرش بالآخرين ليثير غضبهم وانزعاجهم من أجل أن يصطنع

---

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 192 and H. Robinowicz, the world of Hasidism, p. 83.

(٢) A. Green, Tormented Master. p. 114.

(٣) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 193.

(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 82.

شجاراً معهم. وكان يصيح بوجه من يقترب منه ويحقّره، فكان بعضهم يهينه ويشتمه، وكان البعض الآخر يضربه، وكان يفعل هذا حتى مع اليهود الذين يلتقي بهم.

وقد ذكر أحد مؤرخي حياته بأن الصديق نحمان براسلاف قد ذكر سبب هذا السلوك لرفيق سفره الذي صحبه إلى فلسطين فقال له: «إن الطريق إلى فلسطين مملوءة بالعقبات التي لا حدود لها، وهذه الإهانة ضرورية لتساعدني على إتمام الرحلة إلى فلسطين، إذ بدونها لا يمكن الوصول إليها، وتساعدني كذلك على الرجوع منها»[١].

وذكر باحث آخر بأنه قد نسب إلى الصديق نحمان براسلاف قوله: إنه كان يريد بهذا العمل أن يخدع الشيطان حيث يزيّف شخصيته أمامه، ويوهمه بأنه رجل لا علاقة له بحقيقة الصديق، وأنه إنسان لا يختلف كثيراً عن المجانين الذين لا يهتم بهم الشيطان ولا يقترب منهم ولا يحاول إغواءهم[٢].

ولكن هذا الباحث يعطي تفسيره الخاص لهذا السلوك ويقول بأن الصديق نحمان إنما قام بهذا انطلاقاً من طبيعة السخرية التي تميز بها، حيث سخر من كل شيء من الحياة ومن الإنسان، وكثيراً ما يجد الإنسان أمثلة لهذه الظاهرة في كلامه وقصصه. ومن أمثلة سخريته قوله: «عندما يظهر المسيح المخلّص لا يتغير شيء (بظهوره)، سوى أن الناس سيخجلون من جنونهم»[٣]. وقال مرة: «سأصطحب زوجتي وأذهب بعيداً عن الناس، وأراقبهم من هناك وأضحك مما يفعلون».

وفي بعض قصصه نرى بطل القصة يتميز بالضحك والسخرية، ضحك لا يشابهه ضحك ولا يماثله. ومن هذه القصص قصة قصيرة ذكرت عنه، وهي بالنص التالي: «كان في قديم الزمان بلد ضمَّ كل بلدان العالم، وكان في ذلك البلد مدينة احتوت على كل المدن في ذلك البلد، وكان في تلك المدينة شارع جمع فيه كل شوارع المدينة، وكان في ذلك الشارع بيت ضم تحت سقفه كل بيوت ذلك الشارع. وكان في ذلك البيت غرفة فيها إنسان وقد تمثل

---

(١) A. Green, op. cit. p. 68.

(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 198.

(٣) Ibid, p. 199.

فيه كل الناس من كل البلدان. وكان هذا الإنسان يضحك ويضحك ويضحك بشكل لم يضحك مثله أحد أبداً»[١].

وكان هذا الصديق يكره الإعادة والتكرار أكثر مما يكره أي شيء آخر. وكان يقول تأكيداً على ذلك: «بأن الملائكة لا يكررون ابتهالاتهم أبداً، بل إن الملائكة أنفسهم يغيرهم الرب كل يوم، وإن من يكرر نفسه يسيء إلى الرب ويبتعد عنه. وكان أيضاً لا يحب كبار السن ويقول عنهم: «إنهم محمَّلون بالحزن والكآبة. وكان لا يحب الأغنياء ويقول عنهم بأنهم محمَّلون بالديون»[٢].

وكان الصديق نحمان لا يثق بالأطباء والفلاسفة، وقد قال عن الأطباء: «إنه حتى لو كان هناك أطباء متميزون فإن الإنسان يجب أن لا يعتمد عليهم ولا يضع حياته بيدهم. إنهم يخطئون، وبسهولة يسببون ضرراً ليس من السهل إصلاحه. وإن الضرر يأتي بصورة أكثر من الأطباء الذين يوجدون في بلدنا والذين لا يميزون بين يدهم اليمنى ويدهم اليسرى. إن هؤلاء قتلة حقيقيون، وإن من الأفضل الابتعاد عنهم[٣]. إن من غير الممكن لملك الموت أن يفني العالم لوحده، لذلك عيّن وكلاء له وهم الأطباء»[٤].

وقال عن الفلاسفة: «طوبى لمن لا يعرف شيئاً من كتبهم، ويسلك سلوك الصالحين ويخاف العقاب» ولم ينج منه حتى الفيلسوف اليهودي موسى ابن ميمون، حيث قال عن أحد كتبه: «إن من ينظر في (كتاب) «موره نبوخيم» (دلالة الحائرين) فإنه يفقد الجانب الإلهي من وجوده»[٥].

وإن هناك بعض الناس في زماننا ممَّن عُرفوا بأنهم فلاسفة ولكن سيكشف عن حقيقتهم في العالم القادم، ويتبين أنهم مشككون وملحدون»[٦].

وكان الصديق نحمان يمدح الفقر والتواضع ولا يحبِّذ الغنى والثروة. وقد انعكس ذلك على أتباعه. وكان يطلب من كل من يريد أن ينضم إلى

---

(١) Ibid, pp. 199 - 200.
(٢) Ibid, pp. 190 - 91.
(٣) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 66.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 79 - 80.
(٥) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 66.
(٦) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 80.

جماعته أن يعترف بذنوبه، وكان أتباعه أيضاً يقومون بذلك في رأس السنة اليهودية، ولذا سمي أتباعه بالمعترفين. وكان النص الذي يقولونه عند اعترافهم هو التالي: «اللهم اجعلني برحمتك أهلاً للاعتراف أمام الصديق من أجل أن يتوسط لي بحكمته حتى يُغفَر لي»[١].

وقد طلب من أتباعه أن يزوروه في رأس السنة. وقد جعل زيارتهم له شبه واجبة عليهم، وكان يقول لهم عن سفرهم إلى زيارته: إنه في كل خطوة يخطونها في زيارتهم له يُخلق ملك جديد وأنهم بهذه الزيارة يصبحون أكثر طهارة وأعظم قدسية؛ بل حتى الذين يتصلون بهم[٢]. وكان يقول لأتباعه: «كيف أنساكم ولكل واحد منكم مكان في قلبي، وكل واحد منكم يقاسمني توراتي، كلوا أو لا تأكلوا، ناموا أو لا تناموا، صلُّوا أو لا تصلُّوا، ولكن عليكم أن تعملوا شيئاً واحداً وهو أن تزوروني (في رأس السنة)[٣].

وطلب من أتباعه كذلك أن يزوروا قبره بعد مماته. ومما قاله لهم في ذلك: «أنا أود أن أكون معكم دائماً، فأتوا وزوروا قبري، وتكلموا معي كما لو كنت حياً» وقد وعدهم بأن يخلِّصهم من جهنم إذا قاموا بذلك[٤]. وقال لهم: «إن أي واحد منكم يذهب إلى قبري، ويعطي الفقراء صدقة، ويقرأ بإخلاص المزامير العشرة - التي يقرؤها عادة - بطريقة صحيحة والتي لها خاصية تغيير الروح، فإني سوف أنقذه من جهنم إذا كان مكتوباً له أن يدخل جهنم[٥]. وعندما كان الصديق نحمان على فراش الموت قال لأتباعه لماذا أنتم حَزِنُون؟ أنا فقط ذاهب أمامكم وكأني منتقل من غرفة إلى غرفة أخرى». وقال لهم كذلك: «أنتم لستم بحاجة إلى اختيار خليفة لي من بعدي لأنني سأكون لكم صديقاً حتى بعد موتي».

وقد التزم أتباعه بوصيته حيث لم يتخذوا لهم خليفة من بعده ولهذا فهم يسمون اليوم بـ«الحسيديم الأموات»[٦]، لأنه ليس لهم صديق حي. وهم

---

(١) Ibid, p. 79.
(٢) S. Horodezky, Leaders of Hasidism, p. 92.
(٣) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 82.
(٤) S. Horodezky, Leaders of Hasidism, p. 92.
(٥) H. Schwartz, The Captive Soul of the Messiah, p. 235.
(٦) Ibid, p. 238.

الوحيدون بين الحسيديم على هذه الحال. وقد التزموا بوصية صديقهم وواضبوا على زيارة قبره في «أومان» في روسيا، حيث يذهبون في كل سنة جماعات جماعات إلى هناك. وفي سنة (١٩٩٣ م) ذهب أكثر من ألف وستمائة شخص منهم، وأخذوا طعامهم وما يحتاجون إليه معهم. وهم يعتقدون أن من يزور قبره لا بدَّ وأن يموت مغفوراً له ذنوبه، وأن الدعاء عند قبره هو دعاء مستجاب[١].

ويعتبر الصديق نحمان من أبرز القصّاصين اليهود، خاصة بلغة اليديش. ومن مؤلفاته مجموعة قصص ألفها في السنين الأخيرة من حياته، وأشهر هذه القصص قصة «الشحاذون السبعة» وقد كان يعتز كثيراً بهذه القصة ويفضلها على غيرها من القصص، وكان يقول عنها: «لو لم أكن أعرف سوى هذه القصة لكان ذلك شيئاً عظيماً[٢]. وهذه القصة هي من أكثر قصصه غموضاً وإبهاماً.

وهناك بعض الشبه بين حياة هذا الصديق وحياة الأديب الجيكي اليهودي، فرانز كافكا، فقد توفيا في عمر متقارب، حيث توفي الأول في التاسعة والثلاثين والثاني في الحادية والأربعين من العمر، وكلاهما مات بمرض السل، وكلاهما كان عنده صديق وتلميذ مخلص. فالصديق نحمان كان تلميذه وصديقه الحاخام ناثان، وكان صديق كافكا وتلميذه ماكس برود، وأخيراً فقد طلب كلاهما أن تُحرق مؤلفاته.

ولكن عدا هذا التشابه في الحياة هناك تشابه آخر وربما هو تأثير وتأثر. فروايات كافكا وقصصه يشبه بعضها قصص الحاخام نحمان في الغموض، فهي روايات يصعب فهمها على القارىء، بل ومعرفة الغرض منها. فرواية «القلعة» مثلاً رواية صعبة معقدة وغامضة، بل حتى القلعة لا يمكن الدخول إليها.

ورواية «المحكمة» لا تختلف عنها في الغموض، فالبطل لا يعرف حتى التهمة الموجهة إليه ولا يعرف طبيعة محاكمته. وهذه الروايات لا تختلف عن

---

(١) D. Meijers, Ascestic Hasidism in Jerusalem, p. 38.

(٢) A. Kaplan, Rabbi Nachman's Stories, p. 436.

قصة «الشحاذون السبعة» التي ذكرناها سابقاً وتميزها بالغموض والإبهام أو غيرها من القصص الأخرى.

كذلك فإننا نرى أن بعض قصص الحاخام براسلاف مثل قصة «الشحاذون السبعة» و«الأميرة الضائعة» ليس لها نهاية، وقد قال عن عدم إنهائه القصة الأولى: «إننا لا نستحق أن نسمع نهايتها إلى أن يظهر المسيح المخلِّص»[1]. وبعض قصص كافكا أيضاً ليس لها نهاية، وربما الشبه الأوضح هو الذي بين رواية كافكا «المسخ» وقصة نحمان براسلاف «الأمير الديك». فالبطل في كليهما يرى نفسه قد تحول إلى مخلوق آخر. ففي قصة الحاخام نحمان يعتقد الأمير بأنه ديك، ويتجرد من ملابسه ويجلس عرياناً تحت منضدة الطعام يلتقط فتات الطعام وبقاياه كما يفعل الديك. وحاول أبوه الملك أن يجد طبيباً يعالجه فعجز، إلى أن جاءه رجل حكيم وضمن له علاجه، فتجرد الحكيم من ملابسه وجلس مع الأمير تحت منضدة الطعام، وأخذ يفعل ما يفعل ويأكل ما يأكل إلى أن أصبح صديقه. وشيئاً فشيئاً أقنع الأمير في أن يلبس ملابسه ويأكل طعامه ويترك الجلوس تحت المنضدة، فرجع إلى حالته الطبيعية وسيرته الأولى. وعلى الرغم من أهمية أحداث هذه القصة وثرائها ووضوح هدفها فهي قصة مكثفة وقصيرة جداً حيث لا تتجاوز الصفحة الواحدة وبضعة أسطر.

أما في رواية «المسخ» لكافكا فإن بطلها غرغور سامسا يصحو في أحد الأيام، فيجد نفسه قد تحول إلى حشرة ضخمة ذات أرجل كثيرة وبطن كبير، ويشعر بأن صوته قد تغير، ويبقى في غرفته لا يخرج لأنه يخجل أن يراه أهله، ويكلم أهله من وراء الباب، ثم يختبىء تحت أريكة في الغرفة يخرج من تحتها عندما يتناول طعامه. والغريب أن أهله لايهتمون به طيلة هذه الفترة، ولم يأتوا له بطبيب لمعالجته، فأخذ يعاف الأكل، وفي يوم من الأيام جاءت الخادمة إلى غرفته فوجدته جثة هامدة.

ومن الصعب أن يعرف القارىء هدف رواية كافكا والمغزى منها. وقد أُعطيت لها تفسيرات متعددة، شأنها شأن بعض قصصه الأخرى، ونحن وإن

(١) A. Kaplan, Rabbi Nachman's Stories, p. 436.

كنا نجد صعوبة في فهم القصد من بعض قصص الحاخام نحمان التي يصل عددها إلى ما يقرب الثلاثين قصة، إلا أن الهدف من قصة «الأمير الديك» واضح إذا عرف الإنسان خلفيَّة نحمان ومعتقداته. فالحاخام نحمان كان مرشداً روحياً (صديق) لمجموعة من الحسيديم، وهو من الصديقيم الذين يؤمنون بمسؤولية الصديق تجاه أتباعه، أي عليه أن يصلحهم ويوجههم إذا وجدهم قد انحرفوا عن السلوك القويم. وذلك بأن ينزل إلى مستواهم ويسلك سلوكهم إلى أن ينقذهم. وفي قصة «الأمير الديك» فإن الأمير يمثل الحسيد الذي أخذ يسلك سلوكاً غير لائق بالحسيديم، والرجل الحكيم يمثل الصديق الذي نزل إلى مستوى الحسيد وتخلَّى عن قدسيته، فأخذ يعمل ما يعمل ويسلك سلوكه إلى أن رفعه من مستواه الواطيء إلى المستوى الذي يجب أن يكون عليه.

وتؤمن مجموعة براسلاف بأن الخير دائماً محاط بعقبات وصعوبات، وإذا كان حصول الإنسان على الشيء دون مصاعب فإن ذلك يعني أن الشيء ليس فيه خير للإنسان[١]. وهذه الفكرة مأخوذة مما قاله صديقهم حيث قال: «إذا واجهت الإنسان عقبات كثيرة في تحقيق الشيء المقدس فإن ذلك يعني أن ذلك الشيء مهم وذو قيمة كبيرة، إذ كلما كانت العقبات أكثر كان الشيء أهم وازدادت الرغبة في تحقيقه»[٢].

ويقضي أفراد هذه المجموعة ساعة أو أكثر يومياً يتأملون فيها لوحدهم، وذلك أيضاً طبقاً لتعاليم زعيمهم حيث جاء في كتابه «لقوطي موهران»: «إن العزلة هي أعظم المنافع ومن أحسن الفضائل، وعلى الإنسان أن يخصص لها ساعة أو أكثر في اليوم، يكون لوحده في غرفة أو حقل يناجي ربه سرًّا، ويتضرع إليه ويتوسل، ليجعله قريباً منه»[٣]. وفي إسرائيل تأخذ الحافلات طلاب اليشيفوت من هذه المجموعة عند الفجر وتنزلهم واحداً واحداً على انفراد في حقول خارج المدينة، حيث يقضون فترة بالتأمل حتى طلوع الشمس، ثم تعود بهم هذه الحافلات إلى المدينة[٤].

---

(١) H. Weiner, 9 1/2 Mystics, The Kabala Today, p. 200.
(٢) L. Jacobs, Hasidic Thought, pp. 60 - 61.
(٣) Ibid, p. 63.
(٤) D. Landau, Piety and Power, p. 207.



الكرسي الذي يتبرك به مجموعة براسلاف الحسيديم حيث كان يجلس عليه زعيمهم الروحي نحمان براسلاف.

ويوجد أكثر أفراد هذه المجموعة اليوم في اسرائيل. وهم يتركزون في «القدس» وفي «بني برق». وقد بنوا لهم كنيساً ضخماً في القدس، وهم يضعون الكرسي الذي كان يجلس عليه زعيمهم في الكنيس في مكان مميز ويتبركون به. وكانوا قد جاءوا بهذا الكرسي من روسيا، وقد ذكروا بأنهم قد سمعوا في أحد الأيام كلاماً خافتاً يصدر من هذا الكرسي عندما كان جماعة منهم يتناقشون بقربه في مسألة من المسائل.

ويجتمع هؤلاء في رأس كل سنة عبرية في القدس، والبعض الآخر منهم يذهب إلى ميرون (في اسرائيل) لزيارة قبر الحاخام الشهير شمعون بن يوحاي. وقد أسسوا معهداً في نيويورك للبحوث والدراسات أطلقوا عليه «معهد براسلاف للبحوث». ويقوم هذا المعهد بنشر مؤلفات الصديق نحمان وتحقيقها وترجمتها.

وكان أحد أفراد هذه المجموعة ـ اسمه نحمان شتاركس ـ قد أثار ضجة كبيرة في إسرائيل في الستينات، حيث اختطف حفيده من أبويه لأنه كان يخشى أن يرجع به أبواه إلى روسيا ولا يربَّى تربية دينية. وبعد بحث استمر ثلاث سنوات قامت به المخابرات الإسرائيلية عثر على الطفل وأُرجع إلى أبويه. وتتحدث مجموعة براسلاف عن هذا الحدث باعتزاز، وتعتبره تعبيراً عن اهتمامها باليهودية وحرصها عليها والتزامها بها.

### أرياه ليب Aryeh Leib of Shpola (ت ١٨١٢ م)

وقد عرف هذا الصديق بين الحسيديم بلقب «شيخ شبولا» The Old Man of Shpola، وشبولا مدينة في أوكرانيا استقر فيها الصديق في العقود الأخيرة من عمره فنُسب إليها. وكان قد ولد عام ١٧٢٥ م في إحدى مدن أوكرانيا، ودرس على يد الصديق فنحاس كورتز الذي مر ذكره، وكان قد التقى ببعل شم طوب ولكنه لم يكن لقاء تلميذ وأستاذ، وقد أصبح مساعداً لصديق قبل أن يصبح زعيماً روحياً يتزعم جماعة من الحسيديم.

وقد شهر بين عامة اليهود بأنه صاحب كرامات، ورجل قدِّيس له قدرة

كبيرة على شفاء المرضى وخاصة المصابين بأمراض نفسية، وقد شاعت عنه قصص كثيرة تحكي عن هذه الكرامات(١).

ويحكى عنه كذلك بأنه كان يهتم كثيراً بالعامة من اليهود، يساعد فقراءهم، ويعطف عليهم، ويندب نفسه لهم. وربما كان هذا هو السبب الذي جعله يعيش لفترة بضع سنين بين الشحاذين والصعاليك، ويتقمص شخصية واحد منهم ويطوف البلاد معهم. وقد قبض عليه مرة وأودع السجن لفترة شهرين، ولكنه هرب بصحبة لص بعد أن أقنعه في أن يتوب ويصبح صديقه، ولم يفترقا إلا بعد أن أصبح أرياه مساعد صديق(٢).

ويحكى عن هذا الصديق بأنه قال: «قبل أن أولد رفضت الحياة والمجيء إليها إذ ليس هناك ما يفرح في الصراع مع البشر الذين هم فريسة لضعفهم، ولكني رُغِّبتُ في الحياة فوضعت شروطاً لقبولي بها، وكانت هذه الشروط أربعة: أحدها أن لا أنسى شيئاً، وثانيها أن لا يصيبني مرض، وثالثها أن يولد لي أولاد صالحين، وأن يكونوا يهوداً بسطاء، أما الشرط الرابع فلا أبوح به وليس لي الحق في الكشف عنه»(٣).

وكان مثل بعض الصديقيم الآخرين يدافع عن اليهود أمام ربه، ويتضرع له بأن ينقذهم ويساعدهم. وفي مخاطباته أحياناً جرأة على الله وإن كانت لا تصل إلى جرأة الآخرين مثل ليفي إسحق برديشيف. وقد قال مرة مخاطباً ربه:

«إذا كنت تعتقد بأن تجعل شعبك مطيعين بتعذيبهم ومعاناتهم فإني ليب بن راحيل أقسم لك بأنك سوف لا تنجح في ذلك.. إذن لماذا كل هذه المحاولات؟ ولماذا لا تحفظ شعبك بخلاصهم، وإنك إن فعلت ذلك فسوف لا تخسر شيئاً بل ستكون أنت الرابح»(٤).

وكان من عادة هذا الصديق أن يجلس لوحده في غرفة في اليوم الأول من السنة، لفترة ساعة أو ساعتين قبل الصلاة المخصصة لليوم الأول من السنة

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Aryeh Leib of Shpola.**
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 146.
(٣) Ibid, p. 146.
(٤) Ibid, p. 147.

الجديدة، يتكلم مع ربه ـ ليس بلغة الصلاة كما يقول ـ وفي إحدى المرات قال في هذه المناسبة مخاطباً ربه:

«أتضرع إليك أن لا تفكر بذنوب الناس، وأن تفكر بالأعمال الطيبة التي يعملونها. وصحيح أن الثانية هي أقل من الأولى، ولكن يجب أن تعترف بأن هذه على قلّتها هي أكثر نفاسة، وصدِّقني بأنه ليس من السهولة أن تكون طيباً في هذا العالم، وإنني لو لم أرَ بعينيَّ هاتين بعض الناس يعملون الخير على الرغم من العوائق لما صدقت بوجود الخير، لذلك أطلب منك أن لا تكون شديداً على أبنائك، وعليك أن تعجب مما يقومون به من خير على الرغم من ندرته»[١].

وخاطبه مرة أخرى بقوله:

«أيها الرب، إنك لست بعادل. إذ قد ملأت الكتب كلاماً عن جهنم، وملأت القلوب بالشهوات، فهل من العجب أن يتغلب الشيطان على الإنسان»[٢].

وفي إحدى السنين عندما كان قحط في روسيا، جمع هذا الصديق عشرة صديقيم وقال لهم: «عندي قضية ضد الرب، وأنا أعيِّنكم قضاة للحكم فيها طبقاً للشريعة اليهودية. وبما أن المحكمة يجب أن تكون في المكان الذي يسكن فيه المتهم طبقاً للشريعة، وبما أن الرب في كل مكان وهو معنا الآن، لذلك يمكن أن تكون المحكمة هنا. ثم طلب هذا الصديق من خادمه أن ينادي بأعلى صوته باسم المحكمة: «بأن الصديق ليب بن راحيل يدعو الرب المقدَّس إلى المحاكمة، وأن الحكم سيصدر خلال ثلاثة أيام من الآن في هذه الغرفة».

وقد عقدت المحكمة لثلاثة أيام دون أن يأكل الصديقيم شيئاً أو يشربوا. وفي اليوم الرابع وضع ليب أرياه اتهامه أمام القضاة وقال: «باسم النساء اليهوديات والأطفال اليهود في روسيا أطلب بأن يحاكم الرب جل جلاله بسبب

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 48.
(٢) Ibid, p. 47.

إرساله القحط عليهم وعدم إعطائه طعاماً لهم، إذ أن اليهود غير مذنبين» ثم طلب من الرب أن يرحم على الأقل النساء والأطفال اليهود.

وقد وافقه قضاة المحكمة على ذلك، واتخذوا القرار التالي: «إن الشريعة تحكم للصديق ليب بن راحيل، وإن الرب سبحانه يجب أن يطعم النساء والأطفال اليهود تحت أي ظرف من الظروف. وكما قررت محكمة الأرض هذا القرار فعلى محكمة السماء أن تقرر القرار نفسه»[١].

وكانت لهذا الصديق أثناء حياته نزاعات مع بعض الصديقيم الآخرين مثل الصديق باروخ حفيد بعل شم طوب الذي كان يعتبر نفسه الوريث الشرعي لمؤسس الحركة، ولا يحق لأحد أن ينافسه في ذلك أو يتميز عليه. ويقال بأن الغيرة من شعبيه الصديق ليب أرياه هي التي جعلته ينتقده ويهاجمه ويؤلب اليهود عليه.

وكان لهذا الصديق كذلك نزاع مع الصديق نحمان براسلاف ـ الذي تحدثنا عنه ـ وذلك بسبب الاختلاف في التفكير والسلوك. وقد اشتد الصراع والخلاف بين الإثنين عام ١٨٠٠ م، حتى إن الصديق ليب أرياه اتهم نحمان براسلاف بأنه يريد أن يحطِّم ما لم يتمكن «غاءون فلنا» أن يحطمه، بل إنه اتهمه بكونه من أتباع شبتاي صبي ويعقوب فرانك[٢]. وكان يحرض اليهود على الصديق نحمان، وقد ذكرنا ما قاله في ذلك. ولم يخلف هذا الصديق مؤلفات.

## يعقوب إسحق هروفتش (الرائي) Jacob Isaac Hurwitz (ت ١٨١٥ م)

ولد هذا الصديق في قرية قرب مدينة تارنغروت Tarnigrot في بولندا عام ١٧٤٥ م من أب حاخام، ونشأ في بيت جدِّه. وقد قيل بأنه كان متميزاً منذ الصغر، فقد ذكر عنه بأنه عندما كان في الثالثة من عمره كان يذهب إلى غابة، فيلحق به أبوه فيسأله عن السبب لذهابه، فيقول له إنه يبحث عن الله،

(١) S. Horodezky, Leaders of Hasidism, p. 72.
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 81.

فيرد عليه أبوه بأن الله في كل مكان، فيجيبه يعقوب ويقول له: «ولكني لست في كل مكان»[١].

وقد درس هذا الصديق على مجموعة من الصديقيم المعروفين، منهم المغيد، حيث درس معه عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، ومنهم أليملخ، وليفي إسحق برديشيف. وقد أثنى عليه بعض الصديقيم ومدحوه، فقال عنه المغيد: «إن روحاً مثل روح يعقوب لم تظهر منذ عصر الأنبياء»[٢]. وقال عنه الصديق موشيه أوهلي: «إن الصديق يعقوب كان يملك كفاءة النبي أشعيا وفضائله، سوى أنه لم يولد في فلسطين»[٣] وقال عنه الصديق أوري زعيم مجموعة شتيرلسك الحسيديم: «إن الصوت الإلهي كان يسمع من خلال صوت الصديق يعقوب»[٤].

وقد أطلق على هذا الصديق لقب هاحوزيه (الرائي) لما قيل عنه أنه كانت له القدرة على التنبؤ ورؤية المستقبل[٥]. وذكر عنه كذلك بأنه كان يتعفف من الذنوب كثيراً، ومن أجل ذلك فقد وضع عصابة على عينيه لفترة سبع سنوات حتى لا يرى ما يحرم عليه أن يرى. وكاد بصره أن يذهب فاضطر إلى نزع العصابة[٦]. وقد تميز هذا الصديق بعينيه الغريبتين حيث كانت إحداهما كبيرة جداً والأخرى صغيرة جداً، وقد قيل عنه بأنه كان ينفذ بعينيه هاتين إلى أعماق الإنسان فيعرف حقيقته ويؤثر فيه[٧].

وقد حاربه اليهود المتناغديم وضايقوه كثيراً، ومع ذلك فقد أصبحت له شعبية واسعة بين الحسيديم بصورة عامة. بل حتى بين غيرهم كذلك، إذ نسبت إليه الكثير من الكرامات، فكان الناس يأتون إليه من أماكن بعيدة لحل مشاكلهم. وكان هذا الصديق يؤكد على السعادة كثيراً ويطلب من أتباعه أن

---

(١) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 73.
(٢) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 74.
(٣) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 66.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 100.
(٥) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 73.
(٦) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, pp. 74 - 75.
(٧) E. Wiesel, Four Hasidic Masters p. 71 and E. Wiesel, Souls on Fire, p. 136.

يكونوا كذلك. وكان يقول: «أنا أفضِّل اليهودي البسيط الذي يصلي بسعادة على العالِم الذي يدرس بحزن». وقد نقل عنه بأنه كان يصاحب رجلاً فاسقاً وأتباعه يعجبون من ذلك، ولما سألوه قال لهم: «إنني أحبه لأنه فَرِحٌ دائماً، فأنتم إذا اقترفتم ذنباً فإنكم تتوبون مباشرة وتأسفون وتندمون على اللذة التي شعرتم بها وهو ليس كذلك إذ أن فرحه مستمر»[1] ومع أن هذا الصديق كان ذا ابتسامة وفرح في الظاهر إلا أنه كان يحمل في داخله هماً كبيراً وحزناً عميقاً، وتنتابه كآبة شديدة، وكان يعبر عن ذلك بقوله: «يأتي الناس إلي وهم حزنون، ويتركونني وهم سعداء واثقون، أما أنا فإني أبقى حزيناً لأن حزني داكن اللون، بل إنه نار سوداء ليس فيها بصيص من ضياء»[2].

ولكي يخفف من حزنه هذا فقد استخدم مهرِّجاً يضحكه ويسليه ويزيل الهمَّ عنه. وكان هذا المهرِّج حاخاماً يحكي له الحكايات والنوادر التي تفرحه وتضحكه[3]. وكان لا يطيق الحمقى من الناس وقال عن ذلك: «أنا لا أحب الأحمق، وإذا رأيت أحمق يؤخذ إلى الجنة فإني سوف أهرب من شارع إلى شارع وأصرخ بصوت عال: إن الأحمق يبقى أحمق»[4].

وهو يرى ـ على خلاف ما يراه الصديقيم الآخرون ـ بأن الصديق يمكن أن يقترف ذنباً، ومن أقواله في ذلك: «إن الصديقيم يذنبون أيضاً، سوى أنهم لا يعرفون أنهم مذنبون. وإنهم يؤخذون في العالم الآخر إلى جهنم، ولكنهم يعتقدون حينها بأنهم في زيارة أو أنهم في مهمة للناس الذين هم هناك. وعندما يصلون إلى جهنم تُغلق الأبواب عليهم ويبقون داخل جهنم»[5]. ومن أقواله عن نفسه قوله: «ليس هناك شخص أحقر مني، وإن أحقر إنسان هو أفضل مني، والويل للناس الذين يعتبرونني زعيمهم»[6]. ومن أقواله: «إن الصديق يشبه الطفل، فهو يضحك ويبكي في آن واحد». وقد أوضح ذلك بقوله: «تصور ملكاً منفياً يذهب إلى زيارة صديق. فالصديق حزين لأن الملك

---

(١) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 89.
(٢) Ibid, p. 137.
(٣) Ibid, p. 89.
(٤) Ibid, p. 86.
(٥) Ibid, p. 82.
(٦) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 100.

منفي ولكنه في نفس الوقت سعيد لرؤيته إياه»[١] ومما نقل عنه بأنه أراد أن يرد شيئاً من فضل ربه عليه، حيث اعتقد بأن ربه له فضل عليه كبير، ففكر أن يضحّي بنفسه ويرميها من على جبل ولكن صاحباً له معه منعه من ذلك»[٢].

وللصديق يعقوب إسحق اتجاه خاص ضمن الحركة الحسيدية، وهذا الاتجاه يؤكد على توفير الأسباب المادية للحسيد، وهو يرى بأن توفير هذه يكون له أهمية في حياة الصديق والحسيد معاً، وأن الرخاء والسعة في العيش إنما يكونان مقدمة للرقي والعلو في الحياة الروحية. ولذلك كان يرى أنه من أجل مساعدة الحسيد على التوبة والسلوك الحسيدي لا بدَّ للصديق أن يساعد الحسيد في عيشه وقضاء حاجياته المادية، حتى لا ينشغل باله بهذه عن عبادة الله[٣].

ومن رأيه كذلك بأنه عندما يتمتع الجسم وينعم فإن النفس أيضاً تصبح غنية وتتسامى[٤]. ويؤمن كذلك بحرية الإرادة كثيراً، فهو قد اعتقد بأن الإنسان يمكنه أن يغير حظّه. وكان يقول للشخص الذي يشتكي له بأن الأمر يرجع له في تغيير حاله، وبإمكانه أن يهزم سوء الحظ ويجلب السعادة، بل ويتمكن أن يخلقها لنفسه[٥].

وذكرت عنه قصص حول رعايته لأتباعه وعنايته بهم وسماعه لهم، فقد كان ـ كما قيل ـ يجتمع بهم واحداً واحداً، يستمع إليهم، ويحدثهم، حتى قالوا بأنه عندما كان يأتيه أحدهم كان يأخذ روحه وينظفها بعناية ويزيل الصدأ عنها ويرجعها صافية نقية. ويصبح الحسيد وكأنه ولد من جديد[٦].

ولأنه كان يعتقد بأنه يرى ما لا يراه غيره، فقد كان يصدر أحكاماً لا تتفق أحياناً وأحكام الشريعة اليهودية. ومن أمثلة ذلك أن امرأة يهودية اتهمت بالزنا، ولما جاءه الذين اتهموا المرأة سألهم عما إذا كانوا قد رأوها تزني

---

(١) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 91.
(٢) Ibid, p. 79.
(٣) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 87.
(٤) Encyclopaedia Judaica, **Jacob Isaac Ha-Hozeh.**
(٥) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, pp. 80 ff.
(٦) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 75.

فأجابوا بالنفي، ولكنهم قالوا له بأنهم رأوها تدخل الغرفة مع رجل أجنبي عنها لوحدها فقال لهم: هل هذا فقط ما رأيتموه فأجابوه بالإيجاب فأصدر حكمه ببراءتها، وقال لهم أنا أستشهد ببصيرتي ضد شكوككم[1].

وكان هذا الصديق واحداً من ثلاثة صديقيم اتفقوا على التعجيل بظهور المخلِّص أيام احتلال نابليون لروسيا بالطرق الباطنية، ولكن محاولتهم باءت بالفشل[2]. وكان موت هذا الصديق سرّاً غامضاً إذ إنه في ليلة من ليالي عام ١٨١٥ م ذهب لينام في غرفته بعد الاحتفال مع أتباعه بعيد «سمحت توراه»، ولا يعرف ماذا عمل في غرفته بعد دخوله إليها، ولكن زوجته قالت بأنها سمعت أصواتاً غريبة تشبه صوت طفل يبكي يأتي من غرفته، وقالت كذلك بأنها رأت يداً ضخماً قد امتدت وأخذت الصديق من الشباك[3]. وكان الحسيديم أيضاً سمعوا صياحاً، وعند البحث عنه وجدوه مُلْقىً في الشارع وهو مصاب بجرح بالغ يئن منه. وقال للطبيب الذي عالجه بأن قوى الشر قد لاحقته. وعندما كان على فراش الموت طلب من زوجته أن لا تتزوج بعده، ولكنها رفضت ولم تقبل بذلك ولم يصرّ هو على رأيه[4].

## إسرائيل فريدمان روزن Israel Ruzhin (ت ١٨٥٠ م)

ولد الصديق إسرائيل فريدمان روزن عام ١٧٩٧ لأب حاخام معروف حفيد للمغيد قرب مدينته كييف، وقد توفي والده عندما كان في الخامسة من عمره، وقد قام على تربيته أخوه الأكبر، وأدخل المدرسة التقليدية اليهودية، ولكن معلمه قال عنه بأنه طالب غير جيِّد، بل عرف عنه بأنه لم يكن يحب الدراسة. وقد تزوج عندما كان في الثالثة عشرة من عمره، وعندما توفي أخوه خلفه على زعامة جماعته وكان عمره آنذاك، ست عشرة سنة. وقد انتقل إلى مدينة روزن Ruzhin حيث أنشأ مركزاً كبيراً لجماعته.

وفي عام ١٨٣٨ م اتهم من قبل الحكومة الروسية بإعطاء أوامره بقتل

---

(١) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 85.

(٢) Ibid, p. 69.

(٣) Ibid, p. 63.

(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 100.

اثنين من اليهود اللذين اتهما من قبل الطائفة اليهودية بالتجسس لصالح الحكومة، وكان أحدهما قد وضع في مرجلِ الحمام الشرعي وأغرق الثاني في النهر، ولم يكتشف أمرهما إلا بعد أن وَشَى بالطائفة اليهودية أحد اليهود، حيث أخبر الحكومة بما قد قامت به. وعلى أثر ذلك سجن زعماء الطائفة اليهودية وسجن كذلك الصديق إسرائيل لفترة إثنين وعشرين شهراً، وقد وضع طيلة هذه الفترة في سجن انفرادي قرب كييف، ولما أطلق سراحه وضع تحت الإقامة الجبرية، إذ أن الحكومة راودها الشك في أنه يريد أن ينصب نفسه حاكماً على اليهود. ولما علم أتباعه بأن الحكومة تريد نفيه إلى مكان بعيد زوَّروا له أوراق سفر وأخرجوه من روسيا إلى رومانيا، ومنها إلى النمسا، وأخذ يتنقل من مدينة إلى أخرى إلى أن حصل على موافقة من الدولة للاستقرار في مدينة Sadagora، فاشترى له أتباعه مقاطعة، واتخذ له مقراً فيها وأخذوا يأتون لزيارته[١].

وكانت حكومة روسيا قد طلبت رسمياً إرجاعه، ولكن عائلة روتشيلد اليهودية المعروفة وعوائل يهودية أخرى بذلت جهداً من أجل أن يبقى في النمسا، وقد تحقق ذلك[٢].

وكان هذا الصديق يعيش عيشة الأمراء والملوك في حياته الخاصة والعامة، فقد كان يعيش في قصر جلب له البنائين والصناع من فرنسا وإيطاليا، وكان هذاالقصر يضم تحفاً وبسطاً غالية الأثمان. وكان أبناؤه يلبسون أغلى الملابس وأفضلها، وقد جلب لهم المربيات والمعلمات الخاصة بهم. وكان لهذا الصديق موسيقيون مختصون به، وعنده زرائب خيل وعربات لرحلاته وأسفاره، وكان عندما يذهب إلى مكان فإنه يصطحب معه حاشية من طباخين وموسيقيين، وكان يطعم ضيوفه بأوان من ذهب ويلبس قبعة مطرزة بالذهب[٣].

وكان هذا الصديق يقول عن حياة البذخ هذه: «ماذا أفعل إذ أن هذا ليس من خياري، وإنني مجبر من فوق أن أسلك هذا السلوك، سلوك الأبهة

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Ruzhin, Israel.**
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 123.
(٣) Encyclopaedia Judaica, **Ruzhin, Israel.**

والهيبة، وإنه من غير الممكن أن أغيِّر هذا السلوك أو أبدله». وكان يقول كذلك: «إن الذي يقف أمام الملك لا بدَّ له أن يلبس أحسن الألبسة فكيف إذا وقف أمام ملك الملوك»(١).

وقد سأله صديق فقير عن سبب عدم إنفاقه على الفرائض والقضايا الدينية الأخرى، فأجابه بالجواب التالي: «هناك صديقيم أتباعهم حسيديم مقدَّسون، ولذلك فإنهم ينفقون أموالهم على مسائل الدين وفرائضه. أما أنا فأكثر الحسيديم من أتباعي هم أناس بسطاء جداً (وليسوا مقدَّسين) والأموال التي يعطونها لي لا تصلح إلا للخيل والتبن والعربات وغيرها. وهناك حسيديم طيبون - ولي منهم كثيرون - والذين هم في درجة أعلى فإني أستعمل أموالهم في الطعام وحاجياتي العائلية الأخرى. أما الحسيديم الذين يجب أن أستعمل أموالهم في الفرائض الدينية فهم ليسوا أغنياء. وأما أنت فإن أتباعك الحسيديم مقدَّسون جداً، ولذلك فإنك لا تستعمل ما يعطونك في الترفيه والبذخ»(٢).

وكان يحذر اليهود أن يذكروه بسوء وينتقدوه على سلوكه وثرائه، وقال: «إن الذي يذكرني بسوء يكون ذنبه كذنب من يذكر الله بسوء، ولسوف يسوّد وجهه في الدنيا والآخرة»(٣).

وقد أُعطيت عدة تفسيرات لسلوكه هذا، حيث اعتبر مخالفاً لما يجب أن يكون عليه سلوك الصديق كمرشد روحي لجماعته. وأحد هذه التفسيرات ما ذكره إيلي ويزل حيث قال: «إن إظهاره (الصديق اسرائيل روزن) الغنىٰ كان من أجل أن يُري أتباعه بأن الحصول على الثراء ليس شيئاً صعباً، وأن العيش في الشتات لا يعني أن لا يكون الإنسان ثرياً»، وكان أيضاً يريد أن يؤكد على مقولة أحد الحاخامين: «نحن كلنا أمراء، وإن نسيان ذلك يعتبر أسوأ من الذنوب»(٤).

ومن هذه التفسيرات أن هذا الصديق كان يريد خداع الشيطان بسلوكه هذا، فبما أن الشيطان يحاول دائماً أن يغري الصديقيم ويغويهم، أراد الصديق

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 122.
(٢) Z.M. Schachter - Shalomi, Spiritual Intimicy, p. 119.
(٣) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 149.
(٤) Ibid, p. 162.

إسرائيل أن لا يظهر نفسه بأنه صديق وسلك سلوكاً آخر حتى لا يأتيه الشيطان ويحاول إغواءه[1].

وكان هذا الصديق لا يشجِّع على الصوم. وقد قال في ذلك: «عندما يؤذَى الجسم فإن الروح أيضاً تؤذى»[2]. وعندما كانت هناك ظروف سيئة تمرّ على يهود أوروبا وطلب الصديق يشوع هشل (ت ١٨٢٥ م) زعيم إحدى المجموعات الحسيدية من اليهود أن يصوموا أياماً وأن يكون الصيام عاماً يشمل حتى الضعفاء، أمر الصديق اسرائيل مجموعة من الموسيقيين الذين كان يستخدمهم بأن يضربو بآلاتهم الموسيقية أكثر من أي وقت مضى[3].

وكان هذا الصديق لا يقرأ كتب الفقيه والفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون، ويحذِّر أتباعه من قراءتها، وقال في ذلك: «نظرياً إنني يجب أن أحبه (موسى بن ميمون)، لأنه يدحض نظريات أرسطو التي هي خطرة على العقيدة، ولكن تصوروا يهودياً مثلي ومثلكم يقرأ نظريات أرسطو في كتابات ابن ميمون، ولكنه ينام قبل أن يقرأ فساد هذه النظريات[4].

وكان هذا الصديق يتحدث عن المستقبل وما سيكون عليه الحال فيه. وقال مرة: «إنه سيأتي اليوم الذي سيكون فيه عامة الناس هم المسيطرون، والجهل هو الحاكم، وسيشعر أصحاب الفضائل بالعزلة، وسيكون أكثر اليهود تديناً غير متمكن من قراءة عبارة واحدة من المزامير. أخبركم بهذا حتى تعرفوا؛ لأن هذا سيحدث، وأن العالم سيكون هكذا». وقال أيضاً: «سيأتي اليوم الذي ستكره فيه كل الشعوب اليهود، وسيكون كرههم لهم شديداً وعنيفاً لا يشابهه كره، حتى يضطر اليهود إلى الذهاب إلى فلسطين... والويل لنا عندئذٍ، والويل لهم كذلك، حيث سيكون الوقت بداية الخلاص».

وقال أيضاً سيأتي اليوم الذي يتوقف فيه الإنسان عن كره نفسه وكره الآخرين، وسيأتي اليوم الذي تفقد فيه الأشياء منطقيتها، حتى لا يكون هناك

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Ruzhin, Israel.**
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 122.
(٣) L. Jacobs, Hasidic Though, p. 194.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 120.

علاقة بين الإنسان ووجهه، ولا بين الرغبة والشيء المرغوب، ولا بين السؤال والجواب»[١].

وكان هذا الصديق مثل بعض الصديقيم الآخرين يعاتب ربه حول وضع اليهود بلهجة تتسم بالشدة والقسوة والتجرؤ. فمما نقل عنه قوله مخاطباً ربه: «إنك يجب أن تنهي الشتات، لأن الشتات نفسه هو ذنب، وهو من أخطر الذنوب» وقال كذلك: «لتكن أبانا وسنكون عبيدك، وهذا سيكون فقط عندما تكون أنت أبانا». وقال كذلك: «إنه بسبب ذنوبنا فقد شتَّتنا، وأنا أقول إن النفي قد سبق ذنوبنا، ولا بدَّ لك من أن ترجعنا لكي ترى بأنه ليس هناك يهودي يذنب». وقال مرة: «أنا لست خادماً جئت أسألك فضلاً، ولكني أنا مستشار جئت أتحدث معك في مسائل الحكم». وقال أيضاً: «يا رب العالمين، كم من السنين يعرف بعضنا بعضاً؟ لعدة عقود؟ أرجو أن تسمح لي بأن أقول: هل هذه هي الطريقة التي تحكم بها العالم؟ إن الوقت قد حان من أجل أن تكون رحيماً على شعبك. وإذا رفضت أن تسمع لي إذن قل لي ماذا أعمل أنا هنا على هذه الأرض؟؟»[٢].

وقد أصبح هذا الصديق في أواخر أيامه تعيساً كئيباً، وانعزل عن الناس، واقتصر لقاؤه بأتباعه على يوم السبت، وكان يصلي لوحده[٣]. ولم يترك هذا الصديق مؤلفات وقال: «إن الناس يتركون مؤلفات، أما أنا فإني أترك أبناء»[٤]. وقد خلف كثيراً من الأبناء والبنات، وقد أصبح ستة منهم مرشدين روحيين تزعَّم كل واحد مجموعة خاصة به. وكان هؤلاء أيضاً يسلكون سلوك أبيهم في حياتهم، حيث عاشوا عيشة بذخ ورفاه ودَعَة.

وقد أثار سلوكهم هذا حفيظة بعض الصديقيم فانتقدوهم وحرضوا الحسيديم عليهم، وكان قد تزعَّم الحملة ضدهم الحاخام «حاييم» زعيم مجموعة زانز، حيث أصدر منشوراً عنهم جاء فيه: «إن هؤلاء أناس عصاة، وكتّابهم مرتدون، ولا يجوز استعمال التفلين والمزوزة التي تصدر منهم،

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 159.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 158.
(٣) Ibid, p. 161.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 123.

(التي يكتبها كتّابهم)، ويحرم أكل ذبائحهم، وإن الله الذي حفظنا من شبتاي صبي سيحفظنا من هؤلاء. إن هؤلاء كفرة ويسلكون سلوك المتجبرين وسلوك الأغيار. ونساؤهم كافرات، ولا بدَّ من معاقبتهم دون رحمة».

وقد أصدر أتباع عائلة روزن منشوراً ضد منشور الحاخام حاييم وأخذوه إلى فلسطين حيث قرأوه عند حائط المبكى، وفي مدينة صفد وفي مدينة طبرية كذلك. فردَّ عليهم أتباع الحاخام حاييم بمنشور آخر أعلنوا فيه طردهم من اليهودية. وقد استمر النزاع بين الجماعتين لفترة سبع سنوات أطلق عليها الحسيديم السنوات العجاف[١]. وكان أحد أبناء إسرائيل روزن قد ترك الجماعة الحسيدية وانضم إلى حركة الهسكلاه (جماعة التنوير اليهودية)[٢].

## مناحم مندل كوتسك Menahem Mendel of Kotsk (ت ١٨٥٩ م)

ولد هذا الصديق عام ١٧٨٧ م في مدينة بيلغوراج Bilgoraj قرب لوبلن في بولندا لعائلة فقيرة غير حسيدية، حيث كان أبوه زجّاجاً فقيراً يعمل بالزجاج ويطوف القرى لبيعه، وقد قيل عن مناحم مندل بأنه كان طفلاً نشيطاً جداً وحساساً، ولم يكن اجتماعياً بل كان يعيش عالمه الخاص به[٣]. وقد أصبح حسيدياً بعد أن سمع رجلاً يقصُّ قصصاً حسيدية في إحدى القرى. وقد تزوج وهو صغير ورحل للدراسة في لوبلن وهو في السادسة عشرة من عمره. وعندما أنّبه أبوه بشدة على علاقته بأستاذ حسيدي ردّ عليه بقوله: لقد جاء في التوراة في سفر الخروج ٢/١٥ هذا إلهي به أعجب وإله أبي به أشيد» وهذه العبارة تشير إلى أن للأب الروحي أولوية على الأب بالنسب.

وكان قد درس على أساتذة مشهورين، وكان منهم «الرائي» الذي تحدثنا عنه سابقاً، وقد اختلف معه حيث أراد أستاذه منه أن يغير من سلوكه الذي وصفه بالكآبة، ولكن مناحم مندل لم يستجب لذلك، فانزعج منه وتركه، وكان يعتبر أهم أساتذته ذلك الذي علّمه الألفباء[٤].

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 137 - 138.
(٢) Encyclopaedia Judaica, **Halberstam.**
(٣) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 83.
(٤) Ibid, p. 83.

وكان منذ شبابه يسلك سلوكاً لا يتفق والسلوك العام للناس، وكان زملاؤه يصفونه بالفضاضة والكآبة، وقد أطلق عليه بسبب ذلك «مناحم الأسود» ومع ذلك فقد وصف من قبل معاصريه بالذكاء والفطنة والعلم، وقد وصفه أحد أساتذته بقوله: «إن مناحم مندل لا يقوم بحركة دون تروٍّ وقصد، وإن كلماته عميقة، وطريقته ذات أسرار»[١]. وعندما أصبح صديقاً سكن في مدينة تومشوف Tomshov أولاً، ثم تركها بعد فترة، وعندما كان يبحث عن مكان ليستقر فيه جاء إلى مدينة Kotsk فاستقبله أهلها بالحجارة ـ كما تذكر القصص عنه ـ، فقال لأتباعه: إن هذا لفأل حسن فإن الناس هنا على الأقل يهتمون بنا»[٢].

وكان هذا الصديق يعتقد في نفسه بأنه أفضل من مؤسس الحركة الحسيدية بعل شم طوب، إذ قال: «إن بعل شم طوب لم يقل بأنه ليس هناك من لا يكون أعظم منه»[٣]. وقال عن نفسه: «إن روحي قد خلقت قبل تهديم المعبد، وأنا لست من بشر هذا العالم ولا أنتمي إليهم. والسبب الذي جاء بي إلى هذا العالم إنما هو من أجل أن أفرق بين المقدَّس وغير المقدس».

وكان يحتقر هذا العالم ولا يعتبره شيئاً وقد قال في ذلك: «إنه مكتوب (في التوراة) بأن الله نظر إلى خلقه عندما انتهى منه، فوجده جيداً، ولكني لست مثله إذ أنني أدقق وأطالب أكثر. إن الكون كما هو عليه إنما هو شيء تافه بالنسبة إليّ، ولا يستحق مني سوى أن أتمخط عليه»[٤]. وكان يقول: إنه فقط باحتقار هذا العالم وما يتعلق به فإن الإنسان يتمكن أن يعبد الله بشكل صحيح[٥].

ومن أقواله: «على الإنسان أن يحاول الوصول إلى هدفه مع غض النظر عن العوائق والصعوبات التي تعترضه، إذ أن المحاولات تقوده من اكتشاف إلى اكتشاف». وكان ينظر إلى فرعون نظرة إعجاب، لأنه في رأيه قد تحدَّى

---

(١) Ibid, p. 83.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 244.
(٣) Ibid, p. 236.
(٤) Ibid, pp. 223 ff.
(٥) A. Rubinstein (ed.) Hasidism, p. 81.

الله وقال عنه: «ما أحسنه، لأنه لم يتذلل بمجرد أن جاءته الضربة الأولى بل إنه استمر»[١].

وهو يرى بأن بعض التجارب تنتقل عن طريق اللغة، وبعضها الأكثر عمقاً تنتقل بواسطة الصمت، وأن البعض الآخر لا يمكن التعبير عنها أو نقلها حتى بالصمت[٢]. وقد ذكر عنه بأنه قد شجع طلابه على ترك زوجاتهم والدراسة عنده لفترة طويلة، ويقال بأنه هو نفسه كان قد امتنع عن الاتصال الجنسي بزوجته لفترة خمس وعشرين سنة. وكان يعتقد بأن هذه الأمور المادية تفسد عليه عبادة الله. وكان الكثير من أتباعه يفدون عليه لزيارته، ولكنه كان يعتبر ذلك في غير صالحه، بل ويعتبره إفساداً له[٣]. وكان بوده لو يتركونه لوحده ولا يزعجونه بالمجيء إليه، ولكنهم لم يكونوا يفعلون ذلك على الرغم من سلوكه المتشدِّد معهم. فقد جاء أحدهم إليه مرة وقال له: أنا رجل أرمل وفقير وعندي أولاد سبعة جياع، فهزَّ الصديق مناحم رأسه وقال له: «هل تريد مني أن أواسيك؟ لا أفعل هذا إنه شيء كثير عليّ، اسأل ربك أن يواسيك»[٤].

وعندما جاءه آخر وأخبره بصعوبة عيشه وطلب منه أن يدعو له قال له مناحم مندل: عليك بالصلاة، فرد عليه الحسيد بأنه لا يعرف كيف يصلِّي لرب عظيم ذي جلال ورهبة، فرد عليه الصديق بقوله: «في هذه الحالة عندك مشكلة أكثر تعقيداً من قضية صعوبة العيش». وفي مرة أخرى عندما سئل أن يصلي من أجل حسيد خسر مالاً قال: «إذا كان في الواقع حسيداً تقياً يخاف الله فإنه لا يحتاج إلى شيء». وعندما جاءته امرأة عاقر ليصلي من أجلها قال لها: هل أنا في مكان الله؟!

وعندما تركه بعض أتباعه ورجعوا إليه قال لهم: «لماذا رجعتم إلي؟ هل تريدون أن تروني؟ هل أنا منظف مداخن حتى تحدقوا بي هكذا»[٥]. بل إنه كان يشتمهم أحياناً، وقد قال لهم مرة: «أيها الثيران، أيها الخيل، ماذا تريدون مني» وقد اتهمهم بالغش والتزوير.

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 112.
(٢) E. Wiesel Souls on Fire, p. 240.
(٣) A. Rubinstein, (ed.) Hasidism, p. 83.
(٤) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 246.
(٥) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 250.

وكان يشعر بالغربة والوحدة حتى لو كان محاطاً بآخرين وقال: «أنا وحيد حتى لو كنت محاطاً بأصحاب وأصدقاء» وكان لا يؤمن بالمساومة ولا بالحلول الوسط. وقال في ذلك: «الخيل وحدها هي التي تمشي في منتصف الطريق»[1].

وكان ينظر إلى الفرائض من حيث معانيها وآثارها وليس من حيث شكلها ومظهرها، فالصلاة يجب أن تكون من أعماق القلب، وبدون قصد ونيّة فإن الصلاة لا معنى لها. وقد كان الحسيديم من أتباعه في كوتسك يؤخرون صلاة الصبح إلى العصر وصلاة العصر إلى منتصف الليل، وذلك بسبب التحضير لها.

ومن أقواله: «إن اليهودي الذي يقرأ التوراة دون التأثر بها، والذي يذنب ثم يعذر نفسه، والذي يصلي لأنه قد صلّى بالأمس هو شخص أسوأ من الشرير»[2].

وكان يقول: «إن النهي عن عمل الأوثان يشمل النهي عن جعل الفريضة وثناً». وقال أيضاً: إن وصية «لا تسرق» لا تعني السرقة من الآخرين، لأن هذا شيء واضح بيّن، ولكنها تعني لا تسرق من نفسك، أي يجب أن تكون صادقاً مع نفسك. وإن من الواجب على كل إنسان أن يبحث في دخيلة نفسه عن طريقته الخاصة في عبادة الله، وإنه من الخطأ ومن غير الصحيح للحسيد أن يتبع طريقة مرشده في العبادة، لأنه سوف يفقد طريقته الخاصة به»[3]. ومن أقواله التي يستشهد بها الحسيديم وغيرهم من اليهود قوله: «إذا كنت أنا لأنك أنت، وأنك أنت لأني أنا، إذن فأنا لست أنا وأنت لست أنت. ولكن إذا كنت أنا لأني أنا وأنك أنت لأنك أنت إذن فأنا أنا وأنت أنت، ويمكننا أن نتناقش»[4]. ويعتبر الحسيديم هذا القول ذا معنى فلسفي عميق دقيق.

ويُعْزى له القول عن المعجزات: «من يصدِّق المعجزات فهو أبله، ومن

---

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 112 f.
(٢) A. Rubinstein, (ed.) Hasidism, pp. 80 f.
(٣) A. Rubinstein, Hasidism, p. 84.
(٤) W. Berkowitz, Dialogues in Judaism, pp. 66 f.

لا يصدقها فهو ملحد». وكان قد أخبر عن أحد الصديقيم بأنه يقوم بأعمال إعجازية، فقال: «أرغب أن أعرف فيما إذا كان (الصديق) قادراً على أداء معجزة بصنعه حسيداً واحداً»[١].

وهو ينتقد المتناغديم وقد قال: «إن الحسيد يقدس الرب وأما المتناغد فإنه يقدس كتاب «شلحان عاروخ»[٢] وكان يعترض على زيارة الحسيديم لقبور الصديقيم ويقول: إنهم لم يعودوا هناك[٣]. وكان يقول: «إن طريق الحق هو طريق العذاب»[٤].

وقد نقل عن هذا الصديق تميزه بصَلاَته التي لم تتضمن أية حركة ـ على عكس ما كان يفعله بقية الصديقيم ـ وكان يُعرف أنه منشغل بالصلاة من احمرار وجهه وعينيه. وكان أثناء الصلاة ـ كما نقل عنه ـ لا يحس بما حوله إلا بعد فترة من انتهائه من صلاته[٥].

وقد كانت نهاية هذا الصديق نهاية مأساوية يذكرها الحسيديم بشكل خاص، ولها مكان مميز في تاريخهم، ففي عام ١٨٣٩ م بقي هذا الصديق عدة ليال وحده في غرفته إذ كان يأخذها جيئة وذهاباً وهو يتكلم بصوت عال. وفي ليلة سبت من هذه السنة وبينما كان المئات من أتباعه ينتظرونه ليصلي بهم ويتناول معهم وجبة طعام السبت تأخر عليهم في الحضور، ولم يظهر لهم إلا في منتصف الليل. وعندما خرج عليهم كان يرتجف ويهتز، وتقدم نحو أتباعه واقترب من المائدة ورفع كأس نبيذ بيده، وظل لفترة بدون حراك. ثم أطفأ الشموع ـ وهو عمل مخالف لأحكام السبت.

ويقال بأنه قال آنئذٍ: «ليس هناك يوم دين، وليس هناك ديَّان». ثم قال: «أريد عدلاً، ألم نعانِ بما فيه الكفاية؟»[٦]. ثم خاطب أتباعه وقال لهم:

---

(١) A. Rubinstein, (ed.) Hasidism, p. 84.
(٢) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 249.
(٣) L. Jacobs, Hasidic Thought, p. 200.
(٤) A. Rubinstein (ed.) Hasidism, p. 86..
(٥) L. Jacobs, Hasidic Prayer, pp. 64 - 65..
(٦) A. Rubinstein, (ed.) Hasidism, p. 86.

«لماذا هكذا تحدِّقون بي، هل أنتم خائفون؟ وممن؟ ومم؟ إنَّ خوفكم هذا مكروه عندي ويثير اشمئزازي. فما أنتم إلا كذَّابون ومنافقون وجبناء. اذهبوا عني واتركوني هل تسمعون؟ أريد أن أكون لوحدي». وفي رواية أخرى أنه قال: «أيها المنافقون، أيها الكذابون، اخرجوا من هنا واتركوني لوحدي[1] اخرجوا من هنا أيها المجانين فأنا لست بصديق ولا ابن صديق»[2]. ثم أغمي عليه، فحمل إلى غرفته وبقي في هذه الغرفة عشرين سنة وحيداً ينام ويصلي ويأكل فيها، حيث كان يعطى له الأكل من خلال شباك في الغرفة. وقد سمىٰ أتباعه هذا الحادث بالكسوف وأسموه كذلك بالمرض المجهول[3].

وبعد هذا الحادث لم يلتق أحداً إلا نادراً، ولم يكن يهتم بما يحدث حوله في العالم، وكان يتابع الصلاة مع أتباعه من خلال ثقبين في باب الغرفة أوجدا من أجل هذا الغرض، وقليلاً ما كان يأكل وينام، فاحمرت عيناه من فقدان النوم، وطالت لحيته كثيراً، وأصبح كلامه صعباً. وقد رفض أن يفحصه الأطباء أو يواسيه الأصدقاء، وقال لأحد أصدقائه: لا أريد أن أرى أحداً، أخبرهم أن يتركوني وحيداً، بل واستعمل العصا معهم إذا اضطررت لذلك. وظل لا يبدي اهتماماً بأتباعه، ومع ذلك فقد كانوا يأتون من أماكن بعيدة إلى مقره في مدينة كوتسك Kotsk.

وكانت غرفته لصيقة ببيت الدراسة لأتباعه، فكان هؤلاء يتحلَّقون حول باب الغرفة ويحدِّقون فيها لعل مرشدهم يطل عليهم فيتبركون برؤيته. وكانوا ينصتون لأي حركة أو نأمة تصدر من غرفته. وعندما كان يخرج في الحالات النادرة ويراه أتباعه يخافون ويرتعبون فيختبئون تحت المناضد أو يهربون منه. وكانوا يعتقدون بأنه إنما عزل نفسه في غرفته من أجل أن يقوم بحرب شرسة رهيبة ضد قوى الشر العظيمة التي تجمعت ضده[4].

وكانت آخر عبارة تفوَّه بها وهو على فراش الموت هي قوله: «وأخيراً سأراه (الله) وجهاً لوجه». وكان هذا الصديق أثناء عزلته يقوم بحرق ما يكتب

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 230.
(٢) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 117.
(٣) E. Wiesel, Souls on Fire, p. 230 and A.idism, p. 86.
(٤) H. Robinowicz, The World of Hasidism, p. 118.

في ليلة عيد الفصح من كل سنة حتى أتى عليها جميعها. ولما كان على فراش الموت سأل تلميذه الذي أصبح فيما بعد زعيم جماعة الـ «غر» الحسيديم وقال له: «هل بحثت في كل مكان؟» هل بحثت في الأماكن الخفية؟ وهل تأكدت من أن كل شيء قد احترق وأصبح رماداً؟[١].

وكان قد أعطى هذا الصديق سبباً لحرق كتبه فقال: «إن الذي يقرأ كتبي هو ذلك الذي يعتقد بأني أعلم منه. ومن هو هذا؟ إنه رجل القرية الفقير. وهذا الشخص لا يكون عنده وقت كاف للقراءة إلا يوم السبت عصراً، وفي هذه الفترة وعندما يفتح الكتاب ويبدأ بالقراءة يأخذه النعاس لأنه كان قد أكل كثيراً، فهل عليَّ أن أحاول أن أكتب كتاباً أو أنشره من أجل هذا الشخص؟»[٢].

ويرى أتباع هذا الصديق بأنه كان زعيماً روحياً عظيماً لا تساوي عظمته إلا عظمة بعل شم طوب. وقال في حقه تلميذه إسحق مئير ألتر مؤسس مجموعة «غر» الحسيديم: «ليس هناك من يتمكن أن يعرف طبيعة عبقريته ودرجة عظمته». وقال صديق آخر معاصر له: «إنه مَلَك لرب الجيوش، وقد تعلمت منه الفهم والحكمة»[٣]. ويرى باحث معاصر معروف بأن هذا الصديق مفكر أصيل اتسم بحساسية مفرطة، وقد بنى كل تعاليمه على ضرورة الإخلاص المطلق في الممارسة الدينية، ونقده القاسي لمعاصريه إنما كان بسبب فقدهم لذلك[٤].

وقد كتب البروفسور إبراهام يشوع هشل كتاباً عن حياته عنوانه A Passion for Truth، وقد قارنه بالفيلسوف الدنماركي الوجودي كيركجارد[٥] وقد صدر حديثاً كتاب آخر عن حياته.

وقد جمعت أقوال هذا الصديق في كتاب عنوانه «عامود هاإمت» (عمود الصدق)، ولم يؤسس مجموعة خاصه به إلا أن الحسيديم الـ «غر» متأثرون بأفكاره كثيراً، حيث كان مؤسسها تلميذه كما ذكرنا.

---

(١) E. Wiesel, Souls on Fire, 232.

(٢) Ibid, p. 232.

(٣) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 118 ff.

(٤) L. Jacobs, Hasidic Thought, p. 196.

(٥) Ibid, p. 196.

# الفَصل الثامِن

# الصّديقيم والمسيح المخلص

# الصّديقيم والمسيح المخلّص

فكرة المسيح المخلِّص من الأفكار المهمة والمعتقدات الرئيسية عند الحسيديم، مثلهم في ذلك مثل بقية اليهود الأرثوذكس، إلا أنهم أكثر انشداداً لها وحديثاً عنها وتعلقاً بها. وبسبب ذلك فقد اعتقد بعض الباحثين بأن الحركة الحسيدية إنما هي حركة مسيحانية، أي أن محور أفكارها هي فكرة المسيح المخلص. ولكن هذا ليس صحيحاً على الرغم من أن بعل شم طوب مؤسس الحركة كان يكرر ذكر المسيح المخلِّص، ويتطلع إليه، ويحث أتباعه على التهيؤ له والتعجيل بظهوره.

وكان قد حاول الذهاب إلى فلسطين من أجل ذلك، وكان أيضاً يدعو إلى الوحدة بين اليهود وإلى تآلفهم، حيث أن ذلك في رأيه يؤدي إلى التعجيل بظهوره. وقد ذكرنا أنه في إحدى رؤييه اللتين حدثتا له قد رأى المسيح المخلِّص وسأله عن وقت ظهوره، فأخبره بأن ذلك سيكون عند انتشار تعاليمه في كل أنحاء الأرض واعتناق الناس كلهم لها.

والحسيديم كذلك كبقية اليهود الأرثوذكس الآخرين يعتقدون بأن هذا المخلِّص سيكون رجلاً صالحاً تقياً، ولا بدَّ أن يكون من أحفاد النبي داود، وهم جميعاً يعتقدون بأن هذا سوف يحدث في عصرنا الحاضر. ولاهتمام الحركة الحسيدية بمسألة ظهور المخلِّص، فقد ذُكِرَتْ عن زعمائها بعض الأقوال، وحكي عنهم بعض ما قاموا به من أفعال، نذكر بعضها فيما يلي من صفحات.

فمما نقل عن الصديق ليفي إسحق برديشيف أنه كان يتوقع ظهور المسيح المخلِّص كل يوم، وكان يضع ملابس يوم السبت جاهزة معه استعداداً لاستقباله. ويذكر الحسيديم أن هذا الصديق كان قد وقف في اليوم التاسع من آب (وهو يوم صيام عند اليهود لأنهم يعتقدون بأن معبدهم قد تهدم فيه) إلى جانب شباك في بيته، وهو يتطلع إلى الخارج بقلق، وكان كلما سمع صوتاً يرهف سمعه ويتنصت ليعرف مصدر الصوت، وكانت الشمس آنئذٍ تميل إلى المغيب وكان المصلُّون ينتظرونه في الكنيس ليصلِّي بهم. ولما استبطأوه جاءه أحدهم وأخبره بأن الناس ينتظرونه، فتمتم الحاخام بينه وبين نفسه قائلاً: «لقد حان وقت قراءة «سفر الجامعة» مرة أخرى والمسيح المخلِّص لمَّا يظهر بعد»، أو قال شيئاً من هذا القبيل[1].

وقد عرض عليه كتاب خطبة حفيدته ففحصه بتأمل ثم مزقه وقال مخاطباً من حضر:

«أنتم بالتأكيد تؤمنون بقدوم المخلِّص، ونحن سوف لا نكون في الشتات في السنة القادمة، فكيف تجعلون (مدينة) برديشيف مكاناً للزواج؟ فطلب قلماً وكتب كتاب خطبة آخر، وأصبحت العبارة فيه: «وإن الزواج سيكون إن شاء الله في القدس، المدينة المقدسة، ولكن إذا لم يأت المسيح المخلِّص خلال السنة القادمة لا سمح الله فإن الزواج سيكون في (مدينة) برديشيف»[2]. وكان الصديق موسى بن زفي (ت ١٨٤١ م) مؤسس مجموعة الحسيديم الستمار يقول لأهله كل ليلة قبل النوم: «إذا قدم (المسيح) فصحُّوني دون تردد»، وكان يقول: «لو كنت أعلم بأن شعر رأسي سيكون أبيض ولا ترى عيناي المسيح المخلِّص لما بقيت حياً. يا ربِّ أنت الذي أبقيتني وحفظتني بهذا الأمل وهذا الاعتقاد. إنك ضحكتَ عليَّ فهل هذا شيء جيد؟ وهل هو شيء جيد أن تضحك على رجل كبير مثلي؟ أجبني؟»[3].

وكان الصديق موشيه تيتلباوم دائم التطلع إلى ظهور المخلِّص، ينتظره

---

(١) S.H. Dresner, The World of a Hasidic Master, Levi Yizhak of Berditchev, p. 135.

(٢) Ibid, p. 135.

(٣) Ibid, pp. 165 - 166.

كل يوم ويترقب ظهوره، وقد كان يخرج بين وقت وآخر يتطلّع إلى الأفق ليرى فيما إذا كان المخلِّص قد ظهر، وكان يضع عصاه دائماً إلى جنبه متهيئاً للخروج مع المخلِّص. وكان في كل ليلة عندما ينام يهيىء ملابس السبت ويذكِّر حاجبه أن يوقظه في اللحظة التي يسمع فيه بظهور المخلِّص.

وقال مرة في يوم الكبور ـ وقد كان في الثانية والثمانين من عمره ـ «يا ربَّ العالمين، لو كنت أعلم في شبابي بأني سأكبر والمسيح المخلِّص لمَّا يأتِ بعد لكنت غير قادر على أن أحيا كل هذه السنين، ولكنت متّ من الحسرة، ولكن الإيمان والأمل هما اللذان أبقياني على قيد الحياة إلى هذه اللحظة». وعندما أراد أتباعه أن يبنوا له بيتاً أفضل من البيت الذي كان يسكنه قال لهم: لماذا أبني بيتاً هنا في بلاد الأغراب، إذ من المؤكد أن المسيح المخلِّص سيأتي قريباً وسأذهب إلى أرض أجدادي»[١].

وكان تَوَقُّع هذا الصديق للمسيح المخلِّص وانتظاره له قد أخذ على مجامع فكره، فقد سمع مرة لغطاً خارج البيت فسأل الذين حوله: «هل ظهر المسيح المخلِّص»؟ وكان في إحدى المرات يتوقع قدوم شخص كان قد أرسل إليه وقد تأخر، وفجأة جاءه أحد أتباعه وقال له: هذا هو قد جاء ـ وكان المقصود بذلك الشخص الذي بعث إليه أن يأتي ـ ولكن هذا الصديق اعتقد بأن الذي جاء إنما هو المسيح المخلِّص وليس الشخص الذي طلبه أن يأتي، وأخذ يركض ويصيح، المسيح المخلِّص، المسيح المخلِّص[٢]. وقد قال مرة وهو يصيح: «يا رب العالمين نفِّذ رغبتي، واجعل المسيح المخلِّص يظهر، فأنا لست مهتماً بمصلحتي، ولكني لا أريد للحضرة الإلهية أن تعاني أكثر من هذا». وقال مرة كذلك: أنا لا أفهم لماذا لا يحاول الصديقيم في العالم الآخر التعجيل بظهور المخلِّص! إنهم يجب أن يطبقوا السموات على الأرض من أجل ذلك، ولكنهم ربما نسوا ما يحدث في عالمنا الأرضي عند دخولهم الجنة»[٣].

ولاهتمام صديق جماعة روزن Ruzhin بالمسيح المخلِّص وتطلُّعه له فقد

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 229.
(٢) J.R. Mintz, Legends of Hasidism, p. 189.
(٣) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 229.

هيأ غرفة خاصة في بيته وأسماها غرفة المسيح، وقد وضع فيها كل غالٍ ونفيس عنده، ولم يكن يسمح لأحد بالدخول إليها. وكان أيضاً يردِّد: «لماذا تأخر المسيح المخلِّص في ظهوره، هل يعتقد بأن الجيل القادم هو أفضل من هذا الجيل وأكثر استحقاقاً منه؟! إنني أخبره في هذا اليوم بأن هذا غير صحيح، وأن الجيل القادم هو أسوأ كثيراً»[١].

وقد ذكر عن بعض الصديقيم أنه عندما كان على فراش الموت وحوله أتباعه وتلامذته قال لهم: «إنه عندما يصل إلى الجنة سوف يعمل كل ما في وسعه من قدرة وتأثير للتعجيل بظهور المخلِّص، ولكنه عندما دخل الجنة وقابل المخلِّص انغمرت نفسه في عالم من السعادة والروحانية ونسي ما وعد به».

وهناك بعض الصديقيم ممن أقسم أيماناً مغلَّظة بأنهم سوف لا يدخلون الجنة إلا إذا ظهر المخلِّص، وتقول روايات الحسيديم بأنهم خدعوا وأُدخلوا الجنة!! فمن هؤلاء، الصديق ليفي إسحق برديشيف الذي أقسم قبل موته بأنه سوف لا تأخذه راحة ولا يقر له قرار حتى يظهر المخلِّص كما ذكرنا سابقاً. وعندما مات رفض أن يدخل الجنة ولكن الملائكة أجبروه بالقوة على دخولها مع معارضته الشديدة واحتجاجه على ذلك. ولكن صديق مجموعة Apt يروي بأن برديشيف عندما مات خرجت الملائكة لاستقباله، وجلبوا انتباهه لأناشيدهم وأغانيهم - حيث كانوا يعرفون حبه للأغاني - وظلوا يفعلون ذلك حتى انشغل الصديق برديشيف بذلك، وظل مشغولاً به إلى هذا اليوم ونسي ما وعد به[٢].

وممن خدع من هؤلاء الصديقيم صديق مجموعة Rimanov، فقد قيل بأن هذا الصديق قد رفض دخول الجنة عند موته، وأصرّ على ظهور المخلِّص، ولكن الملائكة تآمروا عليه بأن طلبوا منه أن يلقي خطبة بالصديقيم الآخرين، وعندما دخل الجنة أبقوه يتكلم إلى هذا اليوم. وقال صديق مجموعة Lvove الذي نقل القصة بأن هذه الخدعة سوف لا تنطلي عليه.

---

(١) E. Wiesel Souls on Fire, pp. 126 ff.

(٢) S.H. Dresner, The World of a Hasidic Master, Levi Yizhak of Berditchev, pp. 140 f.

وسوف يصر على عدم دخول الجنة إلى أن يظهر المخلِّص. ويقول حفيد صديق Lvove بأن جدّه عندما توفي ورفض دخول الجنة طلب الملائكة من النبي داود (الذي يعرف بين اليهود بأنه مُغَنٍّ حاذق) أن يضرب بعوده، وعندما سمع الصديق الموسيقى الجميلة سألهم عن مصدرها، فأخبروه أن يأتي معهم، وعندما ذهب معهم حيث مكان داود ظل يستمتع بسماع الموسيقى إلى الوقت الحاضر وانشغل عمّا وعد به(١).

وكان ثلاثة من الصديقيم قد اعتقدوا أيام حرب نابليون مع الروس بأن هذه الحرب هي «حبلي مشيح» أي علامات ظهور المسيح المخلص، وقد اتفقوا على التعجيل بظهور المخلِّص عن طريق وسائل القبلاه، حيث يجعلون نابليون ينتصر ليكون جوج وماجوج - الذي ذكر في التقاليد اليهودية بأن المخلِّص يقتلهم - وقد قال أحد هؤلاء الثلاثة يومها: «لتسل الدماء من Pristick إلى Rimanov (تعبيراً عن كثرتها) ما دام هذا يعني أن الخلاص سيتحقق. ويقال بأن أمهات الجنود الروس عندما سمعن بذلك توسلن إلى هؤلاء الصديقيم، وطلبن منهم بأن يتوقفوا عن محاولاتهم ولكنهن لم يفلحن. وقد بذل هؤلاء الثلاثة جهوداً وعقدوا اجتماعات في أماكن سرّية ليؤثروا على سير القتال ولكنهم لم يفلحوا في ذلك. ويقال بأن السبب في ذلك هو أن أحد الثلاثة قد مات أثناء هذه المحاولة فلم يتحقق هدفهم(٢).

وكانت إحدى الصديقات وهي حنّا راحيل (ت ١٨٩٢ م) التي يسميها الحسيديم «عذراء لوديمير» قد اتفقت في فلسطين مع واحد من علماء القبلاه على العمل من أجل التعجيل بظهور المخلِّص، واتفقا على ذلك في يوم معين عند كهف معين خارج القدس، وذهبت الصديقة إلى المكان الموعود وانتظرت طويلاً ولكن الرجل لم يأت. وتبين فيما بعد أن أحد الحاخامين قد حجزه ومنعه من الذهاب إلى المكان. ويذكر الحسيديم بأن هذا الرجل لم يكن غير إلياهو النبي - لأن ظهور المخلِّص لما يحن بعد(٣).

---

(١) J.R. Mintz, Legends of Hasidism, p. 190.
(٢) E. Wiesel, Four Hasidic Masters, p. 69.
(٣) H. Robinowicz, A Guide to Hassidism, p. 109.

وعندما توفي صديق جماعة اللوبافتش السابق عجب أتباعه من ذلك لأنهم كانوا يعتقدون بأن صلواته كانت حتماً ستؤدي إلى ظهور المخلِّص، وهم إلى الآن لم يفهموا كيف يموت ولمّا يظهر المخلِّص. وكان صديق مجموعة Stoline الحسيديم يضع ساعتين في يده ـ تحسباً لظهور المخلِّص، إحداهما بتوقيت المكان الذي هو فيه، والأخرى بتوقيت فلسطين (إذ أن المخلِّص يظهر في فلسطين)[١].

ومن الصديقيم الذين اهتموا بمسألة المسيح المخلِّص في الوقت الحاضر الصديق مناحم مندل شنيرسون زعيم الحسيديم اللوبافتش الذي سنتحدث عنه فيما بعد. فهذا المرشد الروحي كان يكرِّر الحديث عن المسيح المخلِّص، ولا يترك مناسبة إلا وتحدَّث فيها عن ظهوره وقرب الخلاص لليهود. فقد قال في خطاب له عام ١٩٨٤ م: «إن كل يهودي له القدرة وعليه الواجب أن يساعد في مجيء المسيح المخلِّص، ليس غداً أو في وقت ما في المستقبل، ولكن هنا وفي هذه اللحظة.. حتى وكأن الإنسان يفتح عينيه فيرى المخلِّص أمامه هنا ومعنا في هذا الكنيس لحماً ودماً وروحاً وجسماً».

وقد سأله أحد الصحافيين الإسرائيليين مرة بعد الانتخابات الإسرائيلية عام ١٩٨٨ م عن قضية الأراضي المحتلة، فردَّ عليه بقوله: «إنني واثق بأن المخلِّص سيظهر قريباً، وإلى أن يظهر وتنتهي تلك الدقائق القليلة قبل ظهوره علينا أن لا ننسحب حتى ولا من بوصة واحدة من الأراضي المحتلة»[٢].

وقال كذلك في خطاب عام ١٩٩١ م: «إن اليهود يريدون إنهاء حالة الشتات التي يعيشونها، وإن كل المؤشرات على ظهور المخلِّص قد بانت... وإن الوقت قد حان للخلاص النهائي والخلاص الأخير بواسطة المسيح المخلِّص».

وعندما سئل مرة عمن يكون خليفته على زعامة جماعة اللوبافتش قال: «إن المسيح المخلِّص سيأتي وستختفي كل هذه المشاكل والتساؤلات، وربما يظهر المخلِّص وأنا على قيد الحياة، فلماذا نؤخر مجيئه»[٣]. وكان قد رحَّب

---

(١) J.R. Mintz, Legends of the Hasidism, p. 95.
(٢) D. Landau, Piety and Power, p. XIX.
(٣) S. Sharot, Hasidism in Modern Society, in G.D. tundert, (ed.) Essential papers on Hasidism, pp. 524 - 525.

بحرب الخليج الثانية قبل وقوعها. ورأى فيها علائم خير تبشر بظهور المخلِّص. وقد نقل نصاً لمتنبىء يهودي من القرن الثالث عشر الميلادي ذكر فيه أن اليهود سيكونون في أمان في هذه الحرب، وأنها ستكون إيذاناً بقرب الخلاص النهائي لليهود. (جويش كرونكل ٣٠/١١/١٩٩١).

واعتَقَدَ الكثير من اللوبافتش أن زعيمهم الذي توفي حديثاً هو المسيح المخلِّص، وكانوا ينادون دائماً «نريد المسيح المخلِّص الآن» ومنهم من يضيف الكلمة العبرية «ممش»[١] وهي تعني موجوداً أو واقعاً. وهذه الكلمة تحتوي على الحروف الأولى من اسم زعيمهم مناحم مندل شنيرسون. واعتقدوا بأن زعيمهم قد تحققت فيه صفات المخلِّص، ورأوا كذلك بأنه ليس هناك بين اليهود من هو أكثر منه فضلاً وأعلى منزلة وأوسع علماً، وأن شروط المخلِّص قد تحققت فيه. وهم يعقدون مقارنة بينه وبين النبي موسى، ويقولون بأن النبي موسى كان الجيل السابع من سلالة إبراهيم، فكذلك الصديق مناحم مندل شنيرسون هو السابع في سلالة زعماء مجموعة اللوبافتش، والجيل السابع هو الذي يتسلَّم القوة الروحية من الأول، وأنَّ السابع هو الذي يحقق المهمة التي جاء بها الأول (يعني أن موسى قد خلَّص اليهود، فكذلك مناحم مندل شنيرسون سيخلص اليهود).

وقد قام اللوبافتش بحملة كبيرة في هذا المجال قبل أن يصاب زعيمهم بجلطة في الدماغ في عام ١٩٩٢ م، وقد أخذوا يوزعون المناشير ويبشرون اليهود ـ خاصة في اسرائيل ـ بقرب ظهوره والكشف عن نفسه، حتى إنه قد ذكر بأنهم قد بَنوا له دارة قرب مستوطنة اللوبافتش «حبد» وأصدروا كتيباً عنوانه «مقدَّس من البطن والولادة». وعندما أصيب بشلل جزئي عام ١٩٩٢ م لم يمنع هذا المرض أتباعه من الاستمرار في الإدعاء، بل إنهم اعتبروا المرض دليلاً على صدق مسيحانيته لأن المسيح المخلص كما يقولون لا بد له أن يعاني. وقد عارض هذه الحملة ـ التي خفَّت حدتها بعد مرضه ـ كثير من الحاخامين اليهود، وكان أشد المعارضين لها الحاخام شاخ، وقد ذكرنا سابقاً ما قاله هذا الحاخام في حق شنيرسون.

---

(١) S. Heilman, Defenders of the Faith, p. 311.

## الفصل التاسع

# الحسيديم وفلسطين

# الحسيديم وفلسطين

منذ بداية ظهور الحركة الحسيدية كان زعماؤها يتطلعون إلى الذهاب إلى فلسطين والسكن فيها، وقد ذهب بعضهم فعلاً وسكن فيها والبعض الآخر زارها، ومنهم من حاول الذهاب إليها ولكنه لم يتمكن أن يحقق ذلك. وقد ذُكر بأن بعل شم طوب قد حاول الذهاب ثلاث مرات لكن عقبات حالت دون تحقيق هدفه.

وللصديقيم أقوال في تشجيع الحسيديم على الذهاب إلى فلسطين والسكن فيها، فهم يقولون إن على كل يهودي أن ينوي العيش في فلسطين[١]. وقد جاء في كتاب الزهر ـ الذي يقدِّسه الحسيديم كثيراً ـ «إن من يسكن فلسطين يستنزل نَدَى السماء، وتحلّ عليه روح القدس، وإذا مات تغفر له ذنوبه»[٢]. وقال الصديق مناحم مندل فيتسبك: «إن اليهودي الذي يعيش في فلسطين يصبح مقدَّساً وطاهراً، بل ويتمكن أن يطهر الآخرين»[٣]. وقال الصديق نحمان براسلاف: «إن من يريد أن يكون يهودياً حقيقياً عليه أن يذهب إلى أرض فلسطين مهما كانت الصعوبات والعوائق، وإن أرض فلسطين تُعْطي اليهودي سُمُوّاً روحياً. وفي فلسطين يؤكد اليهودي عقيدته ويتعلم الحكمة»[٤].

وكان من أوائل الذين هاجروا إليها واستقروا فيها أخو زوجة بعل شم طوب الحاخام غرشون، الذي استقر فيها عام ١٧٤٧ م مع مجموعة من اليهود

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 327.

(٢) Vol. 5, p. 72.

(٣) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 38.

(٤) Ibid, p. 38.

وسكن مدينة الخليل لبضع سنوات، ثم استقر به المقام في القدس. وقد سجّل هذا الحاخام ـ في رسالة له إلى أخي زوجته ـ إعجابه بسلوك العرب نحو اليهود، ونظرتهم إليهم وتعاملهم معهم[١]. وفي عام ١٧٦٥ م هاجرت مجموعة من الحسيديم واستقرت في عكا وطبرية.

وكانت أول هجرة جماعية مهمة هي تلك التي قام بها اليهود الحسيديم في القرن الثامن عشر، فقد هاجرت جماعة منهم مكونة من ثلثمائة شخص عام ١٧٧٧ م على رأسهم أحد زعمائهم الدينيين ـ مناحم مندل فيتسبك، وعند وصولهم فلسطين استقر بعضهم في صفد، وسكن آخرون عكّا. وقد ساعد هؤلاء الحسيديم في السكنى اليهودي حاييم فرحي ـ الذي كان المستشار المالي لفترة ما يقرب من أربعين سنة للوالي أحمد الجزّار (ت ١٨٠٤ م) ـ وقد قيل بأن أحمد الجزّار نفسه كان قد شجَّع على إسكانهم ـ لأنه كان يريد أن يسكن المناطق التي ضربها الزلزال عام ١٧٥٩ م ـ لذلك أعفى هؤلاء اليهود من الضريبة، وسمح لهم ببناء بيوت وكُنُس. وقد عبَّر هؤلاء عن سعادتهم بوضعهم الجديد. فقد قال زعيمهم مناحم مندل: «وأخيراً جاء اليوم الذي انتظرناه طويلاً بتلهُّف. كم نحن سعداء في الأرض المقدسة التي أدخلت البهجة على قلوبنا ـ إنها الأرض التي قُدِّست بمجموعة من المقدسات»[٢].

وقد توالت الهجرات بعد ذلك بشكل متقطع، فقد هاجرت مجموعة أخرى في بداية القرن التاسع عشر واستقرت في مدينة الخليل، ثم هاجر بعض زعمائهم واستقر في القدس وصفد وطبرية. وتعتبر هذه المدن الأربعة مدناً مقدسة عند اليهود الحسيديم خاصة.

ولقد كان وضع الحسيديم الاقتصادي سيئاً لجهلهم بالحياة في فلسطين والتي تختلف كثيراً عن الحياة التي عاشوها في أوروبا، إضافة إلى جهلهم اللغة العربية لغة سكان البلد. وكان من محاولاتهم لتحسين وضعهم الاقتصادي إنشاؤهم بعض معامل المشروبات الكحولية الصغيرة بشكل غير قانوني. ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لأنهم لم يتمكنوا من أن يسوِّقوا

---

(١) Ibid, PP 31 - 32.

(٢) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, pp. 39 - 40.

إنتاجهم بين سكان فلسطين كما ذكر أحد اليهود المعاصرين[١]. إضافة إلى أن عدد اليهود يومها كان قليلاً جداً، ولا يمكن أن يستهلك إلا نسبة قليلة من هذا الإنتاج. وتردى الوضع كثيراً حتى قيل بأن الرجل منهم لم يتمكن من أن يُعيل أبناءه «وإن الإنسان ليذوب قلبه حتى لو كان من حديد عندما يرى الأطفال يستجدون»[٢].

فأخذوا يرسلون رسلاً (شلحيم) إلى مراكز الحسيديم في أوروبا وغيرها لجمع الأموال، وقالوا لهم: «إن بناء بيت الرب يعود لنا ولكم، وإنه لمن الواجب على كل يهود الشتات مساعدة المستوطنات في فلسطين. إنها لفريضة عظيمة المحافظة على اليهود الذين يعيشون في فلسطين من أجل إطعام جائعهم وإكساء عريانهم، حتى يمكن للذين يعيشون على الأرض المقدسة أن يُصلُّوا من أجل اليهود في الشتات»[٣].

وبدأ الحسيديم كذلك بإنشاء مؤسسات خيرية واجتماعية تُعْنى بالإنفاق على المهاجرين الحسيديم وتساعد فقراءهم. وكان من أولى هذه المؤسسات هي تلك التي أنشأها شنيور زلمان الزعيم الأول لجماعة الحسيديم اللوبافتش في القدس وأسماها «كلل حبد»، وما زالت هذه المؤسسة نشيطة إلى يومنا هذا. ولم يكن الحسيديم قد أنشأوا مستوطنات خاصة بهم حتى عام ١٩٢٤ م، ففي هذا العام أنشأ هؤلاء مستوطنتين على أرض اشتروها من الصندوق اليهودي القومي، ثم أُدمجت هاتان المستوطنتان في مستوطنة واحدة وأصبح اسمها «كفر حسيديم». وفي عام ١٩٤٩ م أنشأ الحسيديم اللوبافتش أول مستوطنة في فلسطين بعد تأسيس إسرائيل، ثم أنشأ اليهود الحسيديم ويهود أرثوذكس آخرون مدينة «بني برق» قرب تل أبيب، وهي مدينة كبيرة في الوقت الحاضر ومركز ديني مهم يضم العشرات من المدارس والمعاهد والمؤسسات الدينية.

وبعد إنشاء الدولة ازدادت هجرة اليهود الحسيديم إلى إسرائيل، واستقرت مجموعات حسيدية بكاملها في اسرائيل، بعضها مع مرشدها

---

(١) Ibid, p. 41.
(٢) H. Robinowicz, A Guide to Hasidism, p. 127.
(٣) H. Robinowicz, A Guide to Hasidism, p. 127.

وزعيمها الروحي والبعض الآخر بدونه. فأنشأ هؤلاء الكثير من المستوطنات والمؤسسات التربوية والاجتماعية والاقتصادية، حتى إن الإحصاءات أشارت إلى أن نصف المدارس الدينية في إسرائيل هي مدارس تابعة لليهود الحسيديم.

وفيما يلي من صفحات سنتحدث عن نشاط بعض هذه المجموعات الحسيدية في إسرائيل:

## مجموعة بلز Belz

تنتمي هذه المجموعة إلى مدينة «بلز» Belz التي تقع اليوم في أوكرانيا (وكانت سابقاً ضمن حدود بولندا)، وقد أسس هذه المجموعة الصديق شالوم بن أليعازر روكه (ت ١٨٥٥ م)، وكان هذا الصديق معروفاً بمعارضته لحركة الهسكلاه اليهودية، وكان يرى بأن هذه الحركة تمثل خطراً على اليهودية كدين، وكان يتهم كل من لا ينسجم سلوكه مع اليهودية الأرثوذكسية بالانحراف والكفر. وكان ابنه يهوشع (ت ١٨٩٤ م) هو الآخر معارضاً لهذه الحركة، وقد أسس منظمة أسماها «محزقي هادات» (المتمسكون بالعقيدة) عام ١٨٧٨ م، وكتب كتاباً بهذا الاسم يدافع به عن اليهودية وينتقد اليهود العلمانيين. وقد كان ابنه إساكر دوف (ت ١٩٢٧ م) مثله محارباً لليهود العلمانيين وعدواً لهم، بل إنه حارب «أغودات إسرائيل»[١] وحارب الصهيونية بشدة كذلك. وقد كان لهذا الزعيم أثر كبير في انتشار أتباع هذه المجموعة إلى جيكسلوفاكيا (سابقاً) وهنغاريا ورومانيا. وكان حفيد المؤسس هارون روكه قد هاجر إلى اسرائيل أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد اعتبر أتباعه يوم وصوله عيداً يحتفلون به كل سنة بسبب ما لاقاه من صعوبات للحصول على أوراق سفر[٢].

---

(١) هي منظمة يهودية دينية. أُسست في بداية هذا القرن في أوروبا وكانت عند انشائها منظمة غير صهيونية إلا أنها في العقود الأخيرة أخذت تتعاون مع الدولة اليهودية وتشارك في كثير من نشاطاتها.

(٢) H. Robinowicz, Hasidism, and the State of Israel, p. 133.

وقد لحقت به مجموعة من أتباعه وجعل إقامته ومقره في تل أبيب، ولم يجعلها في القدس وقال في سبب ذلك: «إن قدسية القدس عظيمة جداً، ولذلك لا أتمكن أن أسكنها». وقال كذلك بأنه يريد أن يسكن مدينة كل سكانها من اليهود. وقد أنشأ عدداً من المدارس الدينية في طول إسرائيل وعرضها. وكان قبل هجرته إلى إسرائيل يمنع أتباعه من الانضمام إلى الحركة الصهيونية أو إلى منظمة مزراحي[1]، ورفض كذلك المشاركة في مؤتمرات «أغودات إسرائيل»، ولكنه في إسرائيل غيّر رأيه هذا وأخذ يؤيد هذه المنظمة وفي انتخابات عام ١٩٤٩ م، كان يحث أتباعه على التصويت لهذه المنظمة وكان يقول: «إن أغودات إسرائيل تقوم اليوم بما كانت تقوم به منظمة «محزقي هادات» أيام جدي[2].

وفي أثناء حرب السويس صام هذا الحاخام واعتكف لثلاثة أيام يصلي لوحده في غرفة، وبعد أن أنهى اعتكافه خرج على أتباعه وقال: «أبنائي لقد ربحنا الحرب بمساعدة إلهنا الجبار»[3]. وقد توفي هذا الصديق عام ١٩٥٧ م، وأصبح قبره مزاراً لأتباعه بعد وفاته يأتونه ويزورونه في كل سنة مرة، وغالباً ما تكون هذه الزيارة في ذكرى وفاته، وفي وقت الزيارة هذه يتجمعون أولاً في القدس في يشيفاه تابعة لهم حيث يأتون من مناطق بعيدة فيصلّون في هذه اليشيفاه سوية، ويتعارف بعضهم على بعض، وبعد ذلك ينصبون خيمة قَبل قبره بمسافة قليلة، وهنا يطلب من كل واحد منهم أن يكتب طلبه على ورقة ويعطي معها فديون (فدية)، وعندما يَصِلون إلى القبر يضع كل واحد منهم طلبه عند القبر مع بعض الحصى، ثم يقولون دعواتهم ويؤدون صلواتهم. وفي هذه الأثناء تكون النساء في حالة ندب وبكاء بصوت عال من أجل أن يتشفّع لهن صديقهن. ثم بعد الزيارة تذهب النساء ومعهن أطفالهن إلى بيت الصديق لتناول الطعام هناك، ويذهب الرجال إلى اليشيفاه، ويذهب بعضهم إلى بيته كذلك، يشعلون شموع الذكرى ويظلون متوثبين معتقدين بأن روح الصديق

---

(١) منظمة دينية يهودية صهيونية أُسست في بداية هذا القرن. شعارها «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل طبقاً لتوراة إسرائيل».

(٢) Ibid, pp. 133 - 134.

(٣) Ibid, p. 134.

تكون معهم في الغرفة، ثم بعد ذلك يذهبون إلى قاعة كبيرة يحتفلون فيها ويأكلون ويتحدثون عن حياة الصديق وفضائله.

كانت هذه الزيارة السنوية لقبر هذا الصديق عملاً مهماً لأتباعه يؤدونه كل سنة ولا يتخلفون عنه، وقد خفَّ الحماس لها بعد أن أصبح ابن أخيه إيساكردوف روكه خليفة له عام ١٩٦٥ م(١)، وكان هذا الصديق قد ولد عام ١٩٤٨ م، وقد تزوج عام ١٩٦٦ م، من بنت صديق مجموعة فيشنز، وقد كان الزواج حدثاً مهماً بين الحسيديم بصورة عامة، وقد حضره أكثر من ثلاثين ألفاً من الحسيديم جاءوا من داخل إسرائيل ومن خارجها (٢). وقد جعل هذا الصديق مقره في القدس، وأنشأ مستوطنة قربها اسماها «قرية بلز» تضم أكثر من سبعمائة وحدة سكنية وفيها مؤسسات تعليمية وبيتاً للمسنِّين. ولهذه المجموعة كذلك يشيفاه كبيرة في القدس وأخرىٰ في «بني برق»، ولهم في حيفا وأشدود مؤسسات تعليمية وكُنُس، كذلك لهم مثلها في تل أبيب(٣).



صديق جماعة «بلز» الحسيديم يقص شعر طفل في الثالثة كما هي العادة عند الحسيديم

(١) S. Sharot, Messianism, Mysticism, and Magic, pp. 201 - 202.

(٢) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 138.

(٣) Ibid, p. 139.

والمشاريع التعليمية لهذه المجموعة في توسع ولذلك أخذت في الفترة الأخيرة تستعين بالدولة اليهودية لمساعدتها، وقد أصبح هذا سبباً لنقد المجموعات الحسيدية لها. ويُصدر هؤلاء في إسرائيل جريدة أسبوعية اسمها «محنة هاحريدي» (معسكر المتدين)، ولزعيمهم نشاط سياسي أيضاً، وقد ساعد الحاخام الإسرائيلي المعروف أليعازر شاخ على تشكيل حزب «ديغل هاتوراه» في الثمانينات. وتعتبر مجموعة «بلز» من المجموعات الحسيدية الكبرى والنشيطة، وهي تُعنى كثيراً بـ«بعلي تشوباه» (التائبون) من اليهود، وتخصص لهم محاضرات، وتخصص لهم كذلك أمكنة للسكن خلال عطلة نهاية الأسبوع.

## مجموعة بوباو Bobow

تنتسب هذه المجموعة إلى مدينة بوبوا Bobowa في غاليسيا، وكان قد أوجدها الصديق شلومو (ت ١٩٠٥ م) حفيد مؤسس مجموعة سانز، وقد طوَّر هذه المجموعة ابنه بنصهيون (ت ١٩٤١ م) الذي كان موسيقياً حاذقاً ومغنياً معروفاً عند الحسيديم، وكان يقول عن الغناء: «إن الحسيديم بغير الألحان هم كالجسد بلا روح». وبعد وفاته خلفه الصديق شلومو الذي ترك أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية واستقر في الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة بروكلن. وقد أنشأ مجموعة من المؤسسات التعلمية فيها، ومنها يشيفاه كبيرة لا تقتصر مناهجها على الدراسة الدينية بل تضم مناهجها موضوعات أخرى. ويقيم هذا الصديق معسكراً عالمياً للشباب اليهود كل سنة، يشتركون فيه من كل أنحاء العالم، وأسس كذلك يشيفاه أخرى في لندن، وأكثر أتباعه اليوم يسكنون في اسرائيل.

وقد أنشأ مستوطنة كبيرة أسماها قرية بوباو Kiryat Bobow قرب «بيت يام». وفي هذه المستوطنة يشيفاه كبيرة أكثر طلابها من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ولطلاب هذه اليشيفاه سكنهم الخاص بهم. وأنشأوا كذلك مجموعة من مدارس الأطفال[1]، وبَنَوا بيوتاً للمسِّنين فيها،

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, pp. 148 - 149.

وتضم كذلك معملاً للسجاد ومركزاً طبياً ومصرفاً تعاونياً بالاشتراك مع يهود إيران. ويؤكد هذا الصديق على مسألة التربية ويقول: «إن الجواب الوحيد لمسألة الدين في إسرائيل هو التربية، إذ أننا إذا أكثرنا من تدريس التوراة وتمكنا من تربية الأطفال على الطريقة اليهودية الأرثوذكسية، فإننا سننجح في كسب الاعتراف من الناس بحياة التوراة في إسرائيل. وكان صديق هذه المجموعة ينوي توسعة هذه المستوطنة إلا أن صعوبات فنية ومالية اعترضت طريقه، فترك فكرة التوسعة[1]. وقد أصبح أتباع هذه المجموعة في الوقت الحاضر يُعَدُّون بالآلاف، ومن هؤلاء ثري معروف اسمه بنصهيون فريشووترز، وهو من أصل بولندي ومن أكبر مالكي العقارات في بريطانيا، وهو يساعد هذه المجموعة مالياً[2].

## مجموعة غر Ger

تنتمي هذه المجموعة إلى مدينة غارا كواريا Gara Kawaria، وهي مدينة في بولندا تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من وارشو. وكانت هذه المجموعة من أكثر المجموعات الحسيدية عدداً في بولندا، وقد وصل أتباعها في وقت من الأوقات إلى أكثر من مئة ألف شخص، وكان من النادر أن لا يكون أتباع لهذه المجموعة في إحدى المدن البولندية. وكانت قد ظهرت عام ١٨٥٩ م وبقيت في بولندا حتى عام ١٩٣٩ م، ثم انتقل زعيمها إلى فلسطين واستقر فيها وتبعه أتباعه.

والمؤسس لهذه الجماعة هو إسحق مئير ألتر (ت ١٨٦٦ م) الذي له قدسية ومكانة رفيعة ليس عند أتباعه حسب بل عند اليهود الأرثوذكس بصورة عامة، بسبب ما كتبه من مؤلفات تتعلق بالتلمود وبكتاب «شلحان عاروخ»، وقد عرف عن هذا الزعيم الروحي معارضته الشديدة لاندماج اليهود بالشعوب الأخرى، وكان من المصرِّين على انعزالهم وانفصالهم، وكان كذلك يدعو إلى تميزهم بلباس خاص. ولما أمرت حكومة بولندا اليهود بتغيير لباسهم رفض إطاعة الأمر وأصر على لباسه المتميز، فسجنته الحكومة بسبب ذلك.

(١) Ibid, p. 149.
(٢) D. Landau, Power and Piety, p. 269.

وكان كذلك من المعارضين لدراسة العلوم غير الدينية في المدارس اليهودية، وكان يقول في سبب ذلك: «إنه من غير الممكن أن تدخل كلمات التوراة قلوب الأطفال عندما يكون الذهن مملوءاً بأشياء أخرى». وعندما توفي خلفه حفيده يهوداه أرياه ليب ألتر في زعامة هذه الجماعة، إذ لم يكن له ولد حي عند وفاته، حيث توفي أبناؤه الثلاثة عشر أثناء حياته.

وكان ليب ألتر يدعو إلى انفصال اليهود الأرثوذكس عن الصهيونية، وكان يقول: «لا يجوز أن ينضم اليهودي المؤمن إلى هؤلاء الأشرار»، وقال أيضاً: «إن الصهيونية هي ارتداد وهرطقة، وكل من يؤمن بها إنما يؤمن بالوثنية»[١]. وكان ثيودور هرتزل قد طلب منه التعاون عام ١٨٩٩ م، ولكن ليب ألتر رفض ذلك إذ أنه أصر على أن تكون الهجرة إلى فلسطين انتقائية، وأجاز الهجرة فقط إلى أولئك الذين يلتزمون بالتوراة ويعيشون حياتهم طبقاً لها.

وقد خلفه على زعامة هذه الجماعة ابنه أبراهام مردخاي ألتر (ت ١٩٤٨ م)، وقد كان هذا أحد المؤسسين الرئيسيين لمنظمة «أغودات إسرائيل» وشارك في كل مؤتمراتها حتى وفاته.

وكان قد زار فلسطين عدة مرات: كان أولها في عام ١٩٢١ م، وقد قال يومها: «لقد تأكد لي إمكانية العيش في الأرض المقدسة طبقاً لديننا كما كان يعيش آباؤنا من قبل... وإنه من غير شك يمكن لليهودي أن يعيش هنا ويطبق الفرائض التوراتية دون صعوبة. وعند زيارتي للمندوب البريطاني أكَّد لي أنه سيساعد اليهود». ثم زار فلسطين مرة أخرى عام ١٩٢٤ م وبعد رجوعه إلى بولندا قال لأحد الأثرياء اليهود: «إذا هاجر خمسمائة من اليهود القادرين مالياً إلى الأرض المقدسة فإنهم سيملكونها اقتصادياً وروحياً» وقال له: «عليك أن تترك بلدتك وتذهب إلى هناك»[٢].

وفي عام ١٩٢٥ م ذهب بعض أفراد هذه المجموعة إلى فلسطين واشتروا ٤٠٠ دونماً، وأنشأوا كذلك يشيفاه في القدس. ثم زار زعيمهم الديني فلسطين

(١) P.Y. Medding (ed.) Israel: State and Society, 1948 - 1988, p. 115.
(٢) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 111.

مرة ثالثة عام ١٩٣٦. وقد قال أثناءها: «لقد لاحظت العرب الراكبين جمالهم يوسّعون لنا في الطريق ونحن نمر بهم. وتمنيت لو أن أحد جيراننا في أوروبا أرانا شيئاً من هذا الاحترام، وإنني أعتقد بأننا يمكن أن نعيش مع العرب بطريقة أخوية»(١).

وخلال زيارته لفلسطين أصبح على علاقة وطيدة مع رئيس حاخاميها الحاخام أبراهام كوك رائد الصهيونية الدينية الحديثة ومفلسفها، وكان اليهود الأرثوذكس في فلسطين يعارضون الحاخام كوك، وكتب أحدهم كتيباً ينتقد فيه الحاخام أبراهام مردخاي ألتر على علاقته بالحاخام كوك، وقد طبع الكتاب أحد الحسيديم الستمار. واستقر الصديق أبراهام ألتر عام ١٩٤٠ في فلسطين حتى وفاته.

وقد خلفه ابنه إسرائيل (ت ١٩٧٢) الذي أصبح نشيطاً مع «أغودات إسرائيل» حيث كان يسميها أغودات أبي، لأن أباه هو الذي أسسها. وقد أصبح هذا كذلك عضواً في مجلس علماء التوراة الكبار في إسرائيل. وقد أسست مجموعة الـ «غر» الحسيديم عدداً من المدارس الدينية (يشيفوت) في القدس، وفي تل أبيب، وفي «كفر عطا» قرب حيفا. ولهذه المجموعة ثاني أكبر مدرسة دينية (يشيفاه) في إسرائيل، حيث يدرس فيها أكثر من ستمائة طالب. ولها كذلك كنيس ضخم مشهور. ولهذه المجموعة إشراف على مدارس البنات التي تسمى مدارس «بت يعقوب». وهي مدارس تعد بالعشرات في إسرائيل.

وقد أنشأ زعيمهم الصديق «سمحا بومن ألتر» ( ت ١٩٩٢ م) مستوطنة في الضفة الغربية أسماها «عمانوئيل». وكان الحاخام المعروف أليعازر شاخ ـ وهو حاخام غير حسيدي والذي كان زميلاً لسمحا بومن في رئاسة مجلس علماء التوراة ـ قد انتقد عمله هذا واعتبره استفزازاً وإثارة للعرب(٢). وكان زعيم هذه المجموعة كذلك من التجار الكبار في إسرائيل.

وقد طلب هذا الصديق من أتباعه أن لا يسكنوا في «بني برق» أو القدس

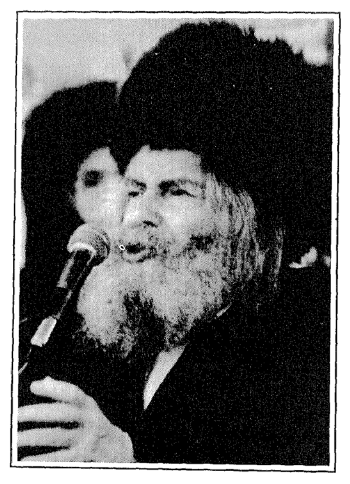
---

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 111.

(٢) P.Y. Medding (ed.) Israel: State and Society, 1948 - 1988, p. 115.

بسبب ارتفاع أسعار المنازل في هاتين المدينتين، وطلب منهم أن يذهبوا إلى أماكن أخرى في إسرائيل لم تعرف الحسيديم من قبل مثل أشدود وأرد وغيرهما. وقد جعل هذا الأمر فاعلاً ومؤثراً بواسطة أمر آخر وهو تحريمه على كل متزوج حديثاً أن يسكن في هاتين المدينتين لفترة خمس سنوات.

وقد أنشأ لأتباعه مجموعة من المحلات الكبرى تبيع الحاجيات والبضاعة لهم بسعر مخفَّض، ولا تستوفي أرباحاً ممّا تبيعه، وقد كثر عدد هذه المحلات اليوم في إسرائيل، وأصبحت لها ساعات خاصة بالنساء وأخرى بالرجال[١].



صديق مجموعة «غر» الحسيديم.

(١) D. Landau. Piety and Power, p. 281.

وقد حرم على النساء من أتباعه العمل في مؤسسات يهودية لا يعمل فيها يهود متدينون، كذلك طلب من أتباعه أن يقتصدوا في حفلات الزواج ويجعلوها متواضعة.

وعندما توفي الصديق سمحا بومن خلفه أخوه فنحاس مناحم ألتر. وتبني هذه المجموعة اليوم مركزاً مهماً في القدس يحتوي من جملة ما يحتوي على كنيس ضخم، وستكون كلفة هذا المركز ثلاثة عشر مليون دولار[١].

وكان من أتباع هذه الجماعة وأقرباء زعمائها إسحق مئير لفن (ت ١٩٧١)، وهو حفيد يهودا أرياه وصهر أبراهام مردخاي ألتر، وقد أصبح زعيماً لمنظمة «أغودات إسرائيل». وكان لفن واحداً من الموقعين على بيان استقلال الدولة اليهودية، ومثّل أغودات إسرائيل في أول حكومة إسرائيلية حيث كان وزيراً للرعاية الاجتماعية بين الأعوام ١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ م[٢]. وكان لفن هذا قد قال: «إن أرض إسرائيل وشعب إسرائيل يكوّنان وحدة كاملة غير قابلة للانفصال». وقد أقامت مجموعة «غر» مستوطنة باسم إسحق مئير لفن أسمتها «هار لفن»، وهي تقع في شمال تل أبيب[٣]، وممن ينتمي إلى هذه المجموعة وكان له نشاط سياسي بارز أبراهام شابيرا (ت ١٩٦٥ م)، الروسي الأصل والذي رأس مرة اللجنة المالية في الكنيست الإسرائيلي، ورأس كذلك المجلس الاستشاري لبنك إسرائيل.

## مجموعة راب أرله Rab Arrleh

ربما كانت هذه المجوعة هي الوحيدة التي تنتمي إلى مؤسسها، والمؤسس لها هو الصديق هارون روث، ويسمى هارون باليديش «أرله» فسميت به. وقد ولد مؤسسها عام ١٨٩٤ م في إحدى مدن هنغاريا، وكانت عائلته من عامة اليهود الأرثوذكس، وكان أبوه خضّاراً يبيع الخضر ويتاجر بها. وكان هارون روث قد اهتم بالفكر الحسيدي منذ الصغر، فدرس على مجموعة

---

(١) Ibid, p. 65.
(٢) Encyclopaedia Judaica, **Yizhak Meir Levin.**
(٣) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel p. 118.

من علماء هذه الحركة في هنغاريا وبولندا. وقد اقترح عليه أحد أساتذته أن ينشىء جماعة حسيدية خاصة به فوافق على ذلك، فالتف حوله عدد من الحسيديم في هنغاريا وجعلوه مرشدهم الروحي.

وذهب إلى فلسطين عام ١٩٢٥ م وبقي فيها لبضع سنين حيث أصبح له بعض التلامذة والمريدين والذين أصبحوا فيما بعد النواة الأولى لهذه الجماعة، ثم غادرها ولكنه رجع إليها أثناء الحرب العالمية الثانية وبقي فيها حتى وفاته عام ١٩٤٧. ويسكن أغلب أتباع هذه المجموعة اليوم في القدس في حي «مئة شعاريم».

وقد أكد مؤسس هذه المجموعة على الإخلاص للعقيدة اليهودية في أبسط صورها، وهو مثل بعض زعماء المجموعات الحسيدية الأخرى رفض المساومة مع العالم الحديث، وقد طلب من أتباعه أن يتَّسِموا بروح الانضباط، وكان يقول لهم: «ناموا خمس ساعات فقط، فإنكم لا تحتاجون إلى أكثر من ذلك، ثم بعد ذلك اقرأوا التوراة لنصف ساعة، واقرأوا عدة مزامير يومياً، وكلوا ما فيه الكفاية لترضوا أنفسكم. ويجب أن تتوقفوا أثناء الأكل لأن هذا يعدّ صياماً. وصوموا يوماً واحداً من كل أسبوع إلى الظهر، وأفضل هذه الأيام هو يوم الجمعة، وخلال شهر أيلول وخلال أيام الشتاء صوموا إلى الظهر ثلاثة أيام في الأسبوع»[1].

وقد وضع هذا الصديق برنامجاً لأتباعه من خمس وعشرين مادة وطلب منهم أن يلتزموا به. وهم ما زالوا يلتزمون به التزاماً دقيقاً وكاملاً لا يحيدون عنه أو يهملون جزءاً منه، بل إنَّ من يخالفه يطلب منه أن يغادر المجموعة بعد تحذيره ومقاطعته، وتأكيداً على التزامهم بهذا البرنامج فإنهم يجتمعون في كل سنة مع زعيمهم الحالي، وتقرأ المبادىء عليهم مبدءاً مبدءاً بصوت عالٍ، ثم بعد الانتهاء من قراءتها يوقِّعون كلهم عليها.

ومن هذه المبادىء: أن على كل عضو أن يدرس تعاليم الزعيم الروحي باستمرار، وعليه أن يلبس اللباس الخاص بمجموعة «راب أرله» ـ مثل القبعة والحزام والقفطان، وعدم قص الضفائر التي على جانبي الرأس، وعلى كل

(١) H. Robinowicz, Hasidism and te State of Israel, p. 173.

فرد منهم أن يغتسل كل صباح، ومن لا يغتسل منهم لا يحق له أن يقرأ التوراة في الكنيس.

ومنها أنَّ عليهم أن يتزوجوا فيما بينهم، وأن عليهم أن يصلُّوا في الكنيس دائماً، ولذلك فإنهم يتركزون حول الكنيس ويعيشون حوله، ولا يجوز للرجل أن يدخل أماكن النساء ولا يجوز له أن يعمل معهن.

ومنها أن على الشخص منهم أن لا يتخذ عملاً يمنعه من أن يلبس اللباس الخاص بهم. ومنها كذلك أن عليهم أن يصلُّوا بالطريقة الخاصة التي تميزهم. وتعرف هذه المجموعة اليوم بطريقتها الخاصة في الصلاة التي تميزها عن غيرها من المجموعات الحسيدية الأخرى، فهم ينطقون كل كلمة بتركيز شديد واهتمام كبير وينطقونها كذلك بصوت عال. والمصلي منهم ينفعل مع الصلاة كثيراً، وكلما اقترب من نهايتها تكون الحركة أشد عنفاً وأكثر قوة. وتكون هذه الحركة بالنود بصورة عامة، وإلى جانب النود فإنهم يحركون الأيدي ويصفقون كذلك ، ويقولون إن الغرض من هذه الحركة هو أن تتحد الروح بالإله. ولذلك فإن كتاب صلاتهم يحدد المرحلة العلوية التي تصعد إليها روح المصلِّي أثناء صلاته. ويعتقدون أيضاً بأن الجسم عندما يتحرك يكون للروح ردّ فعل، وهم يؤكدون كذلك على ارتفاع الصوت في الصلاة لأن الصوت العالي فيها ـ كما يقولون ـ يبعد الأفكار الشريرة عن المصلي، ويخرج الشرارات الإلهية من المخلوقات المادية ويرجعها إلى أصلها. وبهذه الحركة كذلك فإن قلب الإنسان ـ كما يعتقدون ـ يتطهر، ولذلك على المصلِّي أن يضع قدرته وطاقته في الصلاة، ولشدة الحركة وقوتها التي يقوم بها أفراد هذه المجموعة فإن بعضهم يغير قميصه مرتين أو ثلاث أثناء الصلاة.

وكانت الصلاة تستمر فترة ساعتين في السابق لدى هؤلاء، ولكنها الآن أقصر قليلاً. أما صلاة السبت فهي ما زالت طويلة، حيث تبدأ في الساعة التاسعة وتنتهي في حوالي الواحدة والنصف بعد الظهر.

ومجموعة الـ «راب أرله» مقسمة تقسيماً هرمياً، ويقف على رأس هذا الهرم المرشد الروحي وهو له الكلمة الأخيرة والقول الفصل في المسائل المهمة والرئيسية التي تتعلق بالمجموعة وشؤونها. ويأتي بعده جماعة يسمون

العسكانيم (مفرده عسكان) وهم المشرفون الاجتماعيون بالتعبير الحديث، وهؤلاء يشرفون على شؤون أعضاء الجماعة ورفاهيتهم، ويزورون المرضى ويتعهدون المحتاجين إلى غير ذلك من قضايا.

ويأتي بعد هؤلاء في المرتبة «تلميدي حاخاميم» (طلاب المدارس الدينية)، ثم يأتي بعد هؤلاء أصحاب المهن الدينية مثل القصابين ومدرسي المسائل الدينية، ثم بعد هؤلاء «بعلي باتيم» (مفردها بعل بيت الذي يعني رأس العائلة)، وهؤلاء هم الناس العاديون الذين لا يبرزون في شيء خاص.

والمتزوجون منهم مقسّمون إلى ستة أقسام حسب أعمار المتزوجين، ويبدأ التقسيم بالمتزوجين حديثاً وينتهي بالمتزوجين من كبار السن. وكل مجموعة من هؤلاء تلتقي فقط فيما بينها في الكنيس في يوم محدَّد من أيام الأسبوع، يتدارسون فيه المسائل الدينية، ويتناقشون في قضاياهم الخاصة التي تهمهم وتهم المجموعة ككل.

والمرأة المتزوجة من هذه المجموعة يجب أن تحلق شعرها تماماً، وعليها أن تلبس غطاء شعر، ولا يجوز لها أن تضع شعراً اصطناعياً، ولا يجوز لها أن تلبس قبعة، إذ أن هذه تعتبر من لباس الرجال. ولا يجوز للرجل منهم أن يتحدث مع المرأة إذا لم تكن زوجته، ولا يجوز له كذلك أن يسلِّم عليها حتى إذا التقاها في الشارع.

وهم يقولون بأن الإنسان يجب أن يستعمل حاسة البصر ـ التي في رأيهم أهم الحواس الخمس ـ بشكل جيد، ولذلك فإن هؤلاء عندما يمشون في الشوارع فهم غالباً ما ينظرون إلى الأعلى أو إلى الأسفل. وتروى قصة عنهم في ذلك، فقد ذكر أن أحدهم كان على ناصية طريق يريد العبور، فجاءته امرأة وأخذت بيده ظناً منها أنه أعمى لتقوده عبر الشارع. وهم في هذا يتبعون قولاً مأثوراً عندهم وهو: «إن من يريد أن يكون صالحاً في هذه الدنيا فلا بد وأن يكون فيها أعمى».

ومجموعة الـ «راب أرله» هي من أكثر المجموعات الحسيدية انعزالاً وانكفاءً على نفسها، وهي أقرب في هذا إلى مجموعة «الستمار» التي ستتحدث عنها فيما بعد. والسلوك الانعزالي هذا جاء من زعيمهم الروحي

نفسه، حيث سئل عنه مرة فكان جوابه: «إن المجتمع الحديث قد أصبح متطرفاً في فسقه وفجوره، ولذلك فإنه من الضروري أن يكون الإنسان متطرفاً في سلوكه» ولذلك فإنهم لا يشاهدون التلفزيون ولا يسمعون الراديو ولايقرؤون الصحف إلا نشرة خاصة بهم هم يصدرونها. وهم لا يتصلون باليهود الآخرين، بل حتى اتصالهم بالحسيديم الآخرين هو على نطاق ضيق جداً، ولذلك أيضاً لهم كنسهم الخاصة بهم ودكاكينهم وأعمالهم المعيشية التي لا يشاركون بها أحد. وهذه المجموعة أيضاً يطلق عليها أحياناً برغزاس Beregzaz، وهم اليوم مقسّمون إلى قسمين أكثرية وأقلية. والأولى تتبع زوج ابنة المؤسس والثانية تتخذ ابنه زعيماً لها.

ولا بد أن نذكر هنا موقف هذه المجموعة من «إسرائيل». فموقفها مثل موقف مجموعة الستمار، تعتقد بأن خلاص اليهود لا يكون إلا بواسطة المسيح المخلّص وليس بواسطة شيء آخر، ولا تكون دولة يهودية شرعية إلا تلك التي ينشؤها هذا المخلِّص، وكل دولة يهودية تقوم قبله هي دولة غير شرعية. ولذلك فإن هذه المجموعة تنظر إلى إسرائيل على أنها دولة غير شرعية، ولذلك أيضاً فإنهم لا يتدخلون في سياسة هذه الدولة ولا يشاركون في انتخاباتها.

وترفض هذه المجموعة كذلك التعاون مع «أغودات إسرائيل» لأنها تعتبرها قد انحرفت عن مبادئها الأصلية التي أسست من أجلها، إذ أخذت تتعاون مع الدولة اليهودية غير الشرعية. وتتعاون هذه المجموعة مع المجموعات التي لها الرأي نفسه كالستمار و «نطوري قارتا» فإن هذه المجموعات لها مدارسها الخاصة بها التي تشرف عليها بنفسها دون تدخل من أحد، وتسمى مدارس البنات عندهم مدارس «بنوت يروشلايم»(بنات القدس). ولمجموعة الـ «راب أرله» مؤسسات في «مئة شعاريم»، فبجانب الكنيس لهم بعض المؤسسات الدينية الأخرى والثقافية، ولهم مجمع سكني للمسنِّين، ولهم فندق خاص بهم ويملكون كذلك مصنعاً[١].

---

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, pp. 171 ff.

## مجموعة روزن Ruzhin

سميت هذه المجموعة الحسيدية باسم مدينة روزن Ruzhin في روسيا البيضاء، ومؤسسها الصديق إسرائيل فريدمان روزن الذي تحدثنا عنه سابقاً. وكان هذا الصديق يعبر دائماً عن رغبته في الذهاب إلى فلسطين والسكن فيها، وكان يقول: «سيأتي يوم تطردنا فيه الشعوب من أراضيهم»، وقال كذلك: «إن الوقت سيحين عندما تأتي حكومة في فلسطين تسمح لليهود بالهجرة إلى أرض آبائهم، وستشعر الشعوب أنه على الرغم من كل القتل والمذابح فإن الطريقة الوحيدة للتخلّص منا هو إرسالنا إلى أرض فلسطين». وكان كذلك يدعو اليهود إلى الهجرة الجماعية، ويقول بأن الهجرة الجماعية تغيِّر الأرض وتبدِّلها. ولم يكن يريد الذهاب وحده بل أراد أن يهاجر معه أتباعه، وقد عبر عن هذا بقوله: «إذا ذهبت لوحدي إلى الأرض المقدَّسة فسيسألني الناس لماذا جئت وحدي، ولِمَ لم آت بأتباعي معي، فماذا سيكون جوابي إذن»[1].

ومما يروى عن اهتمامه بفلسطين أنه عندما سمع بأن قيصر روسيا نيقولاي الأول (ت ١٨٥٥ م) أراد أن يشتري مكاناً في القدس ليقيم عليه ديراً بادر هذا الصديق لجمع مبلغ من المال واشترى المكان. ويروي الحسيديم بأن قيصر روسيا عندما سمع بذلك قال: «إن اليهود يسدون طريقي دائماً»[2].

وقد هاجر جماعة من أتباعه في القرن التاسع عشر كان من أشهرهم إسرائيل باك (ت ١٨٧٤ م) الذي كان أول من أدخل الطباعة باللغة العبرية إلى فلسطين في العصر الحديث، وكان قد استقر في صفد أولاً وأنشأ مزرعة يهودية فيها. ثم انتقل إلى القدس وسكنها عام ١٨٣٨ م حيث زوَّده اليهودي المعروف موسى مونتفيور بمكائن طباعة حديثة. وقد نشر باك أكثر من مئة وثلاثين كتاباً كان الكثير منها يتعلق بالقبلاه والفكر الحسيدي، وأصدر كذلك صحيفة باللغة العبرية وتعتبر ثاني صحيفة عبرية تصدر في فلسطين، وبنى كذلك كنيساً كبيراً في القدس، وأسماه «تفئرت يسرائيل» على اسم زعيمهم

(١) Ibid, p. 160.
(٢) Ibid, p. 163.

إسرائيل فريدمان روزن. وكان هذا الكنيس قد هدم أثناء الحرب العربية اليهودية ثم أعيد بناؤه حديثاً. وقد طلب «باك» من زعيمه الديني أن ينشىء مستوطنات زراعية في فلسطين، فأوفده هذا إلى لندن ليقابل موسى مونتفيور ليتوسط عند قيصر روسيا حتى يسمح ليهود روسيا بإرسال أموال إلى الحسيديم في فلسطين[1].

وقد استمر زعماء هذه المجموعة في دعوة أتباعهم إلى الهجرة إلى فلسطين، وقد قال إسرائيل هوستاين (ت ١٩٤٩ م) أحد زعمائهم الذي كان عضواً في جماعة محبي صهيون: «إنه لغرض ديني عظيم أن نخلِّص الأرض المقدَّسة من أيدي الأغراب»، وكان نفسه قد هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٧ م. وكان يدفع دائماً «شيكل» وهو الاشتراك الرمزي لمن يريد أن يشترك في انتخابات المؤتمر الصهيوني العالمي. وكان زوج ابنته واسمه يعقوب (ت ١٩٥٣ م) لا يتردد في الدفاع عن الصهيونية، وكان ينكر أن تكون هذه الحركة علمانية، وكان يقول: «إن العامل اليهودي لا يطهِّر الأرض من الوسخ فقط، بل إنه يطهر نفسه من بقع الشتات (عندما يكون في فلسطين)».

ومن زعمائهم الذين كانوا يَدْعون إلى هجرة اليهود الحاخام أبراهام يعقوب (ت ١٩٦١ م)، فقد دعا اليهود الأرثوذكس ـ وليس الحسيديم وحدهم إلى الهجرة، وطلب منهم أن لا يسمعوا إلى الحاخامين الذين يثبطون عزمهم عن ذلك، وكان يقول بأن الحسيديم يمكن أن يساعدوا على انبعاث أرض إسرائيل، وكان هو نفسه قد هاجر إلى اسرائيل واستقر فيها.

ولهذه المجموعة ارتباط وثيق بأغودات إسرائيل وهم يعملون سوية، وقد أنشأت هذه المجموعة عدداً من المدارس الدينية والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية. وقد انفصلت عن هذه المجموعة عدة جماعات أصبحت فيما بعد مجموعات مستقلة ولها زعماؤها الروحيون الذين يتزعمونها. وكل هؤلاء الزعماء هم أحفاد مؤسس المجموعة الرئيسية إسرائيل روزن، وقد استقر أكثرهم في إسرائيل في الوقت الحاضر[2].

---

(١) Ibid, p. 162.
(٢) Ibid, pp. 180 ff.



مؤسس مجموعة «روزن» الحسيديم الصديق إسرائيل فريدمان روزن.

## مجموعة سانز ـ كلاوسنبرغ Sanz - Klausenberg

سميت هذه الجماعة بهذا الاسم المركب لأن مؤسسها حاييم هلبرشتام Hayyim Helberstam (ت ١٨٧٦ م)، كان قد سكن بلدة سانز في غاليسيا، وسكن حفيده يوكيثيل يهودا في مدينة كلاوسنبرغ Klausenberg التي تقع اليوم في رومانيا، والزعيم الروحي الذي تدين له هذه المجموعة بالولاء والطاعة هو يوكيثيل يهودا. وكان في البداية لا يحمل فكراً صهيونياً بل يعارضه وينتقده، وكان في الوقت نفسه يؤيد الجماعات المعادية للصهيونية مثل «أغودات إسرائيل» ـ في بداية نشأتها ـ وكان هذا الصديق قد افتتح المؤتمر الأول لهذه المنظمة عام ١٩٣٧ م.

وقد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٧ م واستقر في بروكلين، وأسس هناك عدداً من المؤسسات التربوية والاجتماعية والدينية. وأسس كذلك مثل هذه المؤسسات في كندا والمكسيك. وعندما دعا «ناحوم غولدمان» رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام ١٩٥١ م المنظمات اليهودية لحضور مؤتمر حول تعويض ألمانيا لليهود، كان الحاخام يوكيثيل يهودا قد حث اليهود الأرثوذكس على حضور هذا المؤتمر والمشاركة في مناقشاته. وعلى إثر هذا المؤتمر وقّعت إسرائيل اتفاقية مع ألمانيا عام ١٩٥٢ م تتسلم بموجبها ثلاثة مليارات مارك خلال اثنتي عشرة سنة. وقد حصلت الكثير من المؤسسات اليهودية الأرثوذكسية على حصص كبيرة من هذه الأموال[١].

وقد زار يوكيثيل إسرائيل عام ١٩٥٤ للبحث عن مكان يبني فيه مستوطنة، وكان بن غوريون رئيساً للوزراء في إسرائيل آنذاك، قد اقترح عليه أن يختار مكاناً في صحراء النقب. ولكن هذا الحاخام لم يقبل الاقتراح، وردَّ على بن غوريون بأن النبي إبراهيم لم يبدأ رحلته من الجنوب ـ أي من النقب ـ، ولكنه وصل في النهاية إلى الجنوب، ولذلك فهو لا يريد أن يبدأ رحلته من الجنوب (وهو هنا يشير إلى ما ورد عن النبي إبراهيم في التوراة).

---

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 146.

وقد اختار مكاناً للمستوطنة قرب مدينة «نتانيا»، حيث اشترى قطعة أرض من ٣٠٠ دونم، وبنى مستوطنة وأسماها «سانز» Sanz، وبنيت المستوطنة لتستوعب عشرين ألفاً من المهاجرين. وقد أصبح من معالم هذه المستوطنة كنيسها المميز الذي كلَّف أموالاً ضخمة، والذي يتسع لمئات المصلين. وقد بنيت المستوطنة طبقاً لمواصفات الشريعة اليهودية.

وقد هاجر هذا الصديق إلى إسرائيل عام ١٩٦٠ م وحثَّ أتباعه على الهجرة إليها، فهاجر الكثير منهم وأنشأوا عدة مستوطنات. وقد حثَّ كذلك بعض زعماء الحسيديم على الهجرة إلى إسرائيل. وكان زعيم الحسيديم الستمار - وهو قريليه - والذي يعتبر من أشد أعداء الصهيونية وقيام إسرائيل - قد انتقد الصديق يوكيثيل يهودا على دعوته الآخرين إلى الهجرة إلى إسرائيل. وقد ردّ على زعيم الستماريم برسالة قال فيها: «أنا لست خائفاً من حكومة علمانية، التي هي حكومة مرحلية والتي قد تزول بشكل مفاجىء جداً. إن أرض فلسطين مقدسة، ووجود حكومة علمانية فيها لا يمنع قدسيتها، وقدسيتها لا تتوقف على سلوك السكان فيها حتى لو خبَّثوها موقتاً، لأنها مقدسة دائماً ولا تزول منها هذه القدسية. وهي مثلما لو كان الكتاب المقدس بيد كافر فإن قدسيته لا تزول، وسيبقى مقدساً حتى لو بقي في يد هذا الكافر».

ويعتقد هذا الصديق «بأن هجرة اليهود الأرثوذكس تجعل الدولة سياجاً حقيقياً من نار غير قابل للتحطيم. وإن انجازات اليهود الأرثوذكس التي تتسم بروح التضحية تثير إعجاب العالم»[1]. ويعتبر إنشاء دولة إسرائيل معجزة ويقول: «إنني سَلِمْتُ من المذبحة (في الحرب العالمية الثانية) فقط من أجل أن أبني أرض إسرائيل» ويعتبر إسرائيل جنة عدن وبداية العصر الذهبي القادم (لليهود). ويقول كذلك إنه يهدف من وجوده في إسرائيل أن ينشىء مؤسسات تقوم على شريعة التوراة. وأكثر يهود المستوطنة التي بناها هم من يهود أوروبا (الشرقية)، ومنهم مجموعة من يهود الولايات المتحدة الأمريكية، وتضم المستوطنة عدداً من اليشيفوت من مستويات مختلفة، وفيها كذلك مدرسة

---

(١) Ibid, pp. 148 - 149.

داخلية للبنات، وفيها كذلك «كلل» (مدرسة دينية للمتزوجين) والمتخرجون من الكلل يحصلون على وظائف دينية وتعليمية في اسرائيل.

ويخصص لطالب الكلل سكناً دون مقابل، ويعطى كذلك مخصصاً شهرياً بالإضافة إلى المساعدة الحكومية التي يأخذها من الدولة. ولغة التدريس هي اليديش، واللغة العبرية تدرس كمادة من مواد المنهج. وفي هذه المستوطنة كذلك يشيفاه خاصة باليهود الشرقيين، بالإضافة إلى ميتم وكنيس خاص بهم. وتضم المستوطنة كذلك بيتاً للمسنين ومعملاً للياقوت، وفيها كذلك فندقاً من الدرجة الأولى، وفيها مستشفى كبير ساعدت الحكومة الأمريكية على إنشائه. وفي المستوطنة كذلك معهداً للممرضات المتدينات تحتوي مناهجه إلى جانب علوم التمريض منهجاً خاصاً لتدريس اليهودية الأرثوذكسية. وتشجع الدولة مثل هذه المعاهد بسبب النقص في الراغبين والراغبات في دراسة التمريض.

ولهذه المستوطنة مسلخها ومقبرتها الخاصة بها، وتنظم المستوطنة كذلك أوقاتاً خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال للسباحة في البحر. وهم كبقية الحسيديم الآخرين لا يسمحون بمشاهدة التلفزيون في المستوطنة ولكنهم يسمحون بسماع الراديو. وتصدر هذه المجموعة مجلة خاصة بها اسمها «هامدراش»، ومجلة أخرى تصدر كل شهر اسمها «يسرائيل صبا» وهي خاصة بالمستوطنة وأخبارها وما يتعلق بها[١].

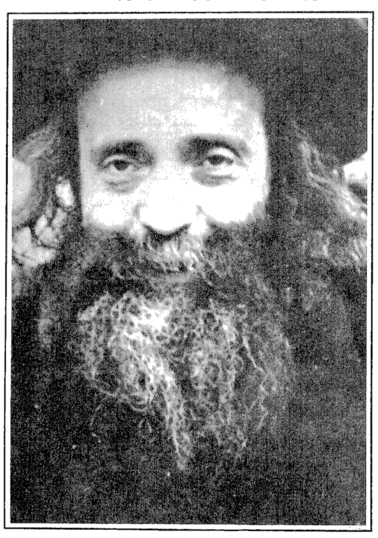
ويشرف الزعيم الروحي لهذه المجموعة بنفسه على الشؤون الدينية وتطبيق الشريعة في هذه المستوطنة، كالإشراف على ذبح الحيوانات، وعلى الحمامات الشرعية، وبيع الفواكه والخضروات. إذ أن هذه لا تُباع إلا بعد التأكد من توفر الشروط الشرعية فيها، كأحكام السنة الشميطاه (وهي السنة السابعة التي لا يجوز أن تزرع فيها الأرض). وفي كل جمعة تفحص المستوطنة فحصاً دقيقاً للتأكد من شريعة العروف (وهو تحديد منطقة مّا بحدود معينة يوم السبت حتى تصبح حركة اليهودي شرعية في يوم السبت).

وللمستوطنة كذلك أناس مختصون بالتفلين ومختصون بفحص المزوزة

---

(١) Ibid,, p. 151.

ونسخ التوراة للتأكد من مطابقة هذه للأحكام الشرعية اليهودية. ويرسل هؤلاء المختصون إلى بقية أنحاء إسرائيل ليقوموا بهذه المهمة. ويقول زعيم هذه المجموعة عن هذا العمل: «إنه ليس المهم فقط الالتزام بالفرائض ولكن يجب كذلك الالتزام بها بشكل صحيح». وتزيد هذه المجموعة الحسيدية ساعة على يوم السبت وهم يختلفون بهذا عن أكثر الحسيديم. وهم يتبعون في هذا الحاخام الفرنسي المشهور ربينو تام (ت ١٧٩١ م). وأراد زعيم هذه المجموعة لمستوطنته أن تكون شهيرة حتى قال: «إنه سيأتي اليوم الذي يقول فيه الناس إن نتانيا قرب سانز ولا يقولون سانز قرب نتانيا».



صديق مجموعة «سانز كلاونسبرغ».

وإلى جانب هذه المستوطنة فقد بنت هذه المجموعة حياً كبيراً في شمال غرب القدس قرب مجمع الحسيديم اللوبافتش، فيه ما يقرب من خمسمائة وحدة سكنية، ويضم هذا الحي يشيفاه وكُلل وكنيس. ولهذه المجموعة نشاط قوي في مدينة «بني برق» إذ لهم فيها روضة أطفال، ويشيفاه، وكلل، ومدرسة للبنات، ومعمل لحجر الماس، وحمامات شرعية، ومركز تجاري كبير. ومن هذه المجموعة جماعة صغيرة بدأت تنمو في قرية اسمها صموئيل في طبرية، وجماعة في صفد، وفي بئر السبع كذلك[١].

## مجموعة فيشنتز Vizhnitz

تنتمي هذه المجموعة الحسيدية إلى فيشنتز Vizhnitz وهي بلدة صغيرة تقع اليوم في أوكرانيا. وكان مناحم مندل هاغر (ت ١٨٨٤ م) المؤسس لهذه المجموعة أول من سكنها ولذلك نسبت إليها. وقد كان لهذا الصديق إثنا عشر ولداً، أشهرهم ابنه إسرائيل (ت ١٩٣٤ م) الذي تقدِّسه هذه الجماعة وتعظمه، وأطلقت عليه لقب «محب اليهود». وكانت له شعبية كبيرة، وحكيت عنه كثير من القصص والحكايات، منها أن روح بعل شم طوب قد حلَّت فيه.

وكان اسرائيل قد استقر في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، وكان يقول: «إنه بتطبيق الشريعة يمكن للأرض أن ترجع إلينا». وكان يحث أتباعه على تأييد «أغودات إسرائيل»، ويطلب منهم أن يصوِّتوا لها، حيث اعتقد بأنها تطبق الشريعة اليهودية.

وقد بنى خلفاؤه أكثر من مستوطنة في إسرائيل، فقد أنشأ ابنه حاييم مائير هاغر مستوطنة باسم Vishnitz عام ١٩٥٠ م قرب مدينة «بني برق». وقد كثر عدد سكان هذه المستوطنة، حيث يصل الآن إلى عدة آلاف، وقد أطلق على شوارعها أسماء لها ارتباط بزعماء هذه الجماعة وصديقهم. وكان مؤسس هذه المستوطنة يقول: «إنه فقط بالبناء وإنشاء مراكز جديدة للتوراة هنا يمكن أن تتقوى العقيدة»[٢].

---

(١) Ibid, pp. 151 ff.
(٢) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, pp. 121 ff.

وتضم هذه المستوطنة يشيفاه كبيرة تتسع لمئات الطلاب، وفيها كذلك «كلل» وروضة للأطفال، ويتسلَّم الطلاب مساعدات خاصة من ميزانية المجموعة الخاصة بها. ويعطى الطلاب المتميزون منحة تزيد على ما يتسلمه الطلاب العاديون. وتفصل مدارسهم بين الذكور والإناث كبقية الحسيديم الآخرين. ويدرس الطلاب التوراة وهم في الخامسة من العمر، ويدرسون التلمود وهم في التاسعة، وعند تخرجهم يتوقع منهم أن يكونوا قادرين على قراءة هذه الكتب وفهمها وترجمتها. والكثير من هؤلاء الطلاب يحفظون أكثر من مئة صفحة من التلمود عن ظهر قلب قبل أن يبلغوا الحلم. وهم ينظمون مسابقات دينية لطلاب المجموعات الحسيدية.

وتضم المستوطنة كذلك مراكز للرعاية الاجتماعية منها بيت للمسنين وجمعية لرعاية المرضى، كذلك تضم مؤسسة مالية تمنح قروضاً دون أرباح للحصول على سكن، وتمنح كذلك مساعدات مالية للطلاب من أبناء المستوطنة، وفيها كذلك فندق كبير، ومعمل ياقوت ومطبعة. وتضم كذلك إثنا عشر حماماً للاغتسال الشرعي، وتفتح هذه الحمامات أبوابها عند الثالثة صباحاً، ويقال بأن هذه الحمامات تزار من قبل ألف وخمسمائة شخص يومياً. وللمستوطنة كهرباؤها الخاص بها والتي أنشأتها المجموعة بطريقة لا تخالف أحكام السبت، حيث يحرم العمل فيه[1].

وتعرف هذه المستوطنة بين اليهود باسم «جامعة الحمل» لوجود ظاهرة حمل النساء المستمر فيها. وحيث أن وجود أحد عشر طفلاً أو إثني عشر طفلاً للعائلة الواحدة ليس أمراً استثنائياً.

وقد أنشأت هذه المجموعة كذلك مستوطنة أخرى اسمها «رامت فيشنز» قرب حيفا. وهي تضم مدارس دينية، وبيتاً للمسنين، وتضم داراً للنشر، وكنيساً كبيراً، ولليشيفوت أقسام خاصة بها للسكن.

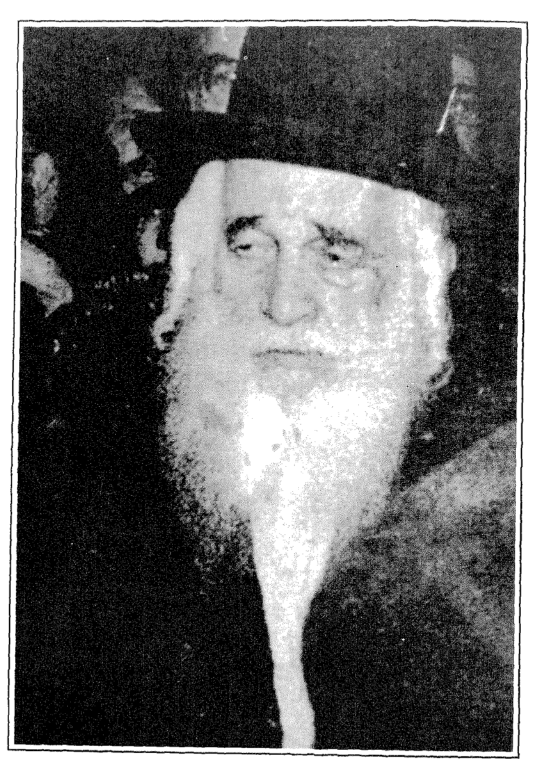
ولهؤلاء كذلك مدارس خاصة بهم في القدس، ولهم كذلك مدرسة دينية في «نتانيا»، إلى جانب مدارس أخرى خارج اسرائيل، حيث يوجد لهم عدد منها في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

(١) Ibid, p. 124 f.

وكان مرشد هذه الجماعة وزعيمها الروحي قد حثّ أتباعه على الانضمام إلى الجيش الإسرائيلي في حرب عام ١٩٦٧ م، وقد قال: إن الحرب بداية الخلاص. وهو يطلب من أتباعه في الانتخابات الإسرائيلية تأييد أغودات اسرائيل. وكان هو نفسه يقف عند صناديق الاقتراع من أجل هذا الغرض. وقد توفي حاييم هاغر عام ١٩٧٢ م، وقد خلفه على زعامة هذه المجموعة ابنه موشيه يهوشع هاغر، وهو اليوم رئيس مجلس علماء التوراة لأغودات إسرائيل. وهو يهاجم العلمانيين بين فترة وأخرى، وقد قال عام ١٩٩٢ م: «إنهم (العلمانيين) أناس مَرْضَى ونحن على استعداد لمساعدتهم... وإنهم يقولون إن هناك إكراهاً دينياً (في إسرائيل)، بينما الواقع هو وجود إكراه على المتدينين». وكان قد اشترط شروطاً لانضمام الحزب الديني القومي الذي هو زعيمه الروحي إلى حكومة رابين، وكانت هذه الشروط تتعلق بمسائل الشريعة اليهودية.

ويتزعم أخوه في الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة أخرى من هؤلاء أطلقت على نفسها اسم Vishnitz - Monsey، وأخذت المجموعة الأخرى في حيفا كذلك تستقل عن المجموعة الأم وأطلقت على نفسها Vishnitz - Haifa [(١)].

(١) D. Landau, Piety and Power, p. XIX.



صديق مجموعة «فيشنتز» الحسيديم.

# الفصل العاشر

# الحسيديم اللوبافتش والستمار

سأتحدث في هذا الفصل بشيء من التفصيل عن مجموعتين من مجموعات الحسيديم هما: اللوبافتش والستمار. وهناك أكثر من سبب يجعلني أخصص لهما فصلاً مستقلاً بهما. فهاتان المجموعتان هما من أكثر المجموعات الحسيدية عدداً، وإن الأولى - اللوبافتش - هي من أكثرها انفتاحاً على العالم الخارجي نسبياً، والثانية - الستمار - من أكثرها انغلاقاً وانعزالاً. وإن مجموعة اللوبافتش هي مجموعة حسيدية مؤيدة لوجود إسرائيل. بينما الستمار مجموعة ترفض وجود إسرائيل وتعتبره غير شرعي كما سنرى. وكل واحدة من هاتين المجموعتين لها منطقة تأثيرها بين اليهود عامة والحسيديم خاصة، إلى جانب أن الحديث عنهما سيتطرق إلى جوانب لم نتطرق لها في الفصول السابقة.

# الحسيديم اللوبافتش

تعتبر مجموعة اليهود اللوبافتش اليوم من المجموعات الحسيدية المهمة، وتأتي أهميتها من كثرة عدد أفرادها، وسعة نشاطها، وحجم تأثيرها في عالم اليهود. وقد سميت هذه المجموعة ـ كأكثر المجموعات الحسيدية الأخرى ـ باسم المدينة التي ارتبط تاريخها بها، وهي مدينة لوبافتش Lubavitch التي تقع شمال روسيا والتي سكنها وعاش فيها بعض زعماء هذه المجموعة. وكان المؤسس لهذه المجموعة والزعيم الأكبر لها هو الصديق شنيور زلمان بن باروخ. ولا بدَّ من الحديث باختصار عن حياة مؤسسها وبعض آرائه لما لهذا المؤسس من قدسية عند هذه المجموعة وتأثير عليها.

كان شنيور زلمان قد ولد في مدينة ليوزنو Liozno في روسيا البيضاء عام ١٧٤٥ م، وكان أبوه حسيدياً من أتباع الحركة الحسيدية يعمل سراً فيها مع مجموعة سموا «نستاريم» (متخفِّين)، عندما كانت الحركة تواجه هجوماً من معارضيها. ويروي اللوبافتش بأن بعل شم طوب نفسه هو الذي بارك شنيور زلمان عند ولادته وتنبأ له بمستقبل عظيم. وهم يروون كذلك بأن المؤسس لحركتهم كان متميزاً منذ طفولته حيث خُصَّ بروح جديدة لم تنزل إلى الأرض سابقاً ولم تعرف جسماً آخر[١].

وذكر عنه بأنه كان يتمتع بذاكرة خارقة، لا يسمع شيئاً إلا حفظه وتذكَّره[٢]. وقد بدأ يتكلم عندما كان في الثانية من عمره، وحفظ الكثير من

---

(١) هذه الرواية تتفق مع فكرة اليهود الحسيديم في تناسخ الأرواح.

(٢) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, pp. 21ff.

المزامير عندما كان في الثالثة من عمره. وكان أستاذه قد قال لأبيه عندما درَّسه لفترة إن ابنه قد أصبح أعلم من أستاذه. ويروون عنه كذلك بأنه كان قد أعطى درساً في التلمود في الثالثة عشرة من العمر، ويذكر مؤرخو حياته بأن شنيور زلمان كان شغوفاً جداً بالدراسة مولعاً بها ومنهمكاً فيها. وقد ذكر عنه بأنه قال: «عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري درست لوحدي في أكثر الأوقات، وخصصت ثماني عشرة ساعة في اليوم للدراسة. وخلال ثلاث سنوات خصصت ثلثي الوقت خلال أيام الأسبوع لدراسة التلمود وما يتعلق به. وخصصت الوقت الباقي لدراسة التوراة وكتب القبلاه.

وقد تزوج شنيور زلمان في الخامسة عشرة من عمره، وفي العشرين من عمره رأى بأنه بحاجة إلى المزيد من الدراسة فقرَّر الرحيل إلى مدينة ميزيرِج Meseritch، حيث مقرّ دوف بائر ـ خليفة بعل شم طوب ـ ليدرس على يديه. وقد مدحه هذا كثيراً فقال عنه: «إنه معجزة المعجزات، حيث تسكن جسمه الضعيف قوة روحية هائلة... وإنه سيصبح عالماً دينياً لكل روسيا يستمع له جموع كثيرة» وقال أيضاً: «إن فهم شنيور زلمان السريع للمشكلة يصل إلى حدّ النبوة الصغرى» وقد درس ثلاث سنوات على يد هذا الأستاذ وطلب منه أن يؤلف كتاباً في الفقه فألّف[١].

وبعد وفاة أستاذه عام ١٧٧٢ م أنشأ بعض طلابه مراكز خاصة بهم، والتف حول كل واحد مريدون وأتباع من الحسيديم. أما شنيور زلمان فلم ينشىء مركزاً خاصاً به، بل إنه اعتزل الناس وانكب على الدراسة والعبادة، ولكن رسالة جاءته من أبرز زعماء الحسيديم ـ مناحم مندل ـ الذي كان في فلسطين يطلب فيها إلى شنيور زلمان بأن يتزعم الحركة الحسيدية، وطلب من الحسيديم أن يلتفوا حوله ويساندوه. وقد قال في رسالته: «قدِّسوه (شنيور زلمان) وقدِّروه، فقد سعى كثيراً من أجل أن تُسمع كلمة الله الحي، وقد عيَّناه معلماً للصلاح في البلد حتى لا تكون جماعة الرب غَنَماً بلا راع. وهو كزعيم وراع لا يقارن به أحد»[٢].

(١) H. Robinowicz, The World of Hasidism, pp. 67 ff.
(٢) Ibid, p. 70.

وعندما قامت الحرب بين نابليون والروس عام ١٨١٢ م انقسم حاخامو اليهود على أنفسهم، فمنهم من أيَّد الروس وعارض نابليون حيث اعتبروه رمزاً للهرطقة والكفر، ومنهم من أيَّد نابليون ونظروا له على أنه محرر لليهود. وكان شنيور زلمان من المعارضين لنابليون والمؤيدين للروس، وكان يقول عن سبب تأييده للروس بأنه كُشف له أثناء الصلاة بأن انتصار نابليون سيكون له نتائج مادية طيبة لليهود ومنافع سياسية لهم، ولكن قلوبهم ستكون رافضة لله بعيدة عنه. ولكن إذا انتصر القيصر فإن اليهود سيكونون أكثر قرباً إلى الله وإن عانوا فقراً مادياً.

وللتأكيد على مساندته للروس فقد أمر أتباعه أن يساعدوا الجيش الروسي بما يتمكنون وبكل وسيلة. وطلب منهم كذلك أن يتجسسوا لحساب الجيش الروسي، فعمل منهم من كان يجيد اللغة الفرنسية في القيادة العليا للجيش الفرنسي وأرسلوا معلومات سرية عن طريق زملائهم الحسيديم إلى الجيش الروسي[١]. وعندما اندحر الروس أمام نابليون أحرق شنيور زلمان بيته وهرب مع عائلته ومجموعة من أتباعه إلى قرية صغيرة اسمها «فينا» قرب مدينة كورتس. وقد توفي هناك عام ١٨١٣ م[٢].

وقد ترك شنيور زلمان عدة مؤلفات في الدين والفلسفة، ولكن أهم هذه المؤلفات كتاب عنوانه «لقوطي أماريم» مجموعة مقالات. وهو يشتهر اليوم باسم «تانيا» وهذا الاسم مأخوذ من الكلمة الأولى التي يبدأ بها الكتاب. ويقال بأن مؤلفه قد قضى في تأليفه عشرين سنة. وهو كتاب يخوض في موضوعات دينية وفلسفية وعقائدية كثيرة، وقد طبع أكثر من خمس وستين مرة. وقد وُصف شنيور زلمان بأنه (ابن ميمون) الحسيديم، لأنه قد جعل للعقل والفلسفة دوراً في الفكر الحسيدي كما جعل موسى بن ميمون دوراً لهما في الدين، وقد تميز بهذا عن بقية الصديقيم. وقد قال عن أهمية العقل: «إن العقل يحكم القلب، وإن الله يحب العقل ويرغب فيه» وهو يرى بأن العقل يحتوي على ملكات ثلاث مترابطة هي: حُكماه (حكمة)، بيناه (فهم)، دعة

---

(١) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, pp. 250 ff.
(٢) Ibid, pp. 254 ff.

(معرفة). وهو يعتبر هذه القوى الثلاث أمهات للغرائز العاطفية ومصدر لها، مثل الحب والخوف[1].

وقد ركز شنيور زلمان على هذه الملكات الثلاث كثيراً، ولذلك أصبح فكر جماعة الحسيديم اللوبافتش يسمى «حبد»، وهذه الكلمة مركبة من الحروف الثلاثة الأولى للكلمات العبرية الثلاث أعلاه. وقد أصبحت هذه الكلمة اسماً لفكر هذه الجماعة وعلماً عليها. ومن الموضوعات التي تطرق لها المؤلف في كتابه موضوع الخلق والخالق ودور الإنسان في الكون وعلاقته بالخالق. وتحدث كذلك عن مسألة الحب لله والخوف منه، وطبيعة النفس الإنسانية والحياة الأخرى، إلى غير ذلك من مسائل.

وقد ذكرنا رأيه في الخلق والخالق في حديثنا عن «وحدة الوجود» حيث يرى بأن الخالق موجود في كل شيء، وسبب قيام الكون ووجوده إنما هو هذا العنصر الإلهي الذي فيه، وأن الخالق وحده هو الوجود الحقيقي، وهذه المخلوقات التي يراها الإنسان ما هي إلا مظاهر لهذا الوجود الحقيقي وتعبير عنه، وهي لا تدل على تعددية الوجود. ويرى كذلك بأن مفهوم الصفة والموصوف لا ينطبق على الخالق لأنه هو الصفة والموصوف في آن واحد. فصفة حكيم وعليم ليستا خارجتين عن ذاته لأنه هو الحكمة وهو العلم. وأن هذا شيء يصعب على الإنسان استيعابه وفهمه[2].

وقد قسم الإنسان إلى نوعين أحدهما الصديق (القديس، التقي) وهو الذي تحركه طبيعة الخير دائماً، وغيره وهو الذي يسميه «بينوني». وهو يقول بأنه لما كان وجود الصديق نادراً في هذا العالم فقد جعل الله الأرض لا تخلو منه، فلا بد أن يكون «صديق» في كل جيل من الأجيال لأن «الصديق أساس العالم».

وقد انعكس تأكيد شنيور زلمان على أهمية الصديق كثيراً على علاقة اللوبافتش بزعيمهم الروحي، حيث إنهم يتميزون أكثر من غيرهم من المجموعات الحسيدية بتقديسهم العميق لزعيمهم الروحي وإطاعتهم له وثقتهم المطلقة به.

---

(١) Schneur Zalman, Tanya, pp. 13 - 14.

(٢) Schneur Zalman, Tanya, p. 11.

ويؤمن شنيور زلمان بحرية الإرادة لدى الإنسان، فهو يرفض الجبرية، ولا يرى بأن الإنسان مسيّر. وفي تعليقه على قول النبي أيوب: «يا رب الكون، أنت خلقت الصالحين وأنت خلقت الأشرار» قال: «ليس مقدّراً منذ الخلق أن بعض الناس صالحون والبعض الآخر طالحون»[1]. وهذا الرأي هو المعتمد في فكر اللوبافتش كما سنرى فيما بعد رأي الزعيم الروحي الحالي لهم.

أما بالنسبة إلى الإنسان فرأيه يتفق مع رأي الحسيديم الذي ذكرناه سابقاً في موضوع الإنسان إلا أنه يذكر بعض التفصيلات التي نذكرها هنا. فهو يرى بأن هناك نفسَين: نفساً قدسية إلهية ونفساً حيوانية. والنفس الإلهية هي جزء من الإله وبعض منه. وهذه النفس لا توجد إلا في اليهود خاصة ولا توجد في غيرهم. أما النفس الحيوانية فهي التي تمدُّ الإنسان بعناصر الحياة وتبقيه على قيدها، وهذه النفس تكون في اليهود وفي غيرهم، إلا أن هناك فرقاً بين الاثنتين، فهي في اليهود تكون خليطاً من خير وشر. أما في حالة غير اليهود فإن هذه النفس تكون شراً خالصاً ليس فيه خير على الإطلاق ـ وعلى هذا يكون الإنسان الذي يحملها غير قادر على عمل الخير وليس له أهلية فعله ـ وإذا ما قام أحد من هؤلاء بعمل خير فإن ذلك من أجل تمجيد الذات وتحقيقها. ويستشهد شنيور زلمان على هذا بما جاء في سفر الأمثال ١٤/ ٣٤: «إن خير الشعوب خطيئة» ثم يستشهد بتعليق التلمود على هذا والذي جاء فيه: «إن كل ما يعمله شعوب الأرض من خير وإحسان إنما هو من أجل تمجيد الذات فقط». ويستشهد على ذلك كذلك بما جاء في كتاب «عص حاييم» لـ «حاييم فيتال» ـ وهو من الكتب المهمة عند الحسيديم حيث ورد فيه: «إن كل خير تفعله الشعوب دافعه ذاتي»[2].

وكانت هذه المسألة موضوع تهمة وجهتها الحكومة الروسية لشنيور زلمان عندما اعتقلته، فهو عندما سئل عن توضيح هذه الفكرة لم يجب على السؤال. وقد قال بعد خروجه من السجن بأنه كان يمكن أن يعطي الحكومة أدلة على صدق عبارة التلمود التي استشهد بها في كتابه «تانيا»[3].

---

(١) Ibid, p. 9.
(٢) Schneur Zalman, Tanya, pp. 10 - 11.
(٣) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, p. 179.

ومع غض النظر عمّا يحتويه هذا الرأي من تفريق في خلق البشر والطبيعة الإنسانية، فإنه لا يتفق وفكرة وحدة الوجود التي يقول بها شنيور زلمان، حيث يرى بأن الخالق موجود في كل مخلوق كما رأينا.

وقد أصبحت هذه الفكرة مثار احتجاج لبعض أتباع اللوبافتش، وكان أحد هؤلاء المحتجين والرافضين حاخاماً من المجموعة نفسها، وقد عبَّر عن احتجاجه في رسالة بعث بها إلى الصحيفة اليهودية اللندنية (جويش كرونكل ٢٢/١١/١٩٩١ م)، وقد ذكر في رسالته أن ما يقوله شنيور زلمان إنما هو تفرقة عنصرية صرفة، وإلغاء لكل الأعمال الخيِّرة التي يقوم بها غير اليهود. وكان قد طلب هذا الحاخام تفسيراً أو تبريراً من علماء اللوبافتش، ولكنه لم يجد ما يقنعه كما قال، ولذلك قرر ترك هذه المجموعة والاحتجاج عليها.

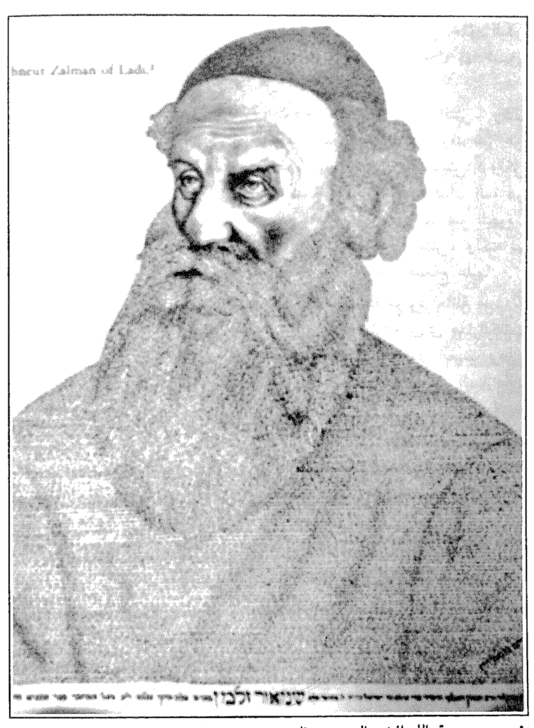
وقد اعتبر الكاتب اليهودي «لني بيرنر» ـ وهو نفسه مولود لعائلة حسيدية في نيويورك ـ كتاب «تانيا» ممثلاً للعنصرية الدينية المطلقة، ويرى هذا الكاتب بأن ما كتبه شنيور زلمان هو الذي يجعل اللوبافتش يكرهون العرب وعلى علاقة سيئة مع جيرانهم الأمريكان السود[١]، وتحدث الكثير من المنازعات والمشاجرات بين اللوبافتش والأمريكان السود في الأحياء التي يسكنها اللوبافتش.

ولكتاب «تانيا» أهمية عظيمة عند الحسيديم اللوبافتش لا تقل عن أهمية التوراة، ويتبين هذا مما قاله الزعيم الروحي السابق لهذه الجماعة يوسف إسحق شنيرسون عن هذه الأهمية: «إن كتاب «تانيا» هو التوراة المكتوبة لتعاليم حسيدي «حبد»، إذ ليس فقط أن كل جملة منه كتبت بشكل مركّز وبدقة، بل إن كل حرف اختير بعناية، وإن هذا العمل دقيق بكل تفصيلاته، فكل كلمة هي ذات معنى بل وكل حرف كذلك. وإن كتاب «تانيا» لدى زعماء «حبد» والزعماء الأوائل للحسيديم كان له قدسية تأتي مباشرة بعد قدسية التوراة»[٢]. والحسيديم اللوبافتش اليوم يقرأون كل يوم جزءاً من هذا الكتاب كما يقرأون من التوراة، بل إن البعض منهم يحفظه عن ظهر قلب ويحمله معه أينما حلَّ ورحل.

---

(١) L. Brenner, The Jews in America Today, p. 289.

(٢) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, p. 149.




مؤسس مجموعة اللوبافتش الحسيديم الصديق شنيور زلمان. والصورة مرسومة بكلمات عبرية من كتابه «تانيا».

وليس هناك زعيم روحي أثّر على جماعته كما أثر شنيور زلمان على أتباعه، ويحتفل اللوبافتش اليوم بذكرى وفاته، ويحتفلون كذلك في اليوم التاسع عشر من الشهر العبري «كسلو» وهو اليوم الذي أفرج عنه من السجن.

وقد خلفه ابنه ثم أحفاده على زعامة هذه المجموعة. والزعيم الحالي لها هو «مناحم مندل شنيرسون» الذي توفي حديثاً، وهو السابع في هذه العائلة، وهو حفيد المؤسس، وكان هذا الزعيم قد ولد عام ١٩٠٢ م في روسيا، ودرس على يد أبيه، ثم درس الهندسة في جامعة لينيغراد وبرلين والسوربون. وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤١ ليعاون أبا زوجته جوزف إسحق شنيرسون الزعيم الروحي السابق لهذه الجماعة. وبعد وفاته عام ١٩٥٠ خلفه على زعامة هذه الجماعة، وقد اتخذ مقره في مدينة بروكلن في نيويورك. ولهذا الزعيم الروحي تأثير كبير ليس على مجموعته حسب ولكن على كثير من اليهود. بل وغير اليهود، حتى إن جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق جعل عيد ميلاده الثامن والسبعين «يوم التربية» في بلاده، وجعل رونالد ريغن الرئيس الأسبق عيد ميلاده الثمانين اليوم الوطني للتأمل.

وقد جعل زعيم اللوبافتش مجموعته أكثر حداثة ومعاصرة وذلك بالاستفادة من التقنية الحديثة المتقدّمة. وقال بأن تطبيق الشريعة اليهودية في هذا العصر أصبح أكثر سهولة وأقل شدة وتكلفاً، وذلك بسبب التقدم العلمي والتقنية الحديثة. فمثلاً الإسراع في الإنتاج وزيادته يسهّل توقف اليهودي في يوم السبت وفي المناسبات الدينية الأخرى[1].

وعلى الرغم من محاولته الاستفادة من التقدم العلمي فإنه لم يحد عن أرثوذكسيته فيما يرى ويعتقد بالنسبة إلى التوراة والشريعة اليهودية، فهو يرى بأن التوراة كلها إلهية وموحى بها دون استثناء، وليس هناك أي تناقض بين العلم الحديث والتوراة، ويقول في ذلك: «إن الذي يقول بأن هناك تناقضاً بينهما إنما يقول سخفاً من القول وهراء. فالعلم الحقيقي يتفق مع العقيدة، وإن التوراة حق والعلم حق كذلك، لذلك لا يكون هناك تناقض بين الإثنين،

---

(١) G.S. Rosenthal, the Many Faces of Judaism, pp. 149 - 50.

بل إن المكتشفات في السنين القليلة الماضية تؤكد على ما جاء في التوراة من أفكار».

وهو يرى بأن عمر الأرض لا يزيد على سبعة وخمسين قرناً، وهذا العمر طبقاً لتأريخ التوراة، وما وجد من متحجرات من قبل علماء الإنسان وعلماء طبقات الأرض ليس أشياء تعود إلى ما قبل هذه الفترة، وإنما هي أشياء وضعها الله على الأرض عند خلقه لها في الفترة المذكورة».

وبالنسبة إلى المرأة يرى بأن النساء يغلب عليهن العاطفة لا العقلانية، وواجباتهن تختلف عن واجبات الرجال، ولذلك يجب عليهن التركيز على الواجبات والفرائض الدينية الخاصة بهن، مثل إشعال الشموع، واستعمال الحمام الشرعي (المقواه)، وتربية الأولاد، وغير ذلك[١].

وكان الصديق مناحم مندل شنيرسون يؤمن إيماناً عميقاً بالتفلين وتأثيرها على الإنسان، فهو يرى بأن التفلين شيء يوحِّد العقل والقلب والفكر والعاطفة. وهناك قصص تروى عن اعتقاده العميق بالتفلين، فمما يروى في ذلك أن أحد الحسيديم من أتباعه في إسرائيل قد أصيب بنوبة قلبية، وقد أُخبر زعيم اللوبافتش بذلك، فاقترح على المريض أن يسأل خبيراً بالتفلين ليفحصها ويتأكد من سلامتها وشرعيتها، ليرى فيما إذا كانت الكتابة فيها صحيحة ومتفقة مع المواصفات الشرعية. وتذكر القصة بأنه عند الفحص وجد أن هناك ثقباً في كلمة «قلب» في عبارة «اعبد الله من كل قلبك». وتقول القصة بأنه بمجرد أن أصلح الثقب في التفلين عوفي الرجل وشفي من مرضه[٢].

وقد زاره قبل حرب عام ١٩٦٧ م رئيس دولة اسرائيل الأسبق «زلمان شازار» فقال له زعيم اللوبافتش: أنتم بالتأكيد ستنتصرون، ولكن يجب أن تتأكد بأن الجنود يضعون التفلين عندما تبدأ الحرب. وقال: إن الشعوب عندما ترى اليهود مع التفلين فإنها تصاب بالخوف والهلع. وهو يستشهد على ذلك بعبارة سفر التثنية ٢٨/ ١٠ «فترى جميع شعوب الأرض أن اسم الرب وضع

(١) Ibid, pp. 148 - 49.
(٢) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 126.

عليك فتخافك»[1]. ومن القصص التي يذكرها جماعة اللوبافتش حول تأثير التفلين أن معركة كانت قد نشبت على الحدود الإسرائيلية الأردنية قرب مستوطنة «حبد» (التي أنشأها اللوبافتش) بين العرب واليهود، فكان أعضاء اللوبافتش يذهبون إلى الجنود الإسرائيليين ويطلبون منهم وضع التفلين، وكان من هؤلاء الجنود ثلاثة: رفض أحدهم وضع التفلين، والثاني ناقش في فائدتها، والثالث وضعها عن رغبة. فكانت النتيجة أن الأول قتل، والثاني جرح، أما الثالث فإنه لم يصب بأذىً[2].

ويقوم الحسيديم اللوبافتش بحملات دورية يحثون فيها اليهود على وضع التفلين والالتزام بها ويحثهم زعيمهم على ذلك، ويطلب منهم المشاركة في هذه الحملات والتبرع لها. وهم يستعملون وسائل وطرق مختلفة في حث اليهود على وضع التفلين، وهم يرفعون في الشوارع لافتات مكتوب عليها «هل أنت يهودي؟ هل وضعت التفلين»؟ وكذلك يضعون لواصق على السيارات الخاصة مكتوب عليها: «قم بواجبك والبس التفلين». وتُشارك النساء في هذه الحملات لجمع التبرعات لشراء التفلين وتوزيعها مجاناً، وهم يقومون بهذه الحملات بين اليهود فقط[3].

ويؤمن زعيم اللوبافتش بحرية الإرادة، وهذا يتفق مع أفكار مؤسس هذه المجموعة. فقد ذكر رئيس حاخامي بريطانيا الحالي الدكتور جونثان ساكس أنه كان يتحدث إلى الصديق شنيرسون، وأثناء حديثه بدأ إحدى الجمل بقوله: في حالة عندما أجد نفسي. . .» ولم يدعه صديق اللوبافتش يكمل الجملة، وقال له: ليس هناك شخص يجد نفسه في حالة ما أبداً، بل إن الشخص هو الذي يضع نفسه في تلك الحالة. وإذا كان الإنسان قادراً على وضع نفسه في هذه الحالة، فإنه كذلك قادر على أن يضع نفسه في حالة أخرى، وحينئذٍ لا يكون له عذر لتبرير حالة معينة[4].

---

(١) Ibid, pp. 376 - 377.
(٢) Ibid, p. 378.
(٣) S. Sharot, Hasidim in Modern Society, in G.D. Hundert, Essential Papers on Hasidism, pp. 526 - 7.
(٤) J. Sacks, Tradition in an Untraditional Age, p. 211.

وكان الصديق شنيرسون قد أصيب بنوبة قلبية قبل بضع عشرة سنة، وحينها رفض أن يدخل المستشفى وبقي في بيته، إذ اعتقد بأن جو المستشفى يزيد من تعقيد مرضه. وبعد مرور ثمانية وثلاثين يوماً على مرضه شفي وبلّ من مرضه. وكان ذلك في اليوم الأول من الشهر العبري «كسلو». ومنذئذ أصبح هذا اليوم يوم شكر عند اللوبافتش ويوم فرح وسرور يحتفلون به ويقدّسونه كل سنة.

وقد أصيب في عام ١٩٩٢ م بجلطة في الدماغ سببت له شللاً نصفياً، وأفقدته القدرة على الكلام وعلى الحركة، حيث بقي منذ ذلك الحين على كرسي متحرك، وقد أثر هذا المرض على نشاطه كثيراً، وقبل مرضه كان يزوره العشرات يومياً من أتباعه وغيرهم ويعطي لكل من يزوره دولاراً أمريكياً للبركة. وقد أصيب في هذه السنة (١٩٩٤ م) بجلطة دماغية أخرى بقي على أثرها فاقد الوعي لفترة أسابيع حتى وفاته يوم ١٢/٦/١٩٩٤م كما ذكرنا.

ويتميز اللوبافتش عن غيرهم من اليهود الحسيديم بل عن بقية اليهود عامة أنهم دعاة مبادرون، يذهبون إلى اليهود الآخرين ويبادرونهم ويدعونهم كي يصبحوا يهوداً أرثوذكس مثلهم. وقد أصبح هذا السلوك ظاهرة تميَّز بها اليهود اللوبافتش وعرفوا بها دون غيرهم من اليهود، وربما كان أساس هذا السلوك هو فكرة النفس الإلهية في اليهودي التي جاء بها مؤسس هذه الجماعة الحاخام شنيور زلمان. فهم يرون أن اليهودي قابل لأن يرجع إلى اليهودية الأرثوذكسية، وهذا يحتاج إلى إيقاظ هذه النفس الإلهية فيه. وهم يقولون إن اليهودي طيب بطبيعته وخلقته، وهو مدفوع للعمل الطيب، وإنه لأسباب، يقوم أحياناً باقتراف ذنب، أو يقوم بعمل شرير يكون غير مسؤول عنه أصلاً أو مسؤول عنه جزئياً، ومع هذا فهو يظل طيباً. ولذلك ـ يقول اللوبافتش ـ يكون لزاماً على اليهود الملتزمين مبادرة هؤلاء ودعوتهم إلى الالتزام بالشريعة اليهودية وتطبيقها[1].

وأرسل صديق اللوبافتش الدعاة إلى أماكن كثيرة من العالم من أجل هذا الغرض، وفي الولايات المتحدة الأمريكية خاصة يكون نشاطهم بيناً ظاهراً،

(١) Challenge, p. 192.



الصديق مناحم مندل شنيرسون.

حيث لهم مراكز ثقافية متنقلة، منتشرة في الشوارع والمطارات والجامعات وغيرها من الأماكن العامة، وكل مركز عبارة عن سيارة كبيرة فيها كتب ومنشورات يتحدث المسؤولون عنها مع كل من يمر أمامهم ممَّن يتسم بسمات اليهودي، ويقنعونه بالدخول معهم إلى السيارة، ويعطونه دروساً مكثفة عن أفكارهم، ويحثونه على لبس «الكبّاه»[1] ووضع «التفلين» وهم يحتفظون بأعداد كبيرة من هذه يعطونها مجاناً لكل من يريد.

وقد جعل زعيمهم شعار هذا النشاط الدعوي كلمة «وفرصت»[2] وهي كلمة عبرية وردت في سفر التكوين ٢٨/١٤/ وتعني «وتنتشر». وقد جاءت ضمن العبارة التالية: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق، إن الأرض التي أنت نائم عليها لك أعطيتها ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتنتشر (وفرصت) غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك بك وبنسلك قبائل الأرض». ويصدر اللوبافتش مجلة اسمها «وفرصت».

وللوبافتش مدارس كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بريطانيا وإسرائيل وغيرها من بلدان العالم، ومدارسهم أكثر مرونة من بقية الحسيديم، ولا تستعمل اليديش فقط كلغة للتدريس. ففي بروكلن مثلاً لهم مجموعة مدارس بعضها تكون لغة التدريس فيها اليديش، وأكثر موادها تركز على القضايا اليهودية، وبعضها يدرِّس باليديش والإنجليزية معاً. وفي كندا هناك بعض المدارس لهم لا تكون الأغلبية فيها من الطلاب من اليهود اللوبافتش، وتكون العبرية لغة التدريس فيها إضافة إلى اللغة الإنجليزية. وهم يستخدمون أحياناً مدرِّسين غير يهود لتدريس المواد غير الدينية، ولكن هؤلاء يكونون تحت مراقبة شديدة من المسؤولين اللوبافتش. وفي مدارس البنات تكون المواد الدراسية غير الدينية أكثر منها في مدارس الذكور. وهم بصورة عامة لا يدرِّسون مادة علم الأحياء، ولا يشيرون إلى نظرية النشوء والارتقاء في مناهجهم بتاتاً.

وللوبافتش معاهد دينية، منها معهد يدخله مَنْ عمره ستة عشر عاماً

---

(١) الكبّاه هي قلنسوة يضعها اليهودي الارثوذكسي على رأسه دائماً وليس في الصلاة فقط.

(٢) Challenge, pp. 53 - 4.

وليس عنده خلفية في الموضوعات اليهودية، وهناك معاهد دينية أخرى تخرِّج حاخامين حيث يدخلها الطالب في عمر الرابعة عشرة. ولا يُشَجَّع الطلاب بصورة عامة على الدراسة خارج معاهد اللوبافتش ومدارسهم. وهناك حالات خاصة واستثنائية تكون الموافقة عليها من الزعيم الروحي نفسه(١).

وللوبافتش كذلك مراكز ثقافية أخرى غير المدارس منتشرة في أنحاء العالم، ومنها في المغرب في مدينة مراكش، ومكناس، وكازبلانكا، حيث يقوم اللوبافتش في هذا البلد بنشاط دَعَوي بين اليهود المغاربة. ويطبع اللوبافتش كتبهم وأدبياتهم بصورة عامة في دار نشر خاصة بهم اسمها «كوهت». وقد صدر لهم ملايين النسخ من المنشورات والكتيبات، ومن ضمن هذه المطبوعات خُطَبُ زعيمهم مناحم مندل شنيرسون وآرائه التي تترجم إلى عدة لغات. وللوبافتش مجلس خاص بحاخاميهم ولهم علماؤهم المختصون بالعقائد الحسيدية وأفكارها، ولهم كذلك، مجلس عالمي للنساء(٢).

وفي كل سنة في عيد الفصح يذهب بعض أفراد هذه المجموعة إلى الأحياء اليهودية مع رُزَم من الخبز الخاص بهذا العيد ويوزعونها على البيوت بيتاً بيتاً، ويكتبون على كل رزمة منها تحيات زعيمهم الروحي. وهم كذلك ينظمون زيارات إلى سكن الطلاب ويتحدثون معهم عن مشاكلهم الاجتماعية(٣).

واللوبافتش مرتبطون بزعيمهم الروحي أكثر من غيرهم من الحسيديم، ويعتبرون ما يميز الشخص من اللوبافتش هو إخلاصه لزعيمه وطاعته لتعلمياته وأوامره. ولتعلق أعضاء هذه المجموعة بزعيمها فإنها كثيراً ما تعلِّق صوره. وهم يشيرون إليه كثيراً في أحاديثهم اليومية، يتحدثون عن قدرته الروحية، وكفاءته، وحكمته، ورجاحة عقله، وأعماله الخارقة التي قام بها وغير ذلك.

---

(١) S. Sharot, Hasidism in Modern Society, in G.D. Hundret (ed.) Essential Papers on Hasidism, pp. 522 - 23.

(٢) G.S. Rosenthal, Contemporary Judaism, p. 50.

(٣) L. Jacobs, the Lubavitch Movement in Encyclopaedia Judaica Year Book (1975 - 6), p. 162.

وإذا ولد لأحدهم ولداً فإنه لا بدَّ وأن يتصل بمقر الزعيم ويخبره عن ذلك، ويُعلِّم الأطفال منذ الصغر الإخلاص للزعيم والطاعة المطلقة له.

وعندما كان الصديق مناحم مندل شنيرسون يخطب في مناسبة من المناسبات يحضر الآلاف من أتباعه خطبته التي يلقيها باليديش، والتي تستمر لعدة ساعات حيث تنقل بالأقمار الصناعية إلى أتباعه حول العالم، وإذا صادفت خطبته في يوم عطلة دينية ـ حيث لا يجوز استعمال آلة التسجيل فيها طبقاً لمعتقدهم ـ فإنهم يطلبون من شخص ذي ذاكرة حادة وقوية يتذكر الخطاب كلمة كلمة، ثم يعيده على أعضاء المجموعة. وعندما ينتمي الشخص إلى مجموعتهم فإنهم يؤكدون عليه على إخلاصه للزعيم، ويطلبون منه أن يرسل رسالة له يطلب فيها أن يحضر عنده ويستمع إلى نصائحه، ويعطيه بركته[١].

(١) S. Sharot, Hasidism in Modern Society, in G.D. Hundert Essential papers on Hasidism, p. 524.

# الأغاني والموسيقى والرقص عند اللوبافتش

يرى الحسيديم اللوبافتش - وهم في هذا مثل بقية الحسيديم الآخرين - بأن للأغاني والرقص أهمية دينية وقيمة تهذيبية وأخلاقية، ويقولون بأن الاهتمام بهما إنما هو شيء موجود في اليهودية - كما ذكرت ذلك في موضوع «السعادة» - وهم كذلك يستشهدون بكتاب «الزهر» حيث جاء فيه: «إن في السموات العلا معبداً خاصاً لا تُفتح أبوابه إلا بقوة الأغاني... وإن كل الخلائق تُغنِّي أغاني جميلة رائعة تمجيداً للخالق ومدحاً له... وكان الأنبياء عدا موسى يتوسلون بالألحان من أجل إثارة روح استقبال الوحي الإلهي في أنفسهم».

ومن أقوال مؤسس هذه المجموعة شنيور زلمان في الألحان والأغاني قوله: «اللسان قلم القلب، واللحن قلم الروح». وهو يقول كذلك: «إن ضربات القلب الرتيبة ما هي إلا انعكاس للحركات العبادية المُمَوْسقة التي يؤديها الملائكة في حركتهم الدائمة نحو خالقهم إلى الأمام وإلى الخلف، والتي كان حزقيال النبي قد وصفها في رؤياه». وقد أرجع الألحان الدينية التي تُغنَّى إلى تلك التي كانت تؤدَّى في الهيكل حيث يصاحبها اللاويون بالصوت والآلة. ويقول بأن هذه تشابه تلك الموسيقى التي يعزفها الملائكة تمجيداً لخالقهم وتعظيماً له. وقد جعل شنيور زلمان الألحان جزءاً من نظرته العامة للكون وللخالق، حيث يرى بأن الألحان مؤهِّل طبيعي للاتحاد مع الخالق، لأنها متفوقة على وسائل الألحان الأخرى، وهو يفلسف ذلك على النحو التالي: إن الأفكار وسيلة للعقل، إذ يعبر عن العقل بالأفكار، والكلمات وسيلة للأفكار والعواطف، لأن الكلمات هي التي تعبر عن الأفكار والعواطف

والمشاعر، بينما الألحان هي وسيلة للقوى المتسامية للرغبة والإرادة، وهما أدقُّ من قوة العقل وقوة العاطفة.

وعلى الرغم من أن القوة العاطفية والقوة العقلية هما القوتان اللتان في أعماق النفس، فإن درجة الرغبة والإرادة تمس الجوهر الحقيقي للنفس الإنسانية. وللألحان حروف ولكن هذه الحروف هي أكثر دقة وشفافية، والفرق بين حروف الكلام وحروف الألحان أن الأولى تحمل الهبوط معها بينما الثانية تحمل الصعود. ومهمة حروف الكلام هي الكشف عن الأفكار الدقيقة ونقلها إلى الآخرين حيث يتحول خلال هذه العملية المجرد إلى مادي. أما بالنسبة إلى حروف اللحن فهي على العكس لأن مهمتها أن تعلو بالنفس وتسمو بها، إذ تحت تأثير اللحن ينزع الإنسان قشره الخارجي، ويستغرق مع نفسه، ويذوب فيها حيث تصبح نفساً نقية شفافة... ولذلك يصبح اللحن عبادة ووسيلة للتطور الروحي لأنه قادر على إثارة أكثر القوى استتاراً في النفس وكمونا في أعماقها. وأكثر أغاني اللوبافتش ليس فيها كلمات وإنما هي ألحان وصوت وإيقاع وضربات ورتابة. إذ المهم في رأيهم إيقاظ الشرارة الإلهية في الإنسان وإثارتها عن هذا الطريق[١].

واللوبافتش يعتقدون بأن الكلمات تحدِّد اللحن وتقيِّده، بينما يبقى اللحن بغير الكلمات طوافاً حرّاً متدفقاً. والكلمات كذلك تؤثر عليه حيث تنقله من الروحي إلى المادي ومن المطلق إلى المقيد.

وهم يعتقدون كذلك بأن الحسيدي عندما يُغنِّي فإنه يرتفع بنفسه فوق العالم المادي، ويتسامى نحو العالم الروحي، ليتحد هناك بالروح العليا ويفنى فيها، من أجل أن يزول اليأس والحزن من عنده، ومن أجل أن ينتصر الخير على الشر. وأثناء الموسيقى والغناء يدخل الإنسان عالماً قدسياً هو عالم الطهارة والتوراة[٢].

وقد ذكرنا سابقاً أن مؤسس هذه المجموعة كان نفسه مغنياً حاذقاً، وأنه كان يؤثِّر بالأغاني والموسيقى على مستمعيه. وكان ابنه يقول: «إن أبي كان

---

(١) N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, pp. 244 ff.

(٢) Challenge, pp. 188-9. and N. Mindel, Rabbi Schneur Zalman, pp.244 ff.

ينفذ إلى عمق أعماق نفس الحسيد إما بالكلمة الحسيدية أو بالأغنية». وكان شنيور زلمان قد ألف مجموعة من الألحان أشهرها عشرة. ولهذه الألحان قدسية عند اللوبافتش ولها شأن كبير لديهم. ومن أشهر هذه الألحان العشرة لديهم وأكثرها قدسية عندهم وأقربها إلى قلوبهم لحن يسمى بـ «لحن الحركات الأربع»، حيث يعتبرونه لحناً تعبيرياً ممتلئاً بالحيوية والرمزية، وبسبب قدسيته فإنهم لا يغنونه إلا في المناسبات الخاصة، وهم يقولون عن هذه الحركات الأربع أنها تقابل العوالم الأربعة، «الأصيلوت»، «البريئاه»، «اليصيراه»، «العسياه» وهي أيضاً تقابل الحروف الأربعة للإسم «يهوه»[١]. وأعطوا كذلك معاني أخرى لهذه الألحان التي ألفها مؤسس جماعتهم، وهي معان تذهب عميقاً في التفسير والتأويل، لا أرى فائدة كبيرة من ذكرها أو الحديث عنها في بحثنا هذا.

ولأهمية الألحان عند اللوبافتش وموقعها لديهم فقد أسس الصديق مناحم مندل شنيرسون جمعية خاصة بها مهمتها جمع الألحان من مصادر مختلفة، والتحقق من هذه المصادر والتأكد من أصالتها. وتوضع هذه الألحان على شكل «نوتات»، وتحفظ في سجلات مع تسجيلات صوتية لها، وقد تم إلى الآن جمع مجلدين كبيرين منها[٢].

أما بالنسبة إلى الرقص فإن اللوبافتش يفلسفون أهمية الرقص على الشكل التالي فيقولون: إن الرقص هو أفضل تعبير عن الشعور العميق والداخلي للسعادة الدينية، ولما كان العقل خلواً من العواطف، ولا يمكن أن يكون الوسيلة الخاصة والوحيدة للإتحاد بالله، لأنه محدود جداً؛ فإن الحماس الديني والسعادة والوجد تجعل حدود العقل أكثر سمواً وتفوقاً، ولذلك فإنها الوسائل التي تكون أكثر إرضاء للتعبير الديني. وفي فلسفتهم فإن العقل والعاطفة يختلطان في نظام موحد، حيث يكون العقل هو المسيطر على العاطفة. ومما يستشهدون به ما جاء في كتاب «تانيا» لمؤسس مجموعتهم، حيث يقول المؤلف: إن العقل بخلقته وطبيعته هو أقوى من العاطفة، ولذلك فإنه بالجهد الواعي للإنسان يمكن لهذا العقل أن يسيطر على العواطف. وإن

(١) Challenge, p. 189.
(٢) Challenge, p. 189.

العواطف لا يجوز أن تكتم، ولكن يجب أن تستخدم بسيطرة وتحفظ، ولكن التركيز بصورة عامة يجب أن يكون على الباطن.

وهم يرون بأن كل شيء مادي هناك ما يقابله في عالم الروح، ففي الرقص فإن الجسم كله يتحرك من الرأس إلى القدم، وهو منغمر في سعادة، ولكن الرِّجْلين هما اللتان تلعبان الدور المهم. فمفهوم الرأس والقدمين لا يوجد في العالم المادي حسب، بل يوجد كذلك في عالم الروح. ففي العالم المادي فإن الرأس هو القمة في الوضع وفي المؤهلات، بينما القدمان هما الأدنى في الجسم والأوطأ. ومع ذلك فهناك تفوُّق من القدمين على الرأس، إذ أن القدمين تمثلان القاعدة، وهما تحملان الجسم من مكان إلى آخر. والعقل وإن كان هو الذي يقرر، ولكن الذي يحمل هو القدمان، فمن دون قوة الأدنى التي تتمثل بالقدمين فإن كل الجسم وبضمنه الرأس يمكن أن يتحطم ويصيبه ضرر شديد. وفي عالم الروح فإن الروح تملك رأساً وقدمين، فالرأس يتمثل بالقوة المفكرة بينما يتمثل القدمان بالعقيدة البسيطة. وهذه هي الأساس للحياة الروحية لليهود.

وعلى هذا الأساس فالرقص الحسيدي يمثل الأهلية العظيمة للعقيدة البسيطة مثل قدمي الجسم اللتين يرفعان الجسم وبضمنه الرأس. والرأس والقدمان ينطبقان على المجتمع اليهودي بصورة عامة. فعلماء التوراة والحاخامون هم الرأس للناس، وبقية الناس يمثلون القدمين. ومن الطبيعي أنه لا يمكن أن يفصل الرأس عن الجسم والجسم عن الرأس، ولذلك فإنه لا بدَّ وأن يكون هناك تناغم وتفاهم ووحدة كاملة بين هذه الأعضاء وهم اليهود في هذه الحالة.

والرقص الحسيدي يمثل هذه الوحدة، إذ أن الحسيديم يشاركون كلهم في الرقص، وهم متصلون بعضهم بالبعض الآخر سواء منهم من يمثل الرأس أو من يمثل القدمين.

وللرقص عند اللوبافتش نوعان: هما الرقص الدائري والرقص القفزي. والرقص الدائري هو الذي يكون في حلقة مغلقة، وتكون اليدان أو إحداهما للراقص على كتف الشخص الذي أمامه. وليس لهذا النوع عدد محدَّد

للمشتركين فيه. والرقص الدائري عند الحسيديم يرمز إلى وحدة الإله لأن هذه الوحدة يرمز لها بدائرة، والدائرة ليس لها بداية أو نهاية، أما الرقص القفزي فغالباً ما يكون في الأماكن المزدحمة عندما لا يكون هناك مكان كافٍ للرقص الدائري. وهذا الرقص قد يؤدِّيه واحد لوحده أو مع شخص آخر. وليس هناك نظام يحكم هذا النوع من الرقص أو حركاته، ولكن عندما يؤدِّيه إثنان تكون الحركة إلى الأمام وإلى الخلف بالتتابع، وتكون بفتح الذراع وبضمه. والحركة إلى الأمام وإلى الخلف تمثل عند اللوبافتش وجهاً من وجوه العبادة[١].

(١) Challenge, pp. 195 ff.

# اللوبافتش وإسرائيل

كان مؤسس هذه المجموعة يشجع على هجرة الحسيديم إلى فلسطين، وكان هو نفسه يجمع الأموال للجماعات التي هاجرت، وكان قد عيَّن ممثلاً له في كل هذه الجماعات لغرض جمع الأموال. وأنشأ كذلك منظمة تُعنىٰ بهذا الشأن اسمها «كلل حبد» ما زالت إلى اليوم نشيطة في فلسطين.

وبعد ظهور الحركة الصهيونية كان زعماء هذه المجموعة من المعارضين لها ولأهدافها، وأعلنوا بأن اليهود لا بدَّ وأن يبقوا في حالة الشتات حتى ظهور المسيح المخلِّص الذي - في رأيهم - ينشىء الدولة اليهودية الشرعية. وقد قال زعيمهم شالوم دوف بائر شنيرسون (ت ١٩٢٠): «حتى لو اتبع الصهاينة أوامر الإله بشكل دقيق فإن اليهودي المؤمن لا يجوز له أن ينضم إليهم ليبحث عن الخلاص بواسطة الجهود البشرية». وكان هذا الزعيم الروحي قد تنبأ بأن مشاريع الحركة الصهيونية سوف لا تنجح. وقال عن ذلك: «إن الأفكار الصهيونية فيها كل السموم التي تهلك الروح الإنسانية وتحطِّمها. وإن كل قوتهم (الصهاينة) سوف لا تحقق شيئاً، وإنهم سوف لا ينجحون تجاه إرادة الله. . . . وإن وعد الله سوف يبقى قائماً ونافذاً، وهو وحده الذي سيجمعنا من أطراف الأرض الأربعة[1].

وقال كذلك: «إننا يجب أن لا نسمع لهم (الصهاينة) حول هذه القضية لتحقيق خلاصنا بواسطة قوتنا، ولا يجوز لنا أن نعجِّل الخلاص بسبب ذلك، ولا يجوز كذلك أن نستعمل الأسباب المادية والسياسية لترك الشتات والذهاب

(١) P.Y. Medding (ed.), Israel: State and Society, 1948 - 1988.

(إلى فلسطين). إذ أن هذه الطريقة تعارض وصايا التوراة، وكذلك تعارض العقيدة اليهودية وأمل اليهود، الذين يأملون الخلاص وينتظرون المخلِّص الإلهي»[١].

أما ابنه وخليفته يوسف إسحق شنيرسون (ت ١٩٥٠ م) فقد أكد على وجوب الانفصال من الجماعة الصهيونية التي تناضل من أجل الهجرة إلى فلسطين، لأنها (الهجرة) مخالفة لأحكام التوراة ومخالفة كذلك لنهي الإلّه[٢]. وقد انتقد زعيمَ جماعة «غر» الحسيديم وقال عنه: «إنه على الرغم من أنه فصل نفسه عن الصهاينة وتوقف عن التعاون المباشر معهم، إلا أنه مهتم ومعني بالتطور المادي لدولة إسرائيل لاستغلال الأرض في بناء المصانع والمؤسسات الأخرى». وقال: «إن علماء التوراة السابقين رفضوا تدنيس الأرض بأي نوع من أنواع الأعمال المادية»[٣].

أما آخر زعيم لهم فإنه تبنى هذا الرأي نظرياً وعبّر عنه بين الحين والآخر، وقد قال: «إن اليهود ما زالوا في شتات ونفي، وإن إسرائيل ليست ممثلة لبداية الخلاص الإلهي لليهود» ومن رأيه أن جمع الشتات لا يكون إلا عند ظهور المسيح المخلِّص، وإن الشتات الحالي يجب أن يبقى كما هو إلى أن تحين ساعة الخلاص الحقيقي، وإن هذا سيتحقق عند تطبيق فرائض التوراة وأحكامها.

ومن أقواله في هذا الخصوص: «إن العصر الذي نعيش فيه ليس بداية الخلاص، وإن هجرة مجموعة كبيرة من يهود الشتات إلى الأرض المقدسة لا يعني ظهور الخلاص الحقيقي، وإن الذين يعتقدون بأن هذا العصر الذي يعيشون فيه هو عصر الخلاص فإنهم لا يؤدُّون واجباتهم الدينية من أجل الخروج من النفي وتحقيق ظهور الخلاص الحقيقي، بل إن هؤلاء يطيلون وقت النفي، نفي الأفراد ونفي الجماعات بل ونفي اليهود كلهم ونفي الشكيناه»[٤]. وقال كذلك: إن هذه الدولة (دولة إسرائيل) هي دولة في حالة

---

(١) Ibid, p. 93.
(٢) Ibid, p. 113.
(٣) Ibid, p. 113.
(٤) P.Y. Medding, (ed.), Israel: State and Society, 1948 - 1988, p. 90.

نفي وليست دولة شرعية أصيلة، ولذلك فإن الهجرة لها تكون هجرة إلى دولة النفي، وهي كأي هجرة إلى مكان آخر يعيش فيه اليهود في الشتات.

ولكنه في نفس الوقت يرى بأن إنشاء الدولة إنما كان مبادرة من الإله والتفاتة منه نحو اليهود من أجل خلاصهم، وهو يرى كذلك بأن اليهود قد ضيَّعوا الفرصة التي هُيئت لهم وفرَّطوا فيها، وقال عن ذلك: «إن الله هو مصدر الخير ومصدر الرحمة، وهو الذي يصنع المعجزات ويصنع العجائب، وهو الذي خلق بإرادة لا يعرفها البشر الأسباب التي أدَّت إلى المعجزات، وأنقذ ملايين اليهود في أرض إسرائيل. فخلال هذه السنين كانت الفرصة مواتية، وكانت هناك إرادة من الأعلى... إذ أن الرب ـ تبارك اسمه ـ بعد أن رأى عذاب شعبه اليهود، وأنهم كانوا يذبحون ويقتلون بطريقة رهيبة ومخيفة، أعطاهم الفرصة وهم في الشتات ليديروا شؤونهم طبقاً لرغبتهم، وتكون لهم مؤسساتهم الخاصة بهم. لذلك هاجر عشرات ومئات وآلاف وعشرات الآلاف من اليهود والتجأوا إلى إسرائيل، ولو كان اليهود قد استغلوا هذه الفرصة المواتية وسلكوا سلوكاً صحيحاً لكانت هذه فرصة لهم ليؤكدوا على أنهم شعب يستحق الخلاص. ولكن بدل ذلك تجادل زعماؤهم فيما بينهم حول ذكر الله في بيان الإستقلال[1]، وتجادلوا فيما بينهم فيما إذا كان يجب أن يعتمدوا على موسكو أو واشنطن، لأنهم قرروا أن يكونوا مثل بقية الشعوب في القضايا الداخلية والقانونية. وقد بنَوا وجود المجتمع اليهودي في فلسطين على أسس لا يجمعها جامع مع توراة شعب إسرائيل. وفي حالات كثيرة عارضوا التوراة، ونحن نبدي حزننا العميق من أن اليهود مرة أخرى لم ينجحوا في أن يرتفعوا بأنفسهم لاغتنام الفرصة ويؤكدوا حقاً بأن الخلاص يمكن أن يحدث[2].

---

(١) إشارة إلى الخلاف الذي حصل بين العلمانيين والمتدينين الذين وقعوا على بيان الإستقلال حول ذكر اسم الرب أو عدم ذكره ـ في الفقرة الأخيرة من البيان ـ، ثم كان الاتفاق أن تستعمل «صُور يسرائيل» (صخرة إسرائيل) وهو مصطلح استعمل في التوراة إشارة إلى الرب كسنَدٍ ومعتمد.

(٢) Ibid, p. 102.

وهو يرى بأن اليهود في إسرائيل يعانون من التخلف الروحي والديني، وقد قال في رسالة لابن غوريون: «إن هناك خطراً من نشوء جيل جديد يحمل اسم إسرائيل ولكنه مقطوع تماماً عن تاريخ شعبنا وقيمه الأصيلة الأبدية»[1]. وربما كان هذا هو السبب الذي جعله يتدخل بشكل منتظم في شؤون إسرائيل، وأن يؤثر على أصحاب القرار فيها، فقد كان يدعو الدولة إلى أن تلتزم بالتوراة وأن لا تفصل الدين عن الدولة، ويدعوها كذلك إلى تغيير قوانينها العلمانية. وكان يتدخل في انتخابات رئاسة الحاخامية، ويتدخل في قضية «من هو اليهودي» التي ما زالت مشكلة قائمة في إسرائيل، كما تدخل كذلك في قضية إسرائيليين اتهموا بالإرهاب، بل إنه تدخل في السياسة الخارجية للدولة. وقد ساهمت مجموعة اللوبافتش بخمسة ملايين دولار في حملة الانتخابات الإسرائيلية عام ١٩٩٠ م من أجل فوز حكومة تَعِدُ بتغيير قانون العودة، وتجعله مقتصراً على اليهود الارثوذكس دون غيرهم كما ذكرت صحيفة الجويش كرونكل بتاريخ ١/١١/١٩٩١ م.

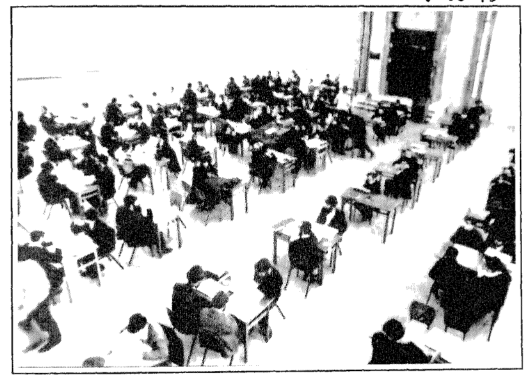
وقد اعتبر تدخله في شؤون إسرائيل ضرورة وواجباً لأنه يريد ـ كما يقول ـ أن يهدي الدولة ويأخذ بيدها ويخلّصها مما يحيق بها من خطر مادي وروحي، ولا بد أن نذكر هنا بأن زعيم اللوبافتش لم يزر إسرائيل ولم يذهب إليها.

وعلى الرغم من أفكار زعيم اللوبافتش عن الصهيونية وعن الدولة اليهودية فإنه وجماعته تعاونوا عملياً مع الدولة على نطاق واسع، وإن منظمتهم لها مؤسسات تربوية واجتماعية واقتصادية في إسرائيل، ولها كذلك مستوطنات، ويبلغ عدد المراكز والمؤسسات التابعة لهؤلاء في إسرائيل أكثر من خمسين مؤسسة ومركزاً.

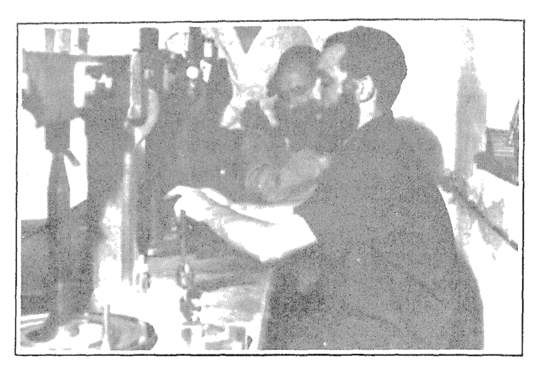
وأشهر مراكزهم في إسرائيل مستوطنة اسمها «كفر حبد» وتبعد خمسة أميال عن تل أبيب، وكان قد أنشأها عام ١٩٤٩ م الزعيم الروحي السابق يوسف إسحق شنيرسون، وكان الغرض الأساسي من إنشائها إسكان مجموعة

(١) G.S. Rosenthal, Contemprary Jindaism. p.69.

من اليهود الروس فيها. وتضم هذه المستوطنة عدة مؤسسات تربوية واقتصادية: منها مدرسة ابتدائية تدرِّس إلى جانب المناهج الاعتيادية مناهج دينية؛ ومنها يشيفاه (مدرسة دينية) لمن أعمارهم بين ١٧ و٢٥ سنة، ومن مناهج هذه اليشيفاه دروسٌ عن فلسفة «حبد»، وفي اليشيفاه أقسام يتخرج منها قصَّابون شرعيون وحاخامون، وفي المستوطنة كذلك «كلل». وللمستوطنة كذلك برامج تدريبية لمهن عدة مثل النجارة والمكننة والسباكة وغيرها. وفيها كذلك مدرسة زراعة. وتضم المستوطنة كذلك مدرسة للبنات. وهناك كذلك معهد للبنات لتخريج معلِّمات. وفيها أيضاً مركز للشباب اسمه «بيت شازار» وقد سمي على اسم رئيس دولة إسرائيل الأسبق «زلمان شازار» والذي أسمي على اسم المؤسس لأن عائلته من أتباع الحسيديم اللوبافتش. وفي المستوطنة كذلك مدرسة للطباعة، وطلاب اليشيفاه مُسْتَثْنون من الخدمة العسكرية كبقية طلاب اليشيفوت الآخرين. ولكنهم في عام ١٩٥٦ م تطوَّعوا في الجيش أثناء حرب السويس. وبعد انتهاء الحرب أنشأ المتطوعون مؤسسة تعنى بأرامل الحرب وأيتامها.



يشيفاه في مستوطنة «حبد».



**مصنع ياقوت في مستوطنة « كفر حبد» التابعة للحسيديم اللوبافتش**

وقد أنشأ اللوبافتش مستوطنة أخرى على مقربة من الأولى يسكنها أكثر من ألفي شخص اليوم من أتباع هذه المجموعة، والغالبية العظمى من هؤلاء هم من المهاجرين الروس. وفي هذه المستوطنة معهد صناعي وكلل، وفيها كذلك مصنع ياقوت. وأنشأ اللوبافتش كذلك مجمعاً سكنياً عام ١٩٦١ م شمال غربي القدس، وفي هذا المجمّع مدرسة كبيرة للأولاد وأخرى للبنات وروضة للأطفال. وفي عام ١٩٦٩ م أنشأوا مستوطنة أخرى بمناسبة الذكرى السابعة والستين لولادة زعيمهم الحالي، وقد خططت هذه المستوطنة لاستيعاب خمسة آلاف مستوطن. وهناك مجموعة منهم قد استقروا في مدينة الخليل وانضم إليهم بعض اللوبافتش من إيطاليا وغيرها[١].

واللوبافتش نشيطون في إسرائيل، يزورون المستشفيات، ويذهبون إلى حائط المبكى لحث اليهود على لبس التفلين، ويلقون المحاضرات، ويعقدون الاجتماعات لنشر أفكارهم.

---

(١) H. Robinowioz, Hasidism and the State of Israel, pp. 217 ff.

وكان زعيمهم قد قال بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ م: «إن من اشترك من اليهود في الحرب له أجر وثواب أكثر من أولئك الذين يدرسون التوراة». وقال كذلك أثناء حرب لبنان: «إن على الإسرائيليين أن ينهوا الحرب التي بدؤوها، وأن لا يتوقفوا لأي سبب من الأسباب. وإنّ توقف الحرب يجب أن يتم بموافقة العسكريين وقائد الجيش»(١). ويرى اللوبافتش كذلك أنه لا يجوز لإسرائيل أن تُرجع شبراً واحداً إلى العرب من الأرض التي احتلتها. وهم يقولون إنّ إرجاع أي جزء يكون مخالفاً مخالفة صريحة للشريعة اليهودية. واللوبافتش اليوم من المعارضين بشدة لاتفاق «غزة ـ أريحا». وهم يحثُّون اليهود على معارضته، ويقومون بنشاطات واسعة في هذا المجال بنشر الإعلانات وطبع المنشورات وتوزيعها في طول إسرائيل وعرضها. وينتقد الكثير من اليهود ـ أرثوذكس وغيرهم ـ سلوك الحسيديم اللوبافتش ونشاطهم. وهم يظهرون هذا النقد ولا يكتمونه، فبعض اليهود يقول: إن اللوبافتش لا يتسامحون مع اليهود غير الأرثوذكس، ويرى هؤلاء كذلك بأن اليهود اللوبافتش متعصبون إذ يعتبرون يهوديتهم هي اليهودية الصحيحة ولذلك فهم يعيشون منفصلين»(٢).

وقد قال أحد حاخامي اليهودية الإصلاحية: «إن اللوبافتش أذكياء جداً. فهم جيدون بالعلاقات العامة، ولكن في نهاية الأمر ليس هناك فرق بينهم وبين اليهود المتشدِّدين جداً. فهم متعصبون مثلهم، ولكن تعصبهم مصحوب بابتسامة. وهم يغرّون كثيراً لأنهم ينشرون أدبيات كثيرة ويظهرون (للناس) بأنهم أصحاب عقول مفتوحة. واللوبافتش يعرضون على الناس عالماً مأموناً ومريحاً، ولكنه في الوقت نفسه هو عالم خطير أيضاً»(٣).

ويرى بعض اليهود الأرثوذكس، أن بعض المشاريع التي يقوم بها اللوبافتش غرضها دعائي بشكل واضح، وأن كثيراً من طاقاتهم تُوجَّه من أجل أن يبقى اسم اللوبافتش عالقاً في أذهان الناس وأمام عيونهم، وأن الاندفاع نحو التوسع وروح التعالي لديهم قادهم إلى التدخل الذي لا داعي له في

---

(١) The Jewish Guardian, Vol, 2. no 8 p. 17.
(٢) S. Brook, The Club, the Jews of Modern Britain, p. 76.
(٣) Ibid, p. 76.

حقول تعمل فيها مؤسسات يهودية أرثوذكسية أخرى من المنطقة نفسها، وأن سلطة حاخاميهم لها تأثير سيء على وحدة الجماعة اليهودية. وعلى الرغم من أن أحاديث زعيمهم الروحي يسمعها الكثير من اليهود، إلا أن تصريحاته حول السياسة الإسرائيلية الداخلية والخارجية ـ وإن كانت أحياناً مقنعة ـ لكنها في أحيان أخرى أثبتت غرابتها وشذوذها»[1].

ومن المآخذ التي يأخذها اليهود الأرثوذكس على اللوبافتش هو اعتقاد الكثير منهم بأن زعيمهم هو المسيح المخلِّص الذي سيعلن عن نفسه في الوقت المناسب، وأكثر الحاخامين الأرثوذكس نقداً لليهود اللوبافتش هو الحاخام المشهور «شاخ» الذي ينتقدهم وينتقد زعيمهم كذلك على سلوكهم وما يقومون به، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق.

ومن النقد الذي يُوجَّه إليهم هو طريقة الدعوة التي يقومون بها بين اليهود، فهم يشككون بها ويعتبرونها متأثرة بطريقة التبشير الأمريكية، وقد أطلقوا على اللوبافتش اسم «المبشِّرون اليهود».

وممن ينتقدهم من اليهود غير الأرثوذكس الكاتب اليهودي المعروف حاييم برماونت أحد كتاب جريدة «الجويش كرونكل». وهو يقول عنهم: «إنهم متعصبون في وجهات نظرهم، ومتعلقون بالخرافات، وهم أعداء للثقافة بصورة عامة. وإن إيمانهم بقدرة زعيمهم وبأن له معرفة غير محدودة يصل إلى حدّ التصنيم» (جويش كرونكل ١٣/٣/١٩٩٣ م).

ومن النقد الذي وجه لهم حديثاً من قبل اليهود الآخرين هو إنشاؤهم كرسياً للدراسات الأخلاقية في اليهودية في إحدى الجامعات البريطانية، وقد سمي هذا الكرسي باسم الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأميريكية رونالد ريغن، ويرى هؤلاء الناقدون بأن هذا غير مناسب، لأن إدارة رونالد ريغن لم تكن معروفة بمُثُلها العليا وأخلاقها الفُضْلى، بل كانت على العكس من ذلك (جويش كرونكل ٨/١١/١٩٩١ م).

ولا بدَّ أن نذكر هنا بأن هناك من اليهود غير المتدينين من يؤيد أعمال

---

(١) S. Bernstein, The Renaissance of the Torah Jew p. 225.

اللوبافتش وما يقومون به. وكان من أشهر هؤلاء الرئيس الأسبق لدولة إسرائيل (زلمان شازار). وكان من عائلة حسيدية من اللوبافتش كما ذكرت، ولكنه نفسه لم يكن حسيدياً، وكانت له علاقة وطيدة مع زعيم اللوبافتش مناحم مندل شنيرسون [١]. وممن يؤيدهم كذلك إيلي ويزل الكاتب اليهودي الذي نال جائزة نوبل قبل سنوات، بل هو يدعو اليهود الآخرين إلى تأييدهم. ويؤيدهم كذلك الكاتب اليهودي وولف مانكوفيش، وهو يقول عن اللوبافتش: «اعتقد أنهم يقومون بكثير من العمل الجيد، ولكني لا أومن بأي شيء يؤمنون به» (جويش كرونكل ١/١١/١٩٩١ م).

---

(١) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 156.

# الحسيديم الستمار

تنتسب هذه المجموعة الحسيدية إلى مدينة ساتومار Satu Mare التي كانت جزءاً من هنغاريا، ولكنها اليوم ضمن الحدود الجغرافية لرومانيا. والمؤسس لهذه الجماعة هو الحاخام موشيه تيتلباوم (ت ١٨٤١ م)، الذي كان من تلامذة الصديق المشهور يعقوب إسحاق (الرائي) الذي تحدثنا عنه. وكان هذا الصديق من أوائل زعماء الحركة الحسيدية الذين نشروا أفكارها في هنغاريا، وقد عُرف بين اليهود بعلمه، وألف أكثر من كتاب إلا أن أشهرها كتاب عنوانه «يسمح موشيه»، الذي يعتبر من أمهات الكتب عند الحسيديم يدرسونه ويعتمدون عليه وهو في أكثره شرح على التوراة. وكنّا في أماكن أخرى من هذا الكتاب قد ذكرنا شيئاً من أقوال هذا الصديق. وبعد وفاته خلفه ابنه على زعامة هذه المجموعة، ثم خلفه أحفاده. ويعتبر يوئيل تيتلباوم Yoel Teitelbaum من أكثر زعمائها تأثيراً عليها وأقدسهم مكانة عندها. وإنما تنتسب هذه المجموعة إلى مدينة ساتومار لأن هذا الزعيم كان قد سكنها واستقر فيها لفترة من الزمن. ولذلك لا بدَّ من الحديث عنه قبل الحديث عنها.

ولد الصديق يوئيل تيتلباوم عام ١٨٨٨ م، وكانت دروسه الأولى على يد أبيه، ثم درس على حاخامين آخرين، وقد أجيز حاخاماً عام ١٩٠٤ م. وقد اعتُرف به زعيماً لكل اليهود الأرثوذكس في مدينة ساتومار عام ١٩٣٤ م، ولم يكن تأثيره يقتصر على الطائفة اليهودية في هذه المدينة بل امتد إلى مناطق أخرى غيرها. وكان هذا الصديق ذا شخصية قوية ومتشدِّدة في مسائل الدين، ولشدته وصرامته كان له نزاعات وخلافات مع اليهود الآخرين حتى مع زعماء

المجموعات الحسيدية الأخرى. وكان من نقاط الخلاف بينه وبين هذه المجموعات هو رفضه للحركة الصهيونية وأفكارها ومعارضته الشديدة لها، بل وتكفيره لزعمائها. وقد ظل على هذا الرأي حتى وفاته. وسنتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد.

وقد عرف عن هذا الحاخام بأنه عاش حياة زهد وتقشف، وكان يصوم كثيراً وينام على فراش صلب كل يوم عدا يوم السبت. وقد توفي أولاده وزوجته قبل نشوب الحرب العالمية الثانية، فقال عن ذلك: «إن هذا شيء لا يحدث إلا للمذنبين من الناس»[1]. وكان شديد التمسك بفرائض الشريعة اليهودية وأحكامها، وكان يحث أتباعه على أن يتمسكوا مثله، فكان يذهب - مثلاً - في يوم السبت بعد الصلاة إلى الأسواق ليفتش عن الدكاكين المفتوحة ويأمر بإغلاقها، وكان كذلك يطوف على الحمامات الشرعية لليهود ليتأكد من مطابقة مواصفاتها للشروط الدينية اليهودية، وكان لا يسمح باحتفال الزواج إذا كان فيه شيء مخالف للشريعة كالرقص المختلط وغيره. وقد كانت له عناية خاصة بالأولاد فأنشأ لهم مدرسة ضمّت أربعمئة طالب، وكان يقوم بنفسه على مساعدة هؤلاء الطلاب مادياً ورعاية شؤونهم. وأنشأ في مدينة «ساتومار» عدداً من المؤسسات الدينية والاجتماعية[2].

وعند احتلال الألمان لهنغاريا عام ١٩٤٤ م هرب من مدينة «ساتومار» واختفى عن الأنظار، ولكن الألمان عثروا عليه في السنة نفسها واعتقلوه، ولكنه أُخلي سبيله بعد فترة. وكان إخلاء سبيله قد تمّ بعد أن كانت هناك اتصالات بين الدكتور كستنر نائب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية في بودابست - والذي اغتيل في إسرائيل في الخمسينات بعد أن اتهم بالتعاون مع النازيين - وبين أيخمان مساعد هتلر. وكانت الاتصالات تهدف إلى ترحيل بعض اليهود من هنغاريا إلى بلد محايد على أن يُدفع للألمان عشرون مليون فرنك سويسري. وقد دفع خمسة ملايين فرنك كدفعة أولى. واتفق على ترحيل ١٦٨٤ يهودياً كان من ضمنهم يهود معروفون، وكان منهم الزعيم الروحي للستمار يوئيل تيتلباوم. ولكن بعض أعضاء المنظمة الصهيونية

---

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel pp. 230ff.

(٢) Ibid. p. 232.



صديق الحسيديم الستمار السابق
يوئيل تيتلباوم.



صديق مجموعة الحسيديم الستمار
الحالي موشيه تيتلباوم.

عارضوا ذلك ورفضوا أن يكون زعيم الستمار من ضمن اليهود المرحَّلين بسبب معارضته للفكرة الصهيونية، وكان على رأس هؤلاء المعارضين يوسف فشر أبو زوجة الدكتور كستنر.

وقد مارست المنظمة الصهيونية على زعيم الستمار ضغوطاً من أجل أن يُغيِّر أفكاره نحو الصهيونية لكنه رفض ذلك رفضاً قاطعاً، ولا ندري كيف أُبْقي ضمن المرحَّلين، ولكن قصة تذكر في هذا الموضوع ـ ربما يرويها أتباعه ـ . وهي أن والدة يوسف فشر قد ظهرت له في الحلم وطلبت منه إبقاء هذا الزعيم ضمن المرحَّلين، ولا نعرف مدى صحة هذه القصة، ولكن الذي نعرفه أنه استرجع حريته وأُخلي سبيله وأرسل إلى سويسرا حيث وصلها في ٨ كانون الثاني عام ١٩٤٤، ويصادف هذا اليوم اليوم الواحد والعشرين من الشهر العبري كسلو[١]. وقد أصبح هذا اليوم يوم فرح وسرور عند جماعة الحسيديم الستمار، يحتفلون به في كل سنة بسبب نجاة زعيمهم من النازيين.

وقد غادر سويسرا عام ١٩٤٥ إلى إسرائيل، ثم ذهب من هناك إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستقر عام ١٩٤٧ م في منطقة ويلمزبيرغ قرب بروكلن[٢] وبعد أن استقر في هذه المنطقة التحق به أتباعه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فأنشأ لهم المؤسسات والجمعيات والمدارس الخاصة بهم، وقد قال لأتباعه بعد وصولهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية إن عليهم أن يتخذوا أعمالاً شريفة للحصول على رزقهم، وأن يكونوا صادقين في تعاملهم مع الآخرين[٣].

وقد حث أتباعه كذلك على الالتزام والتقيد باللباس التقليدي الذي كانوا يلبسونه في موطنهم الأصلي، وطلب منهم أن لا يستبدلونه بلباس آخر، وقال لهم: «إننا يجب أن لا نخجل من يهوديتنا، ويجب أن يكون الناس في الولايات المتحدة الأمريكية متعوِّدين على رؤية لباسنا، وإن ذلك يخفف من العداء لنا»[٤].

---

(١) Ibid, pp. 233 - 234.

(٢) وقد أخذوا ينتقلون من هذه المنطقة في الفترة الأخيرة.

(٣) Ibid, pp. 234 ff.

(٤) R.P. Bulka, Dimensions of Orthodox Judaism, p. 205.

وقد جعلت جماعة «نطوري قارتا» ـ وهي جماعة يهودية معادية للصهيونية ـ يوئيل تيتلباوم مرشداً روحياً لها عام ١٩٥٣ م، وقد توفي عام ١٩٧٩ م وترك بعض المؤلفات المهمة، وسنتحدث عن واحد منها فيما بعد، ولم يعيِّن خليفة له قبل موته، وقد أصبح ابن أخيه موشيه تيتلباوم زعيماً لهذه الجماعة.

ويعتبر الستمار أكثر عزلة من بقية الحسيديم الآخرين وأشد محافظة منهم على التقاليد الحسيدية التي عاشها أجدادهم في السابق، وهم يعزلون أنفسهم ليس عن اليهود غير المتدينين حسب، بل كذلك عن اليهود الأرثوذكس أيضاً، إذ أن هؤلاء في رأيهم قد اندمجوا في الحضارة الغربية، وأضاعوا التقاليد اليهودية، وانحرفوا عن الشريعة اليهودية. فأخافهم هذا وأرعبهم عندما وصلوا إلى أمريكا.

وقد انتقدوا من جملة ما انتقدوا وَضْع الكُنُس، إذ وجدوا أن جلوس الرجال والنساء في الكنيس حيث لا يفصلهم سوى حاجز واطيء هو شيء مخالف لليهودية، إذ المفروض ـ كما يرون ـ أن تجلس كل مجموعة لوحدها منفصلة عن الأخرى، وهم كذلك يرفضون أن يستعمل الكنيس لغير العبادة كالرقص وغيره. وهم ينتقدون أيضاً تجميل هذه الكُنُس بالنجوم وغيرها إذ يعتقدون بأن في هذا استهانة بحرمة هذه الأماكن. ومن جملة ما انتقدوه كذلك لباس النساء إذ وجدوا لباسهن خالياً من الحشمة والحياء، وأن الكثير منهن لا يغطين شعورهن، وأن الرجال والنساء يلتقون ويأكلون سوية ويذهبون على ضفاف البحر سوية[١].

وانتقدوا كذلك احتفالات الزواج التي يقيمها اليهود الأرثوذكس واعتبروها لا تمت إلى تقاليد اليهودية بصلة، بل هي مظهر من مظاهر الاندماج في الحياة الغربية. وقد وجدوا أشياء أخرى انتقدوها واعتبروها مخالفة للشريعة اليهودية، ولذلك حاول الستمار منذ البداية أن لا يكونوا جزءاً من اليهود الآخرين الذين هاجروا قبلهم، وحاولوا كذلك أن يظلُّوا مخلصين لتقاليدهم وصادقين مع قيمهم التي سار عليها أسلافهم. وبما أنَّ البيئة الجديدة

(١) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg. pp. 40ff.

بعيدة تماماً عما اعتادوا عليه، فقد أصبح خوفهم منها أكثر وحرصهم أشد على الالتزام بالسلوك الستماري القديم. وبسبب ذلك فقد طلبت هذه المجموعة من أفرادها التنبه إلى هذه المخالفات والحذر منها وعدم تقليدها. وحذّروهم كذلك من أن لا يقعوا في شرك التأمرك الذي وقع فيه اليهود الآخرون. فهم يرون بأن أي تغيير في السلوك حتى لو كان بسيطاً فإنه يكون بداية لتغيير أعظم وأكبر، وهذا لا يقود إلى تغيير الفرد وحده بل يؤثر على الجماعة ككل، فيضعف قوتها ويفكك ترابطها بل ويعجل في تلاشيها[1]. ولذلك فهم لا يقصّون حتى الشيء القليل من الضفائر على جانبي الرأس من الأطفال، ويقولون إنهم إذا قصّوا شيئاً منها فإن أولادهم سيقصون شيئاً كذلك ويجعلونها أقصر، وكذلك يفعل الأحفاد حتى تزول في النهاية كلها ولا يبقى منها شيء على الإطلاق[2].

وهم يرون بأنه ليس اليهودي (الحسيدي) هو الذي يجب أن يتغير ليتفق مع تقدم العصر وتطوره، بل إن ما حوله هو الذي يجب أن يتغير ليتفق مع الشريعة اليهودية، وهم يمثّلون ذلك بشخص أراد أن يضع التوراة في محفظة، فوجد المحفظة صغيرة لا تسع لنسخة التوراة، فأراد قطع نسخة التوراة من أجل أن تدخل في المحفظة، بينما الذي يجب أن يُعدَّل هو حجم المحفظة لتتناسب مع حجم نسخة التوراة[3].

وتحذِّر هذه الجماعة أفرادها من السفر بالقطارات المزدحمة المملوءة بنساء شبه عاريات ـ كما يقولون ـ ويرون أنه من الأفضل تغيير مكان العمل والحصول على عمل قرب مقرّ الجماعة وقرب حيِّها حتى لو كان ذلك بأجور أقل، إذ أن ذلك أحفظ لدين الحسيدي الستماري، وأفضل من التعامل مع أناس غير متدينين، حيث يسمع أحاديثهم الباطلة ويرى سلوكهم المخالف للشريعة. ولكن الكثير من الستمار يضطرون للتعامل مع غير المتدينين من اليهود، بل ومع غير اليهود أحياناً ـ كما في القضايا التجارية ـ وحتى لا يؤثر ذلك عليهم فإن زعماءهم يحثونهم على قراءة بعض الكتب الدينية قبل الذهاب إلى العمل وبعد الانتهاء منه، إذ أن في ذلك ـ كما يرون ـ تقوية للعقيدة

(١) S. Poll, the Hasidic Community of Williamsburg, p. 38.
(٢) J.R. Mintz, Legends of the Hassidim, p. 148.
(٣) Ibid, p. 355.

وحفظاً للدين وتهذيباً للسلوك. ويطلب من الحسيدي الستماري أن يعوِّض عما فاته من الحياة الروحية أثناء الأسبوع بسبب سعيه وراء رزقه ويكون التعويض عن ذلك أيام السبت والمناسبات الأخرى. ومما يؤدِّيه أثناء ذلك هو الإكثار من الأدعية والصلوات، وزيارة مرشده الروحي لسماع أحاديثه والتزود منها والأخذ بنصائحه والالتزام بها[1]، لما للمرشد الروحي من تأثير على أتباعه.

والانحراف عن السلوك العام لهذه المجموعة قليل بين أعضائها، ولكن إذا ما حدث ذلك فإن هناك عدة طرق لإظهار عدم رضاها عن الفرد، ويكون ذلك غالباً في الأماكن العامة التي يلتقي بها الستمار ويجتمعون مثل الحمامات الشرعية وبيوت العبادة، فإن الفرد الذي ظهر منه ما يعتبر انحرافاً يعامل فيها بشيء من الازدراء وعدم الاهتمام، حيث ينبه إلى أن ما قام به يعتبر عملاً لا ترتضيه المجموعة ولا تقبله. وفي أحيان أخرى يكون التنبيه عن طريق المقاطعة الاقتصادية، إذ غالباً ما تربط المصلحة التجارية أفراد الجماعة أنفسهم ويكون هذا عقاباً صارماً وشديداً. وفي حالات معينة توضع قائمة بأسماء الأشخاص الذين ظهرت منهم بوادر انحراف على أبواب أماكن العبادة يقرؤها أعضاء المجموعة، فيطلعون عليها ويحذّرون بها. وفي الوقت نفسه تكون تنبيهاً للآخرين وتحذيراً لهم. أما بالنسبة إلى الطرد (الحرم) من اليهودية فإنه لم يذكر أنه حصل بينهم.

وكثيراً ما يعوض الشخص في هذه الجماعة على سلوكه المثالي وذلك بأن يُشَرَّف بطرق متعددة، كالنداء عليه في الكنيس لقراءة مقاطع من التوراة، أو بأن ينادي عليه الزعيم الروحي أثناء الوجبة الثالثة يوم السبت، وغير ذلك من مسائل يتميز بها الشخص من بين الحسيديم. وكثيراً ما تكون المنزلة الاجتماعية للشخص مرتبطة بالالتزام الصارم بالسلوك الحسيدي، والحالة الاجتماعية غير المرتبطة بالدين مثل الثراء لا تكون ذات أهمية إلا إذا ارتبطت بالسلوك الديني .

وعند الستمار ارتباط قوي بين الحالة الاجتماعية والانفصال عن العالم

---

(١) S. Poll, the Hasidic Community of Williamsburg, p. 50.

الخارجي، فكلما كان الحسيدي من الستمار أكثر انفصالاً بلباسه الذي يلبسه خاصة في يوم السبت والمناسبات الدينية الأخرى، فإن ذلك يجعله أكبر شأناً وأعلى منزلة بين أفراد الجماعة. وإن الذي يلتزم باللباس الحسيدي المحافظ والتقليدي هو الذي يتمتع بمنزلة اجتماعية مهمة[1]. والمنزلة الاجتماعية للشخص تتطور بتطوره في السلوك الديني الحسيدي. وكلما كان الشخص منهم أكثر التزاماً ومحافظة فإنه يضع ملابس أكثر تقليدية ومحافظة، ويكون هذا بجانب الأشياء الأخرى كاللحية والضفائر. ولذلك فإن زعيمهم ـ الذي لا يصل أحد من أتباعه إلى مستوى تدينه ـ يتميز بأنواع من اللباس لا يلبسها أحد من المجموعة، بل ولا يفكر أن يلبسها أحد منهم لأنها مقتصرة على الزعيم وحده. ومن الأشياء الخاصة التي يلبسها الزعيم الروحي حذاء خفيف، ويلبس كذلك جوارب بيضاء تطوى عند الركبتين[2]. ويعتبر الستمار لباسهم شيئاً يميزهم ويشخّص هويتهم، بل ويرتبط بوجودهم، وهم لا يهتمون بانتقاد الآخرين لهم، ويعتبرون هذا اللباس هو اللباس التقليدي لليهود، ويقولون بأن اليهود الآخرين إنما هم متأثرون بغيرهم فأصبح لباسهم مختلفاً عما يلبسه الحسيديم. ولقد ذكرنا سابقاً كيف أن زعيمهم الأكبر يوئيل تيتلباوم قد أكد على الاحتفاظ باللباس التقليدي والالتزام به وعدم تغييره.

ويرى الستمار كذلك أنّ مظهرهم الخارجي يكون لهم حاجزاً ضد الاندماج والتأثر بالحياة الغربية، وقد عبَّر عن ذلك أحدهم بقوله: «مع لباسي هذا ومظهري فإنه من غير الممكن لي أن أذهب إلى المسرح أو إلى أي مكان آخر لا يفترض أن يكون فيه اليهودي المتدين. ولذلك فإن لحيتي وضفائري وملابسي تكون حافظاً لي ومانعاً من الذنب والتدنس»[3].

ويحاول زعماء الستمار أن يجعلوا تطبيق الشريعة في العصر الحديث هيناً لأتباعهم سهلاً عليهم، وهم يحاولون أن يقللوا من المشاكل التي تواجه هذه الجماعة في تطبيق الشريعة وفرائضها، إذ أن هذا يقوِّي من ارتباط العضو بالجماعة والتصاقه بها وعدم انفصاله عنها أو رفضه لها. ومن أجل هذا

---

(١) Ibid, p. 66.
(٢) Ibid, pp. 67 - 8.
(٣) Ibid, p. 65.

الغرض فقد أنشأوا مؤسسات ومراكز عدة تُعنَى بهذه القضايا، فمن هذه المؤسسات مختبرٌ لفحص القماش وتبين شرعيته، واسم هذا المختبر هو «مختبر القماش الخليط من الصوف والكتان (شعطنز)». وسنتحدث عن هذا الموضوع في فصل «لباس الحسيديم ومظهرهم». ومن هذه المراكز مركز يسمى «مركز الستم»، وكلمة «ستم» مركبة من الحروف الأولى للكلمات العبرية الثلاث: «سفاريم» (أسفار التوراة)، و «تفلين»، و «مزوزة» (وهي صندوق صغير من الجلد أو غيره يحتوي على عبارات من التوراة يوضع على الجهة اليمنى من الأبواب (عدا أبواب معينة كباب الحمام). ومهمة هذا المركز هو فحص هذه الأشياء والتأكد من صلاحيتها الشرعية، والتأكد من أنها غير معيبة، وأن كتابتها غير ناقصة، وأن أشياء غير شرعية لم تستعمل في مادتها أو في كتابتها، كأن يتأكد من عدم نقصان كلمة أو حرف من أسفار التوراة ـ لأن هذا إذا حصل فإن النسخة لا يجوز القراءة فيها مع العلم بذلك ـ والتأكد مثلاً من أن جلد التفلين قد أخذ من حيوان طاهر، وأنه ليس فيها ثقب، أو أن جلدها مفصول عن بعضه. وفحص المزوزة للتأكد من الرق فيها ـ الذي كتبت عليه عبارات التوراة ـ قد طوي بشكل صحيح، إذ يجب أن تكون بداية الطوي من كلمة إحد (واحد) ونهايته عند كلمة «شمع» (اسمع)، حيث تكون كلمة «اسمع» في أعلى المزوزة. ويضم هذا المركز أناساً مختصين ومدربين على معرفة هذه الأشياء والتحقق من مواصفاتها الشرعية.

ومن هذه المؤسسات مؤسسة تعنى بشؤون الحمامات الشرعية (مقواءوت) (الحمامات) ولهذه المؤسسة لجنة تشرف على هذه الحمامات وتتأكد من تحقق الشروط الشرعية بها، مثل طبيعة الماء وطهارته وكميته، وحجم الحمام ومقاسه، إلى غير ذلك من أمور ذكرها التلمود في فصل خاص تحت عنوان «مقواءوت». وهذه الحمامات يجب أن تحتوي من جملة ما تحتوي حوضاً للارتماس حيث أن هناك حالات في الشريعة اليهودية يجب فيها على المرأة والرجل الارتماس في الماء ارتماساً كاملاً، وتستعمل هذه الحمامات كذلك للغسل غير الواجب، وتستعمل أيضاً لتطهير الأواني التي يشتريها اليهودي من غير اليهودي جديدة كانت أم مستعملة. وهم يستدلون على وجوب ذلك بما ورد في التوراة في سفر العدد ٣١/٢٢ « الذهب والفضة

والنحاس والحديد والقصدير والرصاص. أي كل شيء يمكن أن يدخل النار تمررونه في النار فيطهر، غير أنه يتطهر بماء الرش. وكل ما لا يدخل النار تمررونه في الماء».

وقد تحدث الحاخامون كذلك عن هذا الموضوع في كتب فقههم بشكل مفصَّل، ويجد القارىء عنه فصلاً كاملاً في أي كتاب مهم في الفقه اليهودي. وقد وضع الحاخامون كذلك دعاء خاصاً بهذا الطقس يقرؤه اليهودي عند غطس الأواني وهذا نصه: «مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الكون الذي قدَّسنا بفرائضه، وأمرنا بأن نطهِّر الآنية»[1].

ومن أجل أن تسهل هذه الجماعة على أعضائها معرفة أماكن هذه الحمامات فهم يعلنون عنها. ومن هذه الإعلانات الإعلان التالي:

### غطس الأواني في الحمام الشرعي

«لا يجوز قطعاً استعمال الأواني التي لم تطهَّر بواسطة الغطس في الحمام الشرعي. إن الأماكن التالية فيها حمامات شرعية، وكل من يرغب بتطهير أوانيه فإنها ستطهر بالغطس دون أجر». ثم تذكر قائمة بعناوين الأماكن.

ولا يقتني الستمار التلفزيون ولا يشاهدونه، بل حتى الراديو لا يسمعونه. وهم يقولون عن الراديو بأنه يُسْمِع أصواتاً وكلمات لا تشجع على عبادة الله، وهم كذلك لا يذهبون إلى السينما أو إلى المسرح، ولا يحضرون المحاضرات العامة. وهناك منع ضمني عليهم من الاتصال بخارج المجموعة، كالحديث إلى الراديو أو التلفزيون أو الجرائد. حتى العلاقات الفردية خارج المجموعة غير معروفة بين أفرادها، ولا يشتري الستمار الصحف التي تصدر باللغة الإنجليزية أو غيرها ولا يقرأونها إلا عَرَضاً، بل ولا يقرأون حتى تلك التي تصدر باليديش - عدا تلك التي هم يصدرونها - إذ يقولون عن هذه الصحف بإن محرريها ليسوا متعاطفين مع الحسيديم - وأنهم ينشرون كذباً

---

(١) S. Ganzerfield - Goldin, Kitzur Shulhan Arukh, pp. 119 - 120.

عنهم، ويقولون كذلك بأن هذه الصحف تطبع يوم السبت وبذلك يخالف أصحابها حرمته.

وتأتي الأخبار إلى المجموعة عادة عن طريق أعضاء خاصين منها يقرأون بعض هذه الصحف ويهذبون أخبارها ويشذبونها مما لا يتفق وفكر الستمار. فَتُقَدَّمُ لأفرادها دون خوف من مضمونها أو تأثيرها[١].

وللستمار منشوراتهم الخاصة بهم. وهي أهم مصدر للمعلومات لأعضاء المجموعة، وأهم نشرة عندهم هي Der Yid (اليهودي) وهي نشرة أسبوعية تصدر باليديش، وهي تقول عن نفسها بأنها ناطقة باسم اليهود المتدينين في الولايات المتحدة الأمريكية. ويقال بأنها هي المجلة الوحيدة باليديش التي يزداد عدد قرائها كل سنة. ولهم كذلك بعض المجلات الشهرية التي تصدر باللغة العبرية. وغالباً ما تعالج هذه المجلات موضوعات دينية. وهم يصدرون كذلك كتيبات بين حين وآخر تضم فيما تضم أدباً دينياً مثل القصص وغيرها، بالإضافة إلى احتوائها على إعلانات مهمة تتعلق بالمجموعة وتهمها. ومن وسائل توصيل المعلومات لديهم منشورات تُعلَّق على بيوت العبادة والأماكن العامة التي يصل لها أكثر أعضاء المجموعة.

وعلى الرغم من عزلة الستمار عن العالم الغربي ومدنيته فإنهم من جانب آخر لا يرفضون استعمال وسائل التقنية الحديثة مثل: الغسالات، والثلاجات والسيارات، وما إلى ذلك، على العكس من بعض الفرق المسيحية كالأميش[٢]. ولكن الحسيديم يُخضعون هذه الوسائل إلى الشروط الشرعية، فعند الستماري المتمكن غسالتان للأواني إحداهما لغسل الأواني التي استعملت للحليب ومشتقاته، والثانية للأواني التي استعمل فيها اللحم. وهم مثلاً قد صنعوا مؤقتاً يوقت عمل الثلاجة حتى لا يخالفوا باستعمالها يوم السبت، فبفتحها ربما يعمل مولدها الذي يوصل لها القوة الكهربائية، وهذا

(١) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, pp. 30 ff.

(٢) الأميش: فرقة مسيحية ظهرت في القرن السابع عشر الميلادي تعيش اليوم في مستوطنات زراعية معزولة في الولايات المتحدة الأمريكية وترفض استعمال وسائل المدنية الحديثة مثل السيارات.

يخالف في رأيهم أحكام السبت إذ لا يجوز فيه إشعال الكهرباء، أو إطفاؤها[1].

ويهتم الستمار كثيراً بتعليم أبنائهم، وعندما هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وجدوا أن كل المؤسسات التعليمية فيها من يهودية وغيرها لا توفر المناهج التي يرغبونها لأولادهم. فقد كان تعليم الطفل في موطنهم الأصلي يبدأ من عمر الثالثة حيث يعلم في هذا العمر بعض الصلوات ويحفظ بعض المقاطع منها. ويعلم كذلك بعض المسائل الدينية، وقبل أن يذهب إلى المدرسة يكون قد تعلم تلاوة الصلاة. وعندما يبلغ الخامسة أو السادسة يكون قادراً على أن يقرأ بعض المقاطع من التوراة، ويتمكن كذلك من قراءتها باللغة العبرية. وفي السابعة والثامنة يُعلم نصوصاً من التلمود، وعندما يبلغ الثالثة عشرة من عمره يكون متمكناً من قراءة التلمود بنفسه وعارفاً المعنى العام لما يقرأ. وفي هذه الفترة أو قبلها بقليل يكون قد بدأ بتعلم مبادىء الجماعة الحسيدية ومعتقداتها[2].

وكل هذا لم يجدوه في بلد الهجرة، ولذلك قرروا أن ينشئوا مدارس خاصة بهم، وأصبح عندهم عددٌ من المدارس تضم اليوم آلافاً من الطلاب الستمار. ولهذه المدارس حافلاتها الخاصة بها التي تنقل الطلاب من المدارس وإليها. وتأخذ هذه المدارس أجوراً من الطلاب إضافة إلى أن أعضاء المجموعة يساعدون بالتبرع لها. ومن مصادر تمويلها الأرباح التي يحصل عليها الستمار من المؤسسة التجارية التي أنشأوها والتي تمتلكها المجموعة[3]. وهم لا يدرسون في هذه المدارس إلا القليل جداً من المواد غير الدينية، وقد فرضت عليهم هذه بحكم القانون كي يستحقوا المساعدة من الدولة. والمواد غير الدينية عادة تدرس من غير الستمار. والبنات في تقاليد الستمار ـ وغيرهم من الحسيديم بصورة عامة ـ لا يدرسن التوراة وما يتعلق بها، وتكون المواد غير الدينية للبنات أكثر منها لدى البنين. ولكن هذه المواد تدرس الستمار بعد تدقيق وتفسير ويقوم على ذلك لجنة خاصة بذلك.

---

(١) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, p. 101.
(٢) Ibid, p. 48.
(٣) Ibid, p. 74.

وعند الستمار يشيفاه كبيرة جداً، وتعتبر من أكبر اليشيفوت في عالم اليهود، وتصل موازنتها إلى عدة ملايين من الدولارات، وتضم عدة أقسام للدراسات الدينية المتقدمة[١].

ولغة التدريس في مدارس الستمار هي اليديش، ولكنهم أيضاً يدرسون اللغة الإنجليزية وإن كان ذلك في مرحلة متأخرة. والحصول على كتب إنجليزية لتدريسها في مدارسهم يسبب لهم مشكلة، إذ أنهم من النادر أن يجدوا كتاباً ليس فيه ما يتعارض مع عقائدهم ويصلح للتدريس في مدارسهم، بل حتى الكتب التي كتبت باليديش فإنهم يخافونها ويحذرون منها لأنهم يقولون بأنها تعرض الانحرافات بطريقة مموَّهة وخادعة[٢].

وهم لا يعرفون اللغة العبرية الحديثة، إذ يعتقدون بأن اللغة العبرية هي لغة مقدَّسة لا يجوز استعمالها في قضايا غير دينية، لأن استعمالها في ذلك ينزع عنها قدسيتها كما يقولون. وقد نقل عن زعيمهم يوئيل تيتلباوم بأنه يفضل أن يرى اليهودي يتحول إلى دين آخر على أن يتعلم كلمة واحدة من اللغة العبرية الحديثة[٣].

وللستمار عددٌ من الجمعيات الدينية والخيرية والاجتماعية تعنى بأعضاء الجماعة وترعاهم، فمن هذه الجمعيات جمعية تعنى بكبار السن وتساعدهم، وأغلب المجموعات الحسيدية لها جمعيات تعنى بكبار السن أيضاً. ومن هذه الجمعيات جمعية اسمها «جمعية المتبرعين المجهولين». وهذه الجمعية توزع المساعدات سرّاً على العوائل المحتاجة غير المتعوِّدة على الصدقة والمساعدة. وعندهم جمعية اسمها «جمعية صندوق إجازات الفقراء والأيتام». وهي تهتم بتمويل إجازات الفقراء والأيتام، حيث تدفع مصاريف السفر والإقامة لهؤلاء، ولهم جمعية كذلك تعنى بالمرضى ومهمتها تنظيم زيارات خاصة للمرضى. وللحسيديم الآخرين جمعيات مشابهة لهذه، إضافة إلى ذلك فإن لهم منظمة

---

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 23.
(٢) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, pp. 48 - 49.
(٣) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 148.

اسمها «المنظمة القومية لحرية الدين في إسرائيل» وهي منظمة أُنشئت لمناجزة اللادينيين والرافضين للشريعة اليهودية في إسرائيل[١].

ومن المنظمات التي يسيطر عليها الستمار ولهم تأثير على أعضائها منظمة اسمها «هتحدوت هارابانيم دي أرصوت هابريت وكندا» وترجمتها الحرفية هي «اتحاد حاخامي الولايات المتحدة وكندا» والاسم الذي تعرف به باللغة الإنجليزية هو:

Central Rabbinical Congress of the United States and Canada

وهذه المنظمة تضم أكثر من مئة وستين حاخاماً، الغالبية العظمى منهم من هنغاريا، وبعضهم من بولندا، وكان رئيسها زعيم الستمار السابق يوئيل تيتلباوم وبقي رئيساً لها حتى وفاته. ولهذه المنظمة اجتماعات دورية حيث تتخذ قرارات تتعلق في الغالب بالشؤون الدينية، ويتبع لهذه المنظمة محكمة اسمها «محكمة العدل». وكثيراً ما تصدر هذه المنظمة بيانات تدين بها إسرائيل والصهيونية[٢].

والجمعيات الخاصة بهذه المجموعة تشترط على من يريد أن يصبح عضواً فيها أن يصرِّح بأنه ليس عنده تلفزيوون في بيته أو راديو، وأكثر منظماتهم تطلب من العضو الجديد أن تكون زوجته ملتزمة بالسلوك الحسيدي، مثل غطاء الرأس والثوب الطويل وغير ذلك. وهو لا بدّ أن يكون يهودياً أرثوذكسياً مطبِّقاً للشريعة اليهودية وملتزماً بها كما يرونها هم. وعندهم لجنة من ثلاثة أعضاء مهمتها استقصاء صلاحية المتقدم للانضمام إلى مجموعتهم، من حيث دينه وسلوكه الأخلاقي[٣]. وهم لا يدعون اليهود إلى الانضمام إليهم كما يفعل اللوبافتش، ولكن من يريد أن ينضم عليه أن يتصف بما ذكرنا.

---

(١) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, pp. 74 ff.
(٢) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, p. 77.
(٣) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel p. 235.

# الستمار وإسرائيل

كان يوئيل تيتلباوم الزعيم الروحي للستمار منذ البداية معارضاً للصهيونية، وناقداً شديداً لأفكارها ومبادئها، وكان يحث أتباعه على رفضها وعدم الانخداع بها. وكان من نشاطاته في معارضة الصهيونية أن عقد مؤتمراً مع حاخام آخر عام ١٩٢٣ م خصَّصه لمعارضة الحركة الصهيونية، وكان يقول عن الحركة بأنها «وليدة الشيطان» فهي عقيدة وفكرة شيطانية، وقد اعتبر التعامل مع الصهاينة جريمة كبرى. وكان يعتقد بأن هذا العصر هو عصر الموطِّئات للمسيح المخلِّص، وهو عصر تكثر فيه الشرور والذنوب التي تحاول منع خلاص اليهود وقدوم المخلِّص اليهودي وإنشاء دولته، والصهيونية تمثِّل في رأيه أعظم هذه الشرور خطراً وأشدها سوءاً. وكان يرى بأن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م إنما كان معوِّقاً لظهور المخلِّص ومؤخراً له، وأنه لولا ظهور هذه الدولة لكان المخلِّص قد ظهر[١].

ولما هاجر بعض اليهود ـ ومنهم الحسيديم ـ إلى فلسطين هدَّد أتباعه بأنه سيحرم من يفكر بالهجرة منهم من قراءة التوراة في الكنيس[٢] ـ وهو شيء يطمح له اليهودي ويتشرَّف به ـ. وكان يرى أن إنشاء الدولة اليهودية الحقيقية هو مسؤولية المسيح المخلِّص، فهو الذي ينشؤها ويقوم على شؤونها ويحكمها. وكل دولة باسم اليهود تنشأ وتقوم قبل العصر المسيحاني إنما هي دولة مزيفة وغير شرعية، حتى لو كان مؤسسوها والراعون لها مطبقين لأحكام

(١) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 149.
(٢) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, 231.

التوراة وملتزمين بها بدقة وإخلاص. فزعماء إسرائيل حتى لو كانوا من أكثر اليهود تديناً وأشدهم التزاماً بوصايا التوراة، وأحرصهم على تطبيقها وأعظمهم تمسكاً بها، فإن دولتهم ستظل دولة ليس لها من الشرعية شيء. وقد ضرب على ذلك مثلاً بحكومة الحاخام باركوخبا (عندما ثار على الدولة الرومانية في القرن الثاني الميلادي وسيطر على جزء من فلسطين لفترة ثلاث سنوات) التي التزمت بالشريعة اليهودية وطبقتها بدقة، وكانت في نظر الحاخامين حكومة صالحة، ومع ذلك فإنها تحطّمت وكان ذنبها الأكبر أنها حاولت تعجيل الخلاص[١].

وكان كذلك لا يرى في إسرائيل بداية خلاص اليهود كما يرى بعض الحاخامين مثل الحاخام أبراهام كوك (ت ١٩٣٥ م). وقد أطلّ مرة على مجموعة من اليهود في نيويورك حاملاً بيده نسخة من التوراة وخاطبهم بقوله: «من كان منكم يعتقد بأن إسرائيل هي بداية الخلاص فليخرج من هذا الكنيس، فإني لا أحب الصلاة مع من يعتقد ذلك حتى لو بقيت وحدي»[٢].

وقد قال أيضاً: إن إنشاء دولة اسرائيل ينتج عنه جرائم عدة، وهي:

- رفض فكرة الاعتقاد بالمسيح المخلِّص وظهوره، إذ إن وجود الدولة يعني عدم انتظار ظهور المخلِّص.
- الثورة على مملكة الله المسيحانية القادمة ومحاربتها.
- الخروج على شعوب العالم والثورة عليها وإراقة دمائها.

وكان يقول: إن اليهود قد أقسموا لله على ثلاثة أشياء: أحدها أن لا يثوروا على بقية الأمم، وثانيها أن لا يهاجروا إلى فلسطين جماعياً، وثالثها أن لا يؤخِّروا ظهور المخلص. والذهاب إلى فلسطين جماعياً لا بدَّ وأن يكون إعجازياً إلٰهياً وليس بشرياً. ومن آرائه أن المآسي والكوارث التي حلّت باليهود إنما سببها الصهاينة ووسائلهم الشريرة. وقال بأن الأذى الذي حلَّ باليهود على يد النازيين إنما سببه الذين خالفوا أوامر الرب وثاروا على الأمم، وإن ذنوب اليهود أعطت الوسائل للذين ظلموهم[٣].

---

(١) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 236.

(٢) Ibid, p. 237.

(٣) The Jewish Guardian, vol, 2 , no. 8 (1984) p. 16.

وكان يأمل القضاء على هذه الدولة وزوالها من أجل أن تقوم على أنقاضها دولة المسيح المخلص، وكان يريد لهذا التحطيم أن يكون بضربة إلهية وليس من قبل الشعوب الأخرى، وقد قال في ذلك: «ولكننا نحتاج إلى رحمة للقضاء على هذه الدولة بقوة من الأعلى من قبل الإله تبارك وتعالى، وليس من قبل الشعوب الأخرى لأن هذا إذا حصل لا سمح الله فإن الخطر سيكون عظيماً على اليهود»(١).

ومع أن هذا هو رأيه بالدولة اليهودية فإنه لم يحرِّم الهجرة الفردية إليها، ولم يحرِّم كذلك الإقامة فيها، إذ أن اسرائيل في رأيه تعتبر بلداً كبقية البلدان الأخرى. ولكنه اشترط على من يريد أن يقيم بها أن يكون ملتزماً بالتوراة مطبقاً لأحكامها، وإلا فإنه يعتبر مخبِّثاً لأرض فلسطين ومدنِّساً لها. وإن الواجب على اليهود الأتقياء أن يجبروه على الهجرة منها ومغادرتها.

وبسبب عدم تحريمه السكن على اليهود الصلحاء فيها فإن مجموعة من اليهود الستمار قد اتخذوا اسرائيل سكناً. وهم يسكنون في حي خاص بهم في القدس معزولين عن بقية اليهود الآخرين، ولهم في هذا الحي يشيفاه ولهم مدارس للأولاد وفيه كذلك بيت لكبار السنّ.

وأنشأوا كذلك قرية في «بني برق» أسموها «يوئيل» على اسم زعيمهم، وفيها كذلك مدارس للأولاد، ومدرسة دينية للكبار «كلل»، حيث يدرس هؤلاء في النصف الأول من النهار ويعملون في النصف الثاني منه. ولا تستعمل مجمَّعاتهم السكنية الماء والكهرباء الحكوميين يوم السبت، بل للستمار مولِّدات كهربائية خاصة بهم وكذلك خزانات ماء حيث لا يخالفون السبت باستعمالها(٢). وكان الصديق يوئيل تيتلباوم قد طلب من أتباعه الذين في إسرائيل أن لا يتعاونوا مع الدولة، وأن لا يقسموا قسم الولاء لها، ولا يشاركوا في انتخاباتها وأن لا يحتكموا إلى محاكمها، ولا يلجأوا إلى قضائها، ولا يبحثوا عن وظائف فيها ولا يحصلوا على جوازات سفر منها. وقد منعهم كذلك من الذهاب إلى حائط المبكى والصلاة عنده(٣).

---

(١) P.Y. Medding, (ed.) Israel State and Society, 1948 - 1988, p. 97.
(٢) H. Robinowicz, Hasidism and the State of Israel, p. 242.
(٣) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 149.

ويكلّل «عيد البوريم» عندهم بحرق العلم الإسرائيلي، وهم يتظاهرون في بعض المناسبات ضد إسرائيل، ويقفون أمام مبنى الأمم المتحدة يحملون لافتات كتب عليها: «إسرائيل لا تمثل اليهودية الأصيلة» و «دولة إسرائيل تدنيس لعقيدة اليهود» و «الصهيونية غسلت أدمغة يهود أمريكا». ويقفون معتصمين كذلك أمام مبنى القنصلية الإسرائيلية في نيويورك، ويقفون أحياناً أمام البيت الأبيض في واشنطن احتجاجاً على ما يرونه اضطهاداً دينياً في إسرائيل، إذ أنهم يدينون ما يسمونه بالاضطهاد المنظّم من قبل إسرائيل للمتدينين، ويطالبون بإيقاف ما يسمونه إلغاء الشريعة اليهودية وإيقاف تدنيس مدينة القدس بشكل متعمد[١].

وبعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ م مباشرة كتب الصديق يوئيل تيتلباوم كتيباً باللغة العبرية عنوانه «عال هاغئولاه وعال هاتموراه» (حول الخلاص والتغيير) وضّح فيه طبيعة ما حدث من وجهة نظره، وفي الوقت نفسه يردّ فيه على كثير من اليهود الذين اعتقدوا بأن انتصار إسرائيل إنما كان معجزة إلهية، وأنه أكّد بأن الدولة هي دولة شرعية. وقد ذكر في مقدمة هذا الكتيب بأن الذي حدث إنما كان إغراء من الشيطان واختباراً من الخالق لليهودي المؤمن، وقال: «كما أن الذنوب العظيمة لهذا الجيل قد أبانت لنا نسبة كبيرة من علائم ظهور المخلّص، فكذلك الآن جاء الشيطان وأرسل سهامه (الصهيونية) ليحاول بقوة أن يمنع خلاصنا وإنقاذ أرواحنا بظهور المخلّص بسبب هذه الذنوب المؤلمة، فقد جاء الشيطان بطريق النفاق والخداع وبطريق التلبس بلباس المعجزة والخلاص، حتى يخدع اليهود ليؤيدوا الصهاينة والهراطقة الذين جاءوا للقضاء على كل التوراة». وفيما يلي مقاطع مترجمة من هذا الكتيب:

«إن الصهاينة وعملاءهم من المتدينين يحرّفون الحق بطرق متعددة من أجل أن يبرّروا أعمالهم ضد الإله، ومن أجل أن يُعْموا عيون اليهود وقلوبهم ليتبعوا طريقهم. لقد كذبوا عندما قالوا بأنهم أُجبروا على حرب العرب، حيث ادّعوا بأن العرب قد أعلنوا الحرب عليهم، وهم يدّعون كذلك بأنهم يضحُّون بأنفسهم في تلقّي حِراب الإعداء من أجل اليهود. وهناك من اليهود غير

(١) J.R. Mintz, Legends of the Hasidim, p. 149.

العقلاء ليس فقط يصدِّق ما يقوله هؤلاء الصهاينة، بل إنهم يمدحونهم بأنهم خلَّصوهم، مع أن الصهاينة ليس لهم يَدٌ في هذا الخلاص، وإن العكس هو صحيح كما سنرى. إن عمى هؤلاء هو الذي قادهم لتأييد الصهاينة وتبعهم آلاف اليهود على ذلك فأصبحوا من مؤيدي الوثنيين والهراطقة.

وقد كررنا مراراً ما قاله حاخامونا: بأن كل من ينضم إلى الصهاينة ويبرر أعمالهم، أو يؤيدهم ويساندهم بالمال أو غيره، أو يوافقهم في آرائهم، فإنه منهم ومشارك في إجرامهم، وسيعاقب على ذلك لأنه بدون شك يكون مؤيداً للهرطقة. إن الصهاينة مجرمون لأنهم يعطون تبريراً (لأعمالهم) من التوراة، وهم يحرِّفونها لتتفق مع أفكارهم الباطلة، وإن هدفهم أن يُعْموا (عيون) اليهود البسطاء الذين يتعبدون بالتوراة، وهم يريدون من العامة أن يصدِّقوا بأن التوراة تتفق مع آرائهم والطرق الخبيثة لزعمائهم.

لقد سمعناهم يدعون بأن الحرب (عام ١٩٦٧ م) إنما كانت واجبة طبقاً لتعاليم التوراة، ومنذ البداية كان رجال الدين هؤلاء يحثُّون الجنود على الحرب، ويفهمونهم بأن الحرب إنما هي حرب مقدسة وأنها حرب واجبة ويعطونهم تبريرات كاذبة باسم التوراة. ومن الواضح أنَّ الذي يُلام ويعنَّف على ضياع آلاف الجنود في هذه الحرب هم رجال الدين وأتباعهم من رجال الحكومة. إن الحرب التي قاموا بها هو عمل مخالف لتعاليم التوراة، وإن الذي دفعهم إلى الحرب هو شيء محرَّم وغير جائز، وهو مخالف لتعاليم التوراة ومناقض لها لعدة أسباب:

**أولاً**: إنه من الواضح لكل إنسان حقيقة أن كل الصراع وأصل المشكلة وخطر الحرب إنما هو نتيجة لإنشاء الدولة الصهيونية. إذ أن الدولة الصهيونية قد أثارت العرب بعدة طرق. وإنه من الطبيعي أن الصهاينة لو لم يصروا على إنشاء دولة تُحكم من قبل الأشرار ـ وهي دولة لم يكن لها حاجة، ولم ينتفع منها اليهود حيث سببت تحطيم الدين واستئصال التوراة ـ لما كانت هناك حرب، بل ولا تكون أبداً، بل ولما كانت هناك حاجة لجعل حياة اليهود في خطر بواسطة تهديد الحرب.

**ثانياً**: إنه لمما لا شك فيه أن التوراة لا تُجيز قتل اليهودي حتى لو كان ذلك مقابل الدولة الصهيونية كلها. وعلى الرغم من أن هؤلاء الأشرار يريدون

بقاء الدولة والعالم كذلك معهم على رأيهم الخاطىء هذا، فإن رأي التوراة سوف لا يتغيَّر تجاه الحق. إلى جانب ذلك فإن من غير المعقول أن توافق توراتنا المقدَّسة على تهديد حياة اليهود بالحرب من أجل وجود حكومة ودولة من الهراطقة، وكيف يمكن ليهودي مؤمن أو رجل دين أن يبرر الأعمال الشريرة للصهاينة. إنه من واجبنا أن نعلن أمام الناس وبكل صدق بأن أيَّ يهودي مؤمن لا يرغب بهذه الدولة، لأن مجرَّد وجودها هو ضد التوراة المقدسة، وهو ضدّ مملكة السماء، وإن هذه الدولة هي عقبة أمام اليهود في كل أنحاء العالم.

**ثالثاً**: إذا كان ما يقولونه ـ وهو قول زور وخداع ـ بأن دولتهم يجب أن توجد حتى يكون اليهود مثل بقية الشعوب (لهم دولة)، فإن نتيجة هذا يكون تحقيق رغبتهم في تحطيم التوراة المقدَّسة. وإذا كان هذا كذلك فكيف يجرأون على القول بأن التوراة هي التي تجيز لهم الحرب؟! إن الإنسان ليصاب بالعجب الشديد عندما يسمع بيهود يعتبرون أنفسهم متدينين يؤيدون هؤلاء الكفار والهراطقة باسم التوراة!! إن هؤلاء أيَّدوا الصهاينة في دخولهم الحرب بتنبؤات كاذبة، وأخبروا الصهاينة بأنهم سينتصرون من خلال قوة التوراة، ولقد غشُّوهم عندما قالوا لهم بأن هذه الحرب هي حرب مقدسة. إن عمل أنبياء الزور هؤلاء يُقارن بعمل أنبياء البعل أيام المعبد اليهودي، بل إنهم أسوأ منهم. إن التوراة تأمرنا أن لا نقرِّب أنبياء الزور، وأن لا نسمع كلام الزور والكذب منهم حتى لو كان كلامهم له علاقة بالفرائض، بل حتى لو كان كلامهم في خدمة الخالق، لأن من أوامر التوراة أن لا نسمع لأنبياء الكذب حتى لو كان الهدف نبيلاً لأن سماع ما يقولونه حرام.

**رابعاً**: إن التوراة توجب علينا العمل بكل ما في وسعنا من أجل السلام والابتعاد عن الحرب، ولكن هؤلاء الأشرار الصهاينة يعملون على النقيض ويحاربون الشعوب الأخرى بشكل مستمر. إنه لا يجوز الدخول في الحرب من أجل توسيع الحدود أو من أجل منافع وهمية أخرى. إن الشريعة لا تبرر قتل اليهود من أجل تحقيق نصر أو من أجل منافع تخيلية. وهم من أجل أن يخدعوا البسطاء الذين يريدون اتباع الشريعة فإنهم يستخدمون الصهاينة المتدينين الذين يلبسون ثوب الأرثوذكسية الدينية، والذين يحرِّفون فرائض

التوراة ويجعلون التوراة سخرية، حيث يؤولونها بشكل كاذب ليثبتوا أن التوراة تتفق وآراء هؤلاء الهراطقة القتلة.

إنه من الواضح والبيِّن أن كل من يجرّ اليهود إلى الحرب ويخاطر بأرواحهم خارج فرائض التوراة فإنه قاتل، وأما حجتهم في أنه لم تكن هناك وسيلة لمنع الحرب فهي حجة واهية لا تستحق حتى النقاش، إذ أنهم كانوا مصمِّمين على الحرب، وأخذ القرار حولها كان بيد هؤلاء الزعماء الكفار الذين لا يرون لحياة اليهودي قيمة. وقد دخلوا فيها وهم على علم بأن نتيجتها ستكون قتلى كثيرين من اليهود، بل إنهم عرّضوا حياة كل يهودي للخطر من أجل المحافظة على حكومتهم... إنهم مستعدون للقضاء على أكثر اليهود من أجل أن يحققوا هدف حكومتهم ودولتهم الملعونة.

كيف يمكن للكهنة الذين ساعدوا الصهاينة أن يرفعوا رؤوسهم دون حياء؟! وكيف يمكنهم أن يكذبوا بكل وقاحة وأن يخدعوا اليهود بقولهم إن هؤلاء الكفار إنما يخوضون الحرب طبقاً لأحكام الشريعة؟! إن السماء لتتفطر من مراوغتهم وخداعهم ووقاحتهم العلنية والتي هي أوضح من الشمس للناس. إن الذي يجعل التوراة تتفق مع آراء الكفار هو كافر مثلهم حتى لو كان لابساً ثياب الحاخامين، بل حتى لو كان رئيس الحاخامين. إن تبريرهم الحرب بأنها كانت من أجل الدفاع عن النفس لأن العدو قد هدَّدهم بالقضاء عليهم هو تبرير غير مقبول.

**أولاً**: إنه من المعروف أن هذا التهديد ليس جديداً، وكان العرب قد هدَّدوا دون حساب في السنين السابقة.

**ثانياً**: إن ما يقوله الصهاينة بأن العرب قد هدَّدوهم بالقضاء عليهم إذن لماذا لم يخافوهم في تلك السنين، بل إنه كان بإمكانهم أن يجتمعوا معهم في السابق حول اتفاق سلام، ويمتنعوا عن إثارتهم إذا كانوا هم حقيقة خائفين. إنه ليس هناك ذرة صدق في قولهم في أنهم قلقون وخائفون من التهديد، وإن تبريرهم المبني على الدفاع عن النفس ضد تهديد العرب إنما هو من أجل خداع الناس، بل الواقع إنهم لم يخافوا العرب بل سخروا منهم. فكيف يسمح

إذن لهؤلاء أن يخاطروا بحياة اليهود؛ وبأوامر من قاموا بهذا؟ ومن الذي قال لهم إن هذا يتفق وفرائض التوراة؟ إنه من الواضح أن التوراة تناقض ما قاموا به، وطبقاً للشريعة فإنهم قَتَلة، وإن رجال الدين أولئك الذين أيدوهم وحرفوا أحكام التوراة لهم سيكونون في النهاية محاسبين على ما قاموا به. وإلى اليوم وبعد أن وضعت الحرب أوزارها فإن هؤلاء يتنازعون مع الأمم ويستفزّونها، ويعرّضون حياة آلاف اليهود في العالم إلى الخطر، وحتى لو كان هؤلاء صُلحاء فإنهم قد ارتكبوا ذنباً عظيماً بخوضهم الحرب ومخالفة الشريعة. لقد قال موسى بن ميمون: «حتى لو قرر اليهود الدخول في الحرب في سبيل الله فإنهم سيعاقبون عقاباً شديداً إذا لم يأخذوا الموافقة الشرعية على ذلك». إذن كيف يكون عقاب الذين يدنّسون اسم الله ويجتثون التوراة والدين اليهودي؟! إنهم لم يحقّقوا نصراً في الحرب، ولكن الذي حدث هو أن الله أنقذ اليهود برحمته. وليس للصهاينة الأنذال يدٌ في ذلك، بل إنهم كانوا مسبّبين للخوف والفوضى، إنهم لم يخدموا اليهود بحربهم، ولقد كان أفضل لهم لو أنهم لم يبدأوا النزاع ولم يدخلوا الحرب، وإن من يمدح هؤلاء ويمدح جيشهم فإنه يجدِّف على الله.

إن الإنسان يجب أن يبتعد عن هؤلاء ويبتعد عن جماعتهم إلى أقصى بقعة من بقاع الأرض، لأن معاشرتهم خطر على الإنسان وعلى الروح معاً، كما أنهم أناس تلاحقهم شبهة القتل».

وتتجلّى محاربة الستمار لإسرائيل والحكومة الإسرائيلية بالبيانات التي تصدرها منظمة الحاخامين التي ذكرناها سابقاً، وفيما يلي بيانان من هذه البيانات.

### البيان الأول:

«منذ التغيير الذي أحدثته الحكومة الملحدة في الأرض المقدسة هناك موجة من التشويش والفوضى، فحتى بين أولئك الذين يلتزمون بالفرائض والتوراة هناك حالة من التعاطف مع الحكومة الجديدة، لأنها ضمَّت أحزاباً دينية وبضمنها الحزب المعروف جداً الذي يفتخر بأنه ممثل التوراة

واليهودية[1] إن قرار هذا الحزب بالانضمام للتحالف هو الذي غير الميزان لصالح الحكومة الجديدة التي تتحدَّى شعوب العالم والحكومات القوية بصفاقة أعظم من السابق. إن هذا التجديف نحو الإله مخيف جداً، فاليهود الذين يمثلون الملتزمين بالتوراة يمدحون الأشرار ويساعدونهم على إنشاء حكمهم. وهم بعملهم هذا يعلنون للعالم كله بأنهم جزء لا يتجزأ من هذه الحكومة. إن هؤلاء مسؤولون مباشرة عن الأعمال التي يقوم بها هذا الحكم الكافر، وإن المسؤولية تقع على عاتقهم إذ أنه من غير تعاون الأحزاب الدينية فإن هذا الحكم لا يمكن أن يبقى.

إنه خلال هذه الأوقات العصيبة حيث شبح الحرب يهدِّد إخواننا في الأرض المقدسة فإن ممثلي اليهود المتدينين قد اختاروا ـ من أجل مصلحتهم ـ أن يساندوا الحكم الكافر، وفضَّلوا ذلك على القيام بمسؤوليتهم تجاه الشعب اليهودي. لقد اختاروا الانضمام إلى حكومة تتسابق مع الدول بغطرسة مخيفة، وهم يجيبون على هذه الاتهامات بأنهم حصلوا على تنازلات من أجل مصلحة الدين.

إنه من واجبنا أن نحذِّر ونعلن بأنه حتى لو أن هؤلاء قد تلقوا تعهداً من قبل الحكومة على بعض التنازلات، فليس هناك جواز من التوراة للانضمام إلى الحكومة. وعلى النقيض من ذلك فإنه خلال الأسابيع الماضية رأينا الحقد على الدين قد ازداد، وقد سبَّب ذلك في سفك بعض الدماء. وحتى لو أن الحكومة كانت مؤلفة من يهود كلهم يتبعون التوراة والفرائض فإن النهي عن إنشاء دولة لليهود قبل ظهور المخلِّص يبقى قائماً.

وقد كان اليهود قد أقسموا لله قسماً مغلَّظاً على ثلاثة أشياء: وهي أن لا يذهبوا إلى أرض فلسطين جماعات جماعات بالقوة. وأن لا يثوروا على حكومات البلدان التي يعيشون بينها. وأن لا يؤخِّروا بواسطة ذنوبهم قدوم المسيح المخلِّص كما هو مكتوب في التلمود. إن روحاً من الإلحاد يسكن داخل كل من يعتقد بأن اليهود يتمكنون من كسر طوق الشتات وإنشاء دولة مستقلة قبل ظهور المخلِّص.

---

(١) المقصود بهذا، هو الحزب القومي الديني.

إنه لمن المؤسف حقاً بأن الإيديولوجية الصهيونية الملحدة قد وجدت لها مكاناً الآن بين أتباع التوراة، وكثير من هؤلاء يضلّلون بالأمل الكاذب بأن زعماءهم الجدد سيطهرون الدولة الصهيونية ويجعلونها تسير في ضوء حكم التوراة.

إن آباءنا وحاخامينا السابقين قد ضحّوا بحياتهم ضد الصهيونية، وإنا إذا بقينا ساكتين فإن هذه الحركة ستنجح في السيطرة على اليهود الأرثوذكس، وإن المسؤولية تجاه المؤمنين تقع على عاتقنا، وإن هذا الوقت ليس وقت سكوت.

وإنه مما يزيد الوضع سوءاً أنه منذ أن دنّس حزب التوراة اسم الرب بانضمامه إلى الحكومة، فإن أعضاءه الأشرار بدأوا يسكتون أصوات اليهود الذين يتألمون لهذا الوضع، فعندما احتج مجموعة اليهود المتدينين في القدس لامهم هذا الحزب وعنّفهم واستهزأ بهم، ولم يتردد في استعمال كل الوسائل المنحطة تحت تصرفه ضدهم...

إن كل رياح الشرّ في العالم لا تتمكن أن تزحزحنا عن موقفنا.

فلنقوِّ أيدي الضعفاء، ولا ندع البقية من اليهود الأرثوذكس في أرض اسرائيل - الذين يحاربون الملحدين والمتعاونين معهم - تهوي تحت ضغط أولئك الذين يخطّطون لإسكات أصواتهم.

ونقول لإخواننا - المؤمنين بالله وتوراته - في الأرض المقدسة: «لا تسكتوا وارفعوا أصواتكم بالاحتجاج ضد القرارات الشريرة التي تزداد يوماً بعد يوم في أرض اسرائيل، وضد هؤلاء المتملّقين والمتزلفين الذين باعوا أنفسهم إلى الحكم الملحد. أنتم من هناك ونحن من هنا نرفع أصواتنا ونعلن للعالم كله بأننا مستمرون بالالتزام بتقاليد آبائنا المقدسين في كل جيل. ونحن ندين فكرة الانضمام إلى الحكم الملحد في اسرائيل ونحن ضدها، ونعلن أمام الملأ عن موقفنا الذي هو موقف التوراة: إن أية حكومة في أرض اسرائيل تكون قبل قدوم المسيح المخلّص هي إنكار للتوراة المقدسة وثورة عليها.

إن كل الذين يتعاونون مع الصهاينة بأي شكل من الأشكال لهم نصيب

في هذا العصيان المروِّع، ونحن نمد أيدينا إلى ربنا الرحيم بأن يقوِّينا في هذه الأيام العصيبة، ونحن مؤمنون بأن الرب سوف لا يترك شعبه وسيساعدنا على نشر نور العقيدة الحقة بين اليهود. . .

وقريباً سيتحقق الخلاص على يد المسيح الصالح»[1].

## البيان الثاني:

«إن المؤتمر المركزي لحاخامي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا الذي يمثل الغالبية من اليهود الأرثوذكس واليهود الحسيديم يشعر بأنه مضطر لتأكيد الموقف الذي بيَّنه في الماضي مرات عديدة. وهو إدانة التصريحات الخطيرة التي يطلقها الزعماء الدينيُّون في دولة إسرائيل، وقد تألمنا خاصة من أولئك الذين يحملون لقب «حاخام» والذين جلبوا العار على اليهود بأعمالهم وتهجمهم.

ونحن كشعب قد برهنَّا على مبادئنا الأخلاقية للعالم، وعلى عقيدتنا الدينية، وتمسكنا والتزامنا بعقيدتنا قد جلب علينا كثيراً من الاضطهاد في شتاتنا، وعلى الرغم من هذا فقد بقينا مخلصين لتقاليدنا. ومن هذه التقاليد التي التزمنا بها خلال القرون الماضية ثلاثة مبادىء ترتبط بالخلاص النهائي بواسطة المسيح المخلِّص الذي نصلي من أجل ظهوره يومياً. وهذه المبادىء الثلاثة هي:

١ ـ من الواجب علينا أن لا ننشىء دولة في الأرض المقدسة ولا نعمل على إنشائها قبل الخلاص الموعود لليهود.

٢ ـ من الواجب علينا القبول بالشتات حتى الخلاص الموعود.

٣ ـ من الواجب علينا أن نعيش في سلام وتآلف مع الشعوب الأخرى التي وضعتنا العناية الإلهية بينها.

وقد اتبعنا هذه المبادىء طيلة القرون الماضية دون تساؤل، وإن المتدينين الصهاينة قد اتخذوا من مذابح اليهود ذريعة من أجل أن يغيِّروا هذه

---

(١) The Jewish Guardian, vol 2, no. 6 (1982) pp. 27 - 8.

المبادىء ويحرِّفوها، ويبرروا أعمالهم في إنشاء اسرائيل، وهناك من اليهود من لوَّثوا عقيدتهم وأنزلوها إلى الحضيض بعبادتهم للعجل الذهبي ـ الحكومة الإسرائيلية.

إن هذه الدولة العلمانية هي صهيونية وليست يهودية، وطبقاً لقوانينها وحكومتها فإن كل أنواع الانتهاك للديانة اليهودية تُبرَّر وتُشجَّع. إن هذه الدولة تتغاضى عن الفساد وتشجِّع على تدنيس قدسية السبت، وتسمح بالإجهاض دون سبب، وتفرض تشريح الجثث، بل حتى القبور اليهودية القديمة قد دنستها، وتدعي بوقاحة أنها دولة يهودية!!.

إن الأحزاب الدينية في هذه الدولة قد سمحت لنفسها بأن تُستغل، وإن هذا الاستغلال تستفيد منه الدولة لكي تغطِّي انحرافها كي تُظهر لليهود أن كل عمل من أعمالها إنما هو طبقاً للتوراة. لقد ظهرت في السنين الأخيرة حركات قومية صهيونية تطالب بضم الضفة الغربية (إلى اسرائيل). ولقد شهدنا العرض المسرحي للحماس الديني من قبل حركة «غوش أمونيم» الذي سجن بعض أعضائها بتهمة النشاط الإرهابي. إن هؤلاء المتطرفين تحت غطاء الدافع الديني قد أنشأوا عدة مستوطنات في الضفة الغربية. إن الحاخام «مئيركهانا» قد دعا إلى طرد العرب من بيوتهم ودعا إلى إبعادهم من أراضيهم، وإن مجموعة من المتدينين قد أنشأوا مدينة في الضفة الغربية اسمها «عمانوئيل».

كل هذه الأعمال ارتكبت باسم التوراة المقدَّسة، ولا يجوز لنا بل ولا يحق لنا أن نسكت، إن من واجبنا أن ننتقد أولئك الذين يستعملون اسم الله بالباطل. إنه واجبنا المقدَّس ومسؤوليتنا الأخلاقية أن نطلب من هؤلاء إيقاف الكذب والهرطقة حيث يبرز من خلالهما انحرافهم. إن العقيدة اليهودية كما أُعطيت من قبل الإله لأجدادنا لم تقرّ وسوف لا تقرّ أبداً المبادىء الصهيونية القومية لدولة اسرائيل. وهذه المبادىء التي هي خليط من الإلحاد واللادينية هي إيديولوجيه غريبة على اليهود. ويجب أن لا ندع هؤلاء يدَّعون تمثيل اليهود. إن رغبتنا الحقيقية كيهود أتقياء أن نعيش بسلام في الأرض التي نحلّ

فيها حتى يتحقق الخلاص الإلهي الموعود حيث سيكون السلام والتآلف بين البشر ـ آمين»[1]. وقد ذهب الزعيم الحالي لهم موشيه تيتلباوم إلى إسرائيل هذه السنة (١٩٩٤) بصحبة ألفين من أتباعه. وعند وصوله إلى إسرائيل استقبله الآلاف من اليهود وأحدث وجوده ضجة لاسرائيل وإحراجاً لها حيث أعلن إدانته لها وللصهيونية.

وعلاقة الستمار باليهود الحسيديم الآخرين ليست علاقة طيبة سواء أكان ذلك في إسرائيل أم في الولايات المتحدة الأمريكية.

وهناك الكثير من النقد والنقد المضاد حتى قيل بأنه لم يثر أي زعيم حسيدي جدلاً في القرن العشرين مثل الذي أثاره زعيم الستماريم السابق «يوئيل تيتلباوم». وأكثر ما تكون هذه الخلافات مع الحسيديم اللوبافتش، وأكثر النقاط إثارة للجدل والنقاش بينهم هي نظرة كل مجموعة إلى إسرائيل كدولة، فقد رأينا كيف تنظر كل مجموعة إليها. وبعد حرب عام ١٩٦٧ م أصبحت الخلافات أكثر شدة، ولقد وصلت الخلافات في السبعينات بين المجموعتين إلى الحد الذي هدَّد به بعض أفراد الستماريم زعيم اللوبافتش بالقتل حتى كان تحت حراسة الشرطة على مدار الساعة.

وهناك أيضاً توتر في العلاقات بينهم وبين الأمريكان السود، وكانت امرأة ستمارية قد اغتُصبت وقتلت عام ١٩٩٢ م، وقد اتهم الستمار الأمريكان السود بذلك. ويتهم السود الحكومة بأنها تحابي الحسيديم وتفضلهم في المساعدات المالية والسكن، وقد اتهمت بعض النساء السود بعض أعضاء هذه المجموعة بقتل مومسات بعد التمتع بهن.

---

(١) The Jewish Guardian, vol 2, no. 10 (1986) pp. 4 - 5.

# الفصل الحادي عشر

# من عادات الحسيديم في الزواج وما بعده

# من عادات الحسيديم في الزواج وما بعده

يعتبر الزواج بالنسبة إلى اليهود الأرثوذكس بصورة عامة شيئاً مهماً، وقد أكدت أدبياتهم على ذلك. فقد جاء في التلمود: «إن اليهودي الذي ليس له زوجة ليس برجل». ومن أقوال الحاخامين كذلك أنه: «لا يجوز للرجل أن يعيش دون زوجة، ولا يجوز للمرأة أن تعيش دون زوج». وقالوا كذلك: «إن من يبلغ العشرين ولم يتزوج فإنه يقضي حياته في ذنوب»[١] وغير ذلك من أقوال.

وبالنسبة إلى الحسيديم فإن الحسيد يعتقد بأن حياته لا تكتمل دون زواج، ولذلك فإنه لا يخطر على باله أن لا يفكر في الزواج إذا كان أهلاً له، وهو بمجرد أن يبلغ عمر الزواج التقليدي وليس الشرعي ـ الذي هو في حدود الثامنة عشرة ـ يبدأ هو وأهله بالبحث عن زوجة.

ومسألة الحصول على زوجة في الوقت الحاضر قد أصبحت من المسائل التي يهتم بها الحسيديم كثيراً. وهي لم تكن لتثير قلقهم كثيراً في الموطن الأصلي لهم لأن عائلة الزوجة غالباً ما تكون معروفة وأصلها معروف كذلك، إذ أن شجرة العائلة كانت تعرف عند الحسيديم إلى الجد الثالث أو الرابع، وكان الحسيديم يومها متأكدين من أن البنت التي يطلبون يدها تتوفر فيها كل المواصفات المطلوبة ومنها الالتزام الديني للعائلة.

ولكن بعد انتشار الحسيديم وتوزعهم في أنحاء كثيرة من العالم لم تعد العوائل بالضرورة معروفة، لسعة حجم جماعة الحسيديم وكثرة عدد أفرادها،

---

(١) S. Heilman, Defenders of the Faith, p. 278.

ولذلك فإن الحسيديم اليوم بصورة عامة يجب أن يتأكدوا بأنه ليس هناك عيب في العائلة. والمقصود بالعيب هنا ليس العيب الجسماني، ولكن المقصود به أن لا تكون العائلة معيبة دينياً من وجهة نظرهم، كأن يكون أحد أفرادها قد تزوج من غير يهودية، أو تزوجت المرأة من غير يهودي، ويقصد بالعيب كذلك أن لا يكون أحد أفراد هذه العائلة قد عرف بنقده لليهودية الأرثوذكسية، كأن يكون مثلاً من أتباع اليهودية الإصلاحية. وإذا كانت المرأة المخطوبة مطلّقة فيجب أن يتأكدوا من أن الطلاق قد تمَّ بالطريقة المقبولة لدى الحسيديم، أي أن طلاقها كان عن طريق حاخام وأن الحاخام له أهلية القيام بأداء الطلاق من الناحية الدينية، وليس هناك قدح في أهليته ليقوم بذلك. وأن شهود الطلاق كانوا مؤهلين للشهادة طبقاً لليهودية الأرثوذكسية(١). كل هذه المسائل يجب أن يتأكد منها الحسيدي، ولما كانت هذه المواصفات لا تتوفر في الأعم الأغلب إلا عند اليهود الأرثوذكس خاصة الحسيديم منهم، فإنهم في الغالب لا يتزوجون إلا فيما بينهم. والكثير من مجموعات الحسيديم لا يتزوجون إلا من مجموعتهم، فالستمار يتزوج بعضهم من بعض وهكذا.

ومسألة الصداقة بين الشاب والشابة قبل الزواج كما هي معروفة في أوروبا وأمريكا مثلاً مرفوضة عند الحسيديم، إذ أنه لا يمكن بأية حال من الأحوال في رأيهم أن يكون الزواج مقدَّساً إذا بني على ذنب وأقيم على ذنب كما يقولون، وهم يعتقدون أن عادة الصداقة تنتهك أكثر قيمهم قدسية وحرمة، وأنها تقود إلى انتهاك الدين والشريعة بطريقة تدريجية، حيث تُتوج بالعلاقة الجنسية المحرمة. وعادة الصداقة بين الشاب والشابة تؤرق الحسيديم وتخيفهم لأنها قد أصبحت ممارسة بين اليهود بصورة عامة. وممَّا يزيد من قلقهم أنها أصبحت عادة ليس بين اليهود غير الملتزمين دينياً، بل كذلك هي منتشرة بين اليهود الذين يعتبرون أنفسهم أرثوذكس(٢). وهذا أحد الأسباب التي تجعل الحسيديم يفصلون بين الجنسين في وقت مبكر ـ في عمر الثالثة عند بعض المجموعات ـ ويطلبون من بناتهم أن يلبسن لباساً محتشماً، ويزوجوهن في وقت مبكر في حدود السادسة أو السابعة عشرة.

(١) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, p. 45.
(٢) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, pp. 43 f.

ولأن عادة الصداقة مرفوضة عند الحسيديم فإن الخطبة عادة تتم عن طريق شخص منهم يسمي الشدخان (الوسيط). والشدخان عادة يعرف عوائل المجموعة الحسيدية جيداً، ويعرف الشخص المناسب للبنت ويعرف كذلك من لا يناسبها. وبعد أن يجد بنتاً تناسب الشاب يخبر أهله بذلك، وبعد أن يتحققوا من صلاحية البنت تبدأ عملية الخطبة، فتجري عدة اجتماعات تسبق الخطبة يكون للشدخان دور رئيسي فيها. وبعد هذه الاجتماعات يذهب أهل الشاب إلى بيت عائلة البنت لخطبتها، وعندما يحضر هؤلاء فإن أهل البنت عادة لا يقدِّمون شيئاً من طعام أو شراب قبل الاتفاق على الخطبة، وحينها يسمح للشاب والشابة أن يلتقيا في غرفة لوحدهما على أن يكون بابها مفتوح قليلاً، حتى لا يخالفا حكم الشريعة اليهودية الذي يحرم لقاء الرجل والمرأة على انفراد، ويستمر اللقاء نصف ساعة في الغالب. وبعد اللقاء يتحدث أهل كل من الخطيب والخطيبة معهما على انفراد ليروا رأيهما. وإذا كان هناك اتفاق فإن العادة أن تكسر بعض الأواني الزجاجية بهذه المناسبة، وهم يعتقدون بأنهم يطردون شياطين الشر بذلك. والشدخان يأخذ على عمله هذا أجراً من العائلتين، وهو لا يستحق هذا الأجر إلا بعد توقيع عقد الزواج، أما إذا لم تنته الخطبة بالزواج فإنه لا يُعطى أجراً على ذلك ويذهب عمله سدى حتى لو لم يتم الاتفاق في آخر لحظة.

وقبل الزواج تلقَّن البنت بعض المسائل المهمة كاستعمال المقواه (الحمام الشرعي)، والتأكد من حالة الطمث، وكذلك ما يجب عليها القيام به تجاه زوجها حيث تخبر بأنها يجب أن تطيع زوجها على الرغم من أنها شريكة له، إذ أنها يجب أن تنظر له على أنه سيد لها وليس نداً، كما جاء في سفر التكوين ٣/ ١٦/ «وقال للمرأة لأكثرنَّ مشقّات حملك تكثيراً، فبالمشقة تلدين البنين وإلى رجلك تنقاد أشواقك وهو يسودك». ويوقع على ورقة العقد (كتوباه) الزوج والزوجة، ويوقع عليه كذلك شهود لا تربطهم صلة قرابة بالزوجين، وفي العقد كذلك يحدَّد يوم الزواج، ويتبادل العروسان الهدايا. وغالباً ما يهدي الزوج قلادة أو ساعة، وتهدي الزوجة لزوجها كتاباً دينياً مهماً.

وفي يوم السبت الذي يسبق الزواج يُدْعَى العريس إلى قراءة التوراة في

الكنيس للصلاة اهتماماً به وتشريفاً له. وبعد الانتهاء من الصلاة يُرمى عليه شيء من حبوب الحنطة أو غيرها، والحبوب عند الحسيديم ترمز إلى الكثرة. ويُرمى عليه كذلك شيء من الجوز لأن العدد الذي يساوي حروف هذه الكلمة هو نفسه الذي يساوي حروف كلمة طوب (طيب) ويُرمى عليه كذلك شيء من السكر رمزاً لتكون الحياة حلوة للزوجين.

وفي يوم الزواج يأخذ العريس أصحابه إلى الكنيس وهم يغنون[١]، وهو الذي يسمَّى في بعض اللهجات العربية الدارجة «زفّة»، ويصوم العروسان في يوم الزواج. وقد بدأت عادة الصيام هذه في القرن السادس عشر، وهي معتمدة على قول التلمود بأن ذنوب العروسين تغفر في يوم زواجهما. ويرى بعض الباحثين اليهود بأن التفسير المعقول هو أنه حتى يبتعد العروسان عن شرب الخمر. والصيام تقليد شائع بين اليهود الأرثوذكس بصورة عامة وليس عند الحسيديم وحدهم[٢].

وأثناء الاحتفال بالزواج يُقرأ العقد بصوت عال، وفي أثناء ذلك يحمل أبو العروسين الشموع ويقف العروسان تحت المظلة. وفي أثناء الاحتفال يكسر العريس شيئاً من الزجاج بسحقه تحت قدمه تذكاراً لتهديم المعبد، ويعطي العريس عروسه خاتماً من الفضة وليس من الذهب كما عند بقية اليهود، إذ الزوج عند الحسيديم لا يلبس خاتماً، وعندئذٍ يختلي العروسان لفترة قصيرة وهي المرة الأولى التي يختليان فيها خلوة كاملة[٣].

وفي أثناء وليمة الزواج عادة ما يُحمل العريس على الأكتاف ويدور به أصحابه وهم يرقصون. وفي نهاية الوليمة يُعطي العريس إلى عروسه خاتم من الماس، وتستمر الاحتفالات بالزواج لفترة أسبوع، وأكبر هذه الاحتفالات يكون في اليوم الأول. وكثير من الحسيديم لا يأخذون صوراً مثل مجموعة «راب أرْله». فهؤلاء يعتقدون ـ وهو اعتقاد مأخوذ من القبلاه ـ بأن تصوير الناس بشكل دقيق يؤثر سلبياً على حياتهم. وهذا هو السبب الذي يجعل

---

(١) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 81.

(٢) A. P. Bloch, the Biblical and Historical Background of Jewish Customs and Ceremonies, p. 29.

(٣) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 81.

اليهود في حي «مئة شعاريم» يرفضون التصوير من قبل السائحين. وقد قيل بأن زعيم مجموعة «راب أرْله» عندما أراد أن يحصل على جواز، رُسمت له صورة أولاً، ومن هذه الصورة أُخذت له صورة لجوازه. وفي هذا الاحتفال يهدي أبو العروس شمعداناً إلى بنته لتستعمله للشموع أيام السبت. وفي اليوم الثاني من الزواج تحلق العروس شعرها تماماً[1]. ومن عادتهم أن الزوجة في الأشهر الأولى لا تطبخ حيث يقوم أهلها بتوفير الطعام لها ولزوجها.

ومن المسائل الشرعية التي يلتزم بها الحسيديم - واليهود الأرثوذكس بصورة عامة - هو امتناع الزوج عن مضاجعة زوجته أثناء طمثها وبعد انتهائها منه بأسبوع، وتُعلِم الزوجة زوجها عند الحسيديم بحالة الطمث بوضع منديل خاص عند الفراش، وبعد تطهّرها منه تنحّيه جانباً. وأثناء فترة الطمث هذه لا ينام الزوج مع زوجته في سرير واحد، بل ولا يمسها ولا يتناول شيئاً منها. وإذا أراد أن يفعل ذلك فإن الزوجة تضع الشيء على الأرض أولاً ثم يتناوله الزوج منها. وهذه الممارسة معروفة أيضاً عند الكثير من اليهود الأرثوذكس. وعندما تغتسل المرأة من طمثها فإن غسلها يجب أن يكون في حمام شرعي خاص (مقواه)- الذي تحدثنا عنه سابقاً - حيث ترتمس فيه ارتماساً، وتزيل كل الأشياء الطارئة على جسمها حتى الشعرة الساقطة، بل وتنظف أذنيها وأظافرها. وهناك مشرفة في هذا الحمام ترشد النساء للطريقة الصحيحة إذا لم تكن المرأة تعرفها، ويعتبر الحمام الشرعي متنفساً للنساء من العزلة، كما هو أيضاً متنفساً للرجال كذلك حيث تجتمع النساء سوية لتبادل الأحاديث والأخبار.

وعندما تحمل المرأة وهو عادة ما يكون في السنة الأولى من زواجها فإن الحسيديم يهتمون بذلك اهتماماً كبيراً، لأنهم يعتقدون بأن الطفل يتأثر بما تعمله المرأة وتنظر إليه، ولذلك فإنهم يؤكدون على سلوك المرأة أثناء حملها حيث يجب أن تسلك سلوكاً موافقاً تماماً للشريعة اليهودية، لأنها - في رأيهم - إذا لم تسلك هذا السلوك فستلد حينئذٍ طفلاً معوَّقاً أو مريضاً. وعلى المرأة الحامل كذلك أن لا تأكل كثيراً، ويجب أن لا تنظر إلى شيء غير طاهر، ويجب عليها وهي حامل أن تعطي صدقة قبل أن تشعل الشموع ليوم

---

(١) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 82.

السبت وتصلي صلاة خاصة كذلك. وإن تفكير المرأة يؤثر على الطفل وهو في بطنها، وقد ذكرنا سابقاً بأنهم يقولون إذا كانت الزوجة تفكر كثيراً بكلب أو قطة مثلاً، فقد يولد الطفل وأصابعه تشبه المخالب، وعند الولادة فإن الحسيديم لا يمانعون في أن تدخل المرأة المستشفى بشرط أن تكون تحت إشراف أناس من اليهود الأرثوذكس، وبعد الولادة لا تبقى لأكثر من ثلاثة أيام فيها في الغالب، حيث تخرج بعدها إلى بيت أهلها وليس إلى بيت زوجها حيث تبقى حتى انتهاء أيام نفاسها(١).




صورة للحرز الذي يستعمله الحسيديم لحماية الأم والطفل من عين الشر.

(١) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, p. 85.

ويرى الكثير من الحسيديم بأنه في هذه الفترة يكون الطفل وأمه عرضة للعين الشريرة، ولذلك فإنهم يستعملون حرزاً خاصاً لهذه المناسبة يضعونه على الجدران الأربعة للغرفة التي تبقى فيها المرأة. وهو حرز مكتوب باللغة العبرية. في أعلاه مكتوب «حرز للولد والوالدة» وعلى جانبي هذه العبارة كتبت عبارة «فأل خير». وعلى الجانبين أسماء بعض الأنبياء وزوجاتهم. وهناك كذلك دعاء للأم والمولود. وفي وسطه رسمان: أحدهما رسم كف فيه كتابات عبرية كذلك، والآخر لحيوان خرافي يشبه الديك[1]. (أنظر الصورة في الصفحة السابقة).

وإذا كان المولود ذكراً فإن الاحتفالات تكون كثيرة بهذه المناسبة. ومن هذه الاحتفالات الاحتفال الذي يكون ليلة السبت بعد الولادة، وفي هذا الاحتفال يأكلون الحمص عادة، وهم يعطون لذلك أسباباً لا نرى فائدة من ذكرها. ومن هذه الاحتفالات الاحتفال بختان الطفل في اليوم الثامن، وفي ليلة الختان تسهر العائلة طيلة الليل تقرأ مقاطع من كتاب «الزهر»، وهم يعتقدون أنهم بهذا يمنعون «مَلَك الشر» من الاقتراب من الطفل. ومنذ اليوم الأول للولادة يأتي بعض الأطفال كل ليلة يصلّون عند مهد الطفل صلاة المغرب إلى يوم ختانه. وفي احتفال الختان يوضع كرسي خالٍ للنبي إلياهو - الذي يعتقد اليهود الأرثوذكس بأنه ما زال حياً - وإذا كان هناك تأخير غير متوقع فإنهم يفسرون ذلك بأن النبي إلياهو يحضر احتفال ختان طفل آخر. ويضع الخاتن عند بعض الحسيديم قطرة من الدم في فمه، وهي عادة اتبعوها ولا ندري سببها.

وهم يعتقدون بأن حضور حفل الختان شيء مهم، إذ أن الله يغفر لمن يحضره. وهم يروون في ذلك رواية، وتقول هذه الرواية «إن النبي إلياهو خلال حياته على الأرض اضطر للاختفاء من اليهود الذين اضطهدوه، وقد سأله ربه عن سبب اختفائه فأجابه بأن اليهود خانوا العهد. فأمره الرب أن يحضر الختان لأنه تطبيق للشريعة وللعهد بين الرب واليهود، ولكن إلياهو النبي لم يوافق على ذلك، إذ قال ربما يكون الخاتن مذنباً، فقال له الرب بأنه

---

(١) Ibid, p. 84.

سيغفر له، فقال إلياهو ربما من يحمل الطفل يكون مذنباً، فقال له الرب سأغفر له كذلك، فقال إلياهو ربما يكون هناك مذنبون، فأجابه الرب بأنه سيغفر لهم جميعاً» ولذلك ـ يقولون ـ[1] فإن كل من يحضر الاحتفال تغفر ذنوبه.

ثم يكون هناك احتفال آخر وهو احتفال فداء الابن البكر ـ إذا كان الولد بكراً ـ والابن البكر يجب أن يكون حقيقياً، فإذا أسقطت المرأة بعد ستة أسابيع من حملها الأول أو كان المولود الأول بنتاً فإن المولود لا يعتبر بكراً، والفكرة اليهودية عن هذا الفداء هي فكرة قديمة حيث يعتبر الابن البكر من حصة الإله، ثم بعد ذلك أصبح المال بمرور الزمن يعوِّض عنه، وذلك بإعطاء بعض قطع الفضة للكاهن عندما كان هناك كهنة يخدمون في المعبد ويقومون على شؤونه، وهذه القطع الفضية التي تقابل خمسة شيكلات (جمع شيكل) لا تُعطى عن أولاد الكهنة ولا عن أولاد اللاويين، فهؤلاء يُعْفَون منها، وهي إحدى المميزات التي اختص بها هؤلاء من بين قبائل بني اسرائيل.

والاحتفال الآخر للولد هو عندما يبلغ الطفل الثالثة من العمر، ففي هذا العمر يقص «صديق» المجموعة شعر الطفل كلَّه ولا يبقي منه إلا ضفيرتين على جانبي الرأس، حيث تبقى هذه على الدوام دون قص عند الكثير من الحسيديم. وإذا صادف إكمال السنة الثالثة أيام الاحتفال بعيد «لاغ بأُومر» ـ وهو عيد شعبي يكون بين اثنين من أعياد اليهود المقدسة عندهم ـ فإن الطفل يؤخذ إلى قبر الحاخام الشهير شمعون بن يوحاي في منطقة «ميرون» ويقص شعره هناك، وإنما يقص شعر الطفل في الثالثة عند اليهود اعتقاداً منهم بأن النبي إبراهيم قد ميّز ربَّه وعرفه كإله واحد في هذا العمر[2].

وتعتبر كثرة الأولاد وإنجابهم واجباً مقدَّساً عند الحسيديم، وذلك التزاماً لما ورد في التوراة، حيث جاء في سفر التكوين ١/٩ «انموا واكثروا واملأوا الأرض». إضافة إلى تأكيد حاخامي اليهود على ذلك، فقد قال الحاخام والفيلسوف المعروف موسى بن ميمون في هذا الصدد: «إن علماءنا قد أوجبوا علينا أن لا نتوقف عن إنجاب الأولاد ما دمنا قادرين على ذلك، وإنَّ من

---

(١) Ibid, P.86.
(٢) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem, pp. 85 - 7.

أضاف مولوداً جديداً إلى بني اسرائيل فكأنه قد بنى كل الدنيا»[١]. ولذلك فإن منع الحمل غير معروف عندهم، بل إنه مرفوض ويعتبر ذنباً يعاقب عليه بالقتل.

وهذه الممارسة مرفوضة حتى في أكثر الحالات صعوبة. ويقولون إن هذه الممارسة إضافة إلى كونها غير يهودية فقد حرمها أكثر علماء الدين اليهود، وإن كان بعض المتأخرين منهم قد أجازها في حالات خاصة. ومن هذه الحالات حالة ما إذا كانت الزوجة في خطر، بشهادة طبيب عند حاخام معروف مشهود له بتقواه وصلاحه، وعلى أن يكون حسيدياً وليس من جماعة يهودية أخرى، إذ أن ذلك لا يعتد به ولا يعتبر شيئاً شرعياً. ولا يجوز أن يكون هناك منع لغير هذا السبب[٢].

وبسبب عدم ممارسة منع الحمل فإن العائلة عند الحسيديم غالباً ما تكون عائلة كثيرة الأولاد، حيث يكون عدد هؤلاء في المعدل ستة أو سبعة، وليس من الحالات الاستثنائية أن يكون لدى العائلة الواحدة اثنا عشر طفلاً أو ثلاثة عشر طفلاً وقد ذكر بأن امرأة من جماعة الـ«راب أرْله» الحسيدية توفيت فمشى في جنازتها حوالي ثمانمائة شخص من أولادها وأحفادها وأولادهم[٣].

وعند بعض المجموعات الحسيدية إذا مرَّت فترة زمنية تجاوزت السنتين بين طفل وآخر فإن العائلة تكون هدفاً للنظرة السلبية من الآخرين بل والإشاعات كذلك. وإذا مارست الزوجة ـ لسبب من الأسباب ـ منع الحمل سرّاً دون علم زوجها ـ وهو شيء نادر جداً ـ فإن ذلك غالباً ما يكون بعد الطفل الخامس أو السادس.

والطلاق قليل جداً بين الحسيديم، فحتى عندما يكون الطلاق جائزاً طبقاً للشريعة اليهودية ـ في حالة عدم الإنجاب لفترة محددة مثلاً ـ فإن الزوجين لا ينفصلان ويستمران في حياتهما أملاً في الإنجاب، وهناك أسباب اجتماعية تجعلهما لا ينفصلان عن بعضهما.

---

(١) S. Heilman, The Defenders of the Faith, p. 317.

(٢) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, p. 46.

(٣) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusalem.

من هذه الأسباب نظرة الحسيديم إلى الرجل المتزوج، فإن هذه النظرة فيها الكثير من الاحترام بالمقارنة مع الرجل المطلّق وهذا نفسه ينطبق على المرأة. وأحد الأسباب كذلك قلّة النشاطات الاجتماعية لدى الجماعة وإن وجود الزوجين سوية يعوض كثيراً عن فقدان هذه النشاطات. ومن الأسباب كذلك عدم انفتاح المجموعة الحسيدية على غير أتباعها، حيث يكون هذا الانفتاح أحد أسباب توتر العلاقة الزوجية وإثارة المشاكل بين الزوجين[١]، لما يدخله من أفكار جديدة لم تعهدها المرأة الحسيدية ضمن محيطها. وإذا ما حصلت حالة طلاق فإنه من الصعب على الرجل أن يتزوج مرة أخرى من مجموعته، ولكن ذلك ليس صعباً على المرأة المطلقة.

والكثير من الحسيديم يحذرون الحسد ويخشونه كثيراً، ولذلك فإنهم إذا تحدثوا عن عدد الأولاد أو تحدثوا عن ثروة شخص أو صحته فإنه يضيفون عبارة «يبعد الشر عنه»، أو يضيفون عبارة «الله يعطيه الصحة والعافية». ودفعاً للحسد فإن بعضهم يستعمل أشياء يعتقدون بأنها تدفع الحسد عنهم وتبعد تأثيره، ومن هذه الأشياء الحرف H الذي هو رمز للإله «يهوه» والذي يصنعونه من المعدن ويعلقونه على صدورهم. والكثير من الدكاكين في حي «مئة شعاريم» تبيع هذا الرمز[٢]. وقد ذكرنا سابقاً كيف أن المرأة التي ولدت حديثاً تضع حرزاً في غرفتها دفعاً للعين الشريرة.

ومن عادات الكثير من الحسيديم أنهم ما زالوا يعالجون بعض الأمراض بطرق قديمة ـ على الرغم من أنهم لا يترددون بمراجعة الطبيب ـ ومن هذه المعالجات التي ما زالت سائدة بينهم معالجة وجع الرأس بأخذ أربع حبات قهوة ومضغها ثم لفظها بسرعة على مدى خمسة أيام. كذلك ما زالت بعض المعتقدات القديمة سائدة بينهم مثل حرق بقايا الأظافر عند قصها خوفاً من أن تدوسها المرأة الحامل فتسقط حملها. ومثل كتابة اسم الزوج والزوجة مع اسم آدم وحواء على تفاحة، ورسم خط حولها بإبرة جديدة، حيث يعتقدون بأن ذلك يزيد من حب الزوجين لبعضهما[٣]، إلى غير ذلك من معتقدات.

---

(١) S. Poll, The Hasidic Community of Williamsburg, pp. 57 f.

(٢) D. Meijers, Ascetic Hasidism in Jerusallem, p. 96.

(٣) Ibid, p. 95.

ولما كان الفصل بين الجنسين عادة تواضع عليها الحسيديم وأصبحت جزءاً من حياتهم الاجتماعية التي لا يتخلون عنها، فقد أصبح حديث الرجل مع المرأة في الشارع بل السلام عليها ـ حتى لو كان يعرفها ـ شيئاً غير مقبول لدى الحسيديم وخارجاً عن حدود اللياقة والأدب. وهذا ينطبق بصورة أشدّ على المرأة، ولكنهم ربما تسامحوا قليلاً في هذا مع كبار السنّ إذا صدر ذلك منهم. والكثير من نساء الحسيديم يتخذن أعمالاً خارج البيت، ويساعدن بذلك الرجل في الإنفاق على العائلة، خاصة إذا كان الزوج طالب «يشيفاه» أو طالب «كلل». ولا يتردد الزوج في مساعدة زوجته في أعمال البيت، وليس من الغريب مثلاً أن يطبخ الزوج طعاماً، أو يشتري حاجيات للبيت، أو يجلس مع أولاده حتى تحضر المرأة من عملها، ومثل ذلك من أمور.




عروسان من الحسيديم وترى المرأة وهي تضع شعراً اصطناعياً.

## الفصل الثاني عشر

# لباس الحسيديم ومظهرهم

# لباس الحسيديم ومظهرهم

يلبس الحسيدي في الغالب قفطاناً طويلاً أسود (أو بدلة سوداء) وقبعة سوداء (من الفرو في المناسبات وخاصة يوم السبت). وتحتها قلنسوة. وهم يزرّون جهة اليمين من القفطان أو البدلة على الشمال على عكس ما هو متعارف عليه بين الناس. والغالبية العظمى من الرجال لا يلبسون لباساً حديثاً، ويلتزم الحسيديم بهذا اللباس على الرغم من قدمه، وقد حثّهم زعماؤهم على الالتزام به وعدم تغييره، ومن أقوالهم بهذا الخصوص: «يجب على اليهودي أن يكون حذراً جداً حتى لا يسلك سلوك غير اليهود، ويجب عليه أن ينفصل عنهم في ملابسه وعاداته الأخرى حتى لا يختلط بهم ويتعلّم منهم»[١].

وكان زعيم جماعة ريمانوف Rimanov الحسيديم قد اجتمع بزعماء اليهود لإقرار قيود على لباس الرجال والنساء، ومن هذه القيود أن على الرجال أن يلبسوا قميصاً كما كان أجدادهم، ولا يجوز لهم أن يلبسوا لباساً حديثاً، وإذا خاط الخياط لباساً حديثاً فإنه يغرّم في المرة الأولى، وفي المرة الثانية يطرد من عمله. وعلى النساء أن لا يلبسن غطاء رأس لونه أحمر، ولا يجوز لغير المتزوجات أن يلبسن قميصاً ألمانيا، ولا يضعن شعراً اصطناعياً، ولا يلبسن لباساً على الطراز الحديث[٢].

وعلى الرغم من أن الحكومات كانت تطلب منهم تغيير لباسهم إلا أن زعماء الحسيديم كانوا يصرون على الالتزام بلباسهم،وقد ذكرنا بأن الحاخام

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hassidim, p. 297.

(٢) Ibid, p. 298.

إسحق مئير ألتر (ت ١٨١٦ م) كان قد سجن لعدم إطاعة قرار الحكومة البولندية بتغيير اللباس. ومنذ بداية الحركة الحسيدية كان الحسيديم يستعملون الحرير الخالص، أو الفرو الخالص، أو وبر الجمال، أو الكتان الخالص، أو القطن، ولم يكونوا يلبسون الصوف خوفاً من اختلاطه بالكتان، وهذا الخليط ممنوع لبسه بنص التوراة، وهو يسمى بالعبرية «شعطنز». وقد ورد النهي عن لبس هذا الخليط في سفر التثنية ٢٢/١١ بالنص التالي: «لا تلبس ثوباً خليطاً (شعطنز) من صوف وكتان معاً» وهذا النهي كأي نهي آخر عام في اليهودية يشمل الرجال والنساء. وقد شرح حاخامو اليهود وعلماؤهم طبيعة هذا النهي ومصاديقه، وأكدوا عليه في كتب الفقه، وقد خصَّص يوسف كارو الفقيه اليهودي المعروف بعض الفصول لهذا الموضوع في كتابه الشهير«شلحان عاروخ».

والحسيديم حذرون من لبس الصوف خشية أن تكون معه خيوط من الكتان، ولقد كان الكتان في موطن الحركة الحسيدية في أوكرانيا وبولندا أرخص مـن الصوف، وكان احتمال خلطه معـه وارداً. ولشدة حذرهم فإنهم لا يجيزون للشخص الذي يؤم الصلاة في الكنيس أن يلبس صوفاً لاحتمال وجود خيوط من الكتان في الصوف والشخص لا يعرف ذلك فيؤثر على صلاته[1]. ولا بد للحسيدي أن يفحص ما يلبسه قبل لبسه ليتأكد من أن ما يلبسه ليس خليطاً من الصوف والكتان، وقد أنشأت المجموعات الحسيدية مختبرات خاصة لهذا الغرض، وفي هذا المختبر يفتح الرداء بحذر واعتناء من الأطراف المخيطة، وبعد التأكد من أن اللباس خالٍ من مادة خليطة توضع عليه علامة تدل على فحصه من قبل المختبر وصلاحيته للبس. وبعض المجموعات الحسيدية تعلن عن وجود مثل هذه المختبرات، وهنا نموذج من هذه الإعلانات صادر عن مجموعة الحسيديم الستمار:

«جاء في التوراة: «لا يجوز أن تلبس خليطاً من الصوف والكتان معاً».

إن لبس الخليط (من الصوف والكتان) يعتبر مخالفة شديدة لشريعة التوراة، وهو مثل أكل لحم الميتة (في حرمته) وقد بيَّن الفحص أن الملابس

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, pp. 291 ff.

كثيراً ما تحتوي على هذا الخليط، وقد أكد المختصون أن أوكد طريقة لمعرفة هذا الخليط هو طريق التحليل الكيميائي، أو بواسطة الفحص الميكروسكوبي، لذلك أنشأنا مختبراً للتأكد فيما إذا كان اللباس يحتوي على هذا الخليط أو لا. إنه لواجب شرعي على كل يهودي أن يطلب من المحل الذي يشتري منه ملبوساً أن يكون هذا الملبوس قد تمَّ فحصه من قبل المختبر وأجازه ووضع عليه ختمه. وعند الطلب فإن أي رداء يمكن فحصه بأجرة رمزية.. والأجزاء التي يتبين أنها خليطة تستبدل دون أن يؤثر ذلك على مادة اللباس».

ثم تؤكد هذه الجماعة على أن هذا الخليط لا يجوز لبسه حتى بطريق الخطأ، إذ أن لبسه ـ كما يقولون ـ يجعل صلاة لابسه باطلة غير مقبولة. وهناك حاخام يشرف على هذا المختبر ولا يجوز لأحد أن يقوم بعملية الاختبار والفحص إلا إذا كان عنده وثيقة من هذا المختبر بعد أن يكون قد تدرب فيه[١].



حسيديم في القدس يرتدون لباساً خاصاً بمناسبة دينية

(١) S. Poll, the Hasidic Community of Williamsburg, pp. 105f.

# الصيصيت

ويلبس الحسيديم كذلك لباساً له في أذياله أهداب تسمى صيصيت، ويطلق اليهود على اللباس نفسه صيصيت تجوّزاً، وقد نصت التوراة على وجوب لبس هذا اللباس في سفر العدد ١٥/٣٧ ـ ٤٠ حيث جاء فيه: «وخاطب الرب موسى قائلاً كلِّم بني إسرائيل ومُرْهم أن يضعوا لهم أهداباً على أذيال ثيابهم مدى أجيالهم، ويجعلوا على أهداب الذيل خيطاً أزرق، فيكون لهم هدباً ترونه وتذكرون جميع وصايا الرب وتعملون بها».

ولا بدَّ لهذا اللباس من أن يكون له زوايا أربع، ولذلك يجعل على شكل مستطيل تكون في وسطه فتحة يدخل الرأس منها، ويكون جانباه القصيران على الكتفين. ويسمى هذا اللباس أيضاً طاليت قطان (طاليت صغير) مقابل طاليت الصلاة، ويسمى كذلك أربع كنفوت (أربع زوايا). وغالباً ما يُصنع هذا اللباس اليوم من القطن أو «البوليستر»، أو من مادة خليطة ولكن من غير الصوف والكتان، ويلبس هذا اللباس أثناء النهار دون الليل، لأنه يجب أن يكون مرئياً كما نصت التوراة على ذلك بالقول: «فترونه وتذكرون جميع وصايا الرب». وهو بهذا يختلف عن طاليت الصلاة الذي يلبس عند الصلاة فقط، والذي يلبسه المتزوجون فقط. فالصيصيت يلبسه أي ذكر، وفي أي عمر حتى الأطفال. كما أن النساء لا يلبسنه لأن وجوب لبسه مقرون بوقت وهو وقت النهار. والفرائض المقرونة بوقت ـ في الشريعة اليهودية ـ لا تشمل النساء. وقد ذكر مؤلف كتاب «شلحان عاروخ» سبباً آخر فقال: «لا يجوز للمرأة أن تلبس صيصيت لأنه لا يجوز لها أن تنافس زوجها»[1].

---

(١) B. Greenberg, Haw to run a traditional Household, pp. 189 ff.

ويكون عدد الخيوط في الصيصيت ثمانية وفيها عُقد خمس، وأقل طول للخيط الواحد هو أن يكون أربعة أضعاف طول الإبهام، وإذا كان اللباس من الحرير فلا بدَّ أن تكون الخيوط من الحرير، وإذا كان من القطن فلا بد أن تكون كذلك، وإذا تهرأ أحد الخيوط فإن العادة أن تبدل كلها، ويقبّل اليهود هذه الخيوط عادة بعد صلاة الصبح[1].

ويفسر الحسيديم عبارة «فترونه» على أنها تشير إلى أن هذه الخيوط يجب أن يراها الناس، ولذلك فهم يخرجونها من ثقوب الأحزمة، أو يخرجونها من تحت ملابسهم ويتركونها مدلاّة مرئية للناس يرونها.

ولا بدَّ أن نذكر هنا بأن التوراة قد نصت على أن يكون أحد هذه الخيوط خيط لونه أزرق (أو شبه أزرق) كما في النص السابق. والكلمة العبرية التي تقابل ذلك هي «تخلت». وليس هناك اتفاق بين اليهود على طبيعة هذه الزرقة، فقد جاء في التلمود: «إن هذا اللون يشبه (لون) البحر، و (لون) البحر يشبه (لون) السماء، والسماء تشبه عرش الجلال»[2]. وقال بعضهم: إنه بين الأزرق والأخضر، فوصف بأنه يشبه (لون) البحر، و (لون) البحر يشبه لون العشب، ولون العشب يشبه (لون) السماء. وقال بعضهم إن لونه يشبه لون الكراث[3].

بينما يرى آخرون بأن الكلمة العبرية «تخلت» تعني اللون البنفسجي، ولذلك نرى كلمة بنفسجي في بعض الترجمات العربية للتوراة. وقد جاء في التلمود أن هذا اللون كان يؤخذ من حيوان اسمه «حلاّزون» (الحلزون) يتكاثر كالسمك، وهو يأتي إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في أوقات متباعدة، ويؤخذ اللون من دمه. وقد أكد الحاخامون على أن يكون هذا اللون ثابتاً لا يزول، وعلى الإنسان أن يفحصه ويتأكد من شخص صاحب خبرة ومعرفة حتى لا يكون هذا اللون تقليداً للأصلي. فقد بدأ التجار في وقت مبكر يستخرجون صبغاً من شجرة معينة يقلدون به لون الـ «تخلت». وقد عثر على صيصيت صبغ بصبغ الشجرة هذه منذ عصر باركوخبا (ت ١٣٥ م).

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **ẒiẒit.**
(٢) Menahoth, 43 b.
(٣) Encyclopaedia Judaica, **Tekhelet.**

وقد أهمل اليهود منذ وقت طويل صبغ الصيصيت، ويتركون الخيوط كلها بيضاء فقد جاء في المدارش: «وفي هذه الأيام يستعمل الناس صيصيت أبيض لأن الـ «تخلت» قد أخفي عنا»[١].

ولليهود آراء في سبب إبطال هذه الشعيرة وعدم الالتزام بها، فيقول بعضهم إن اليهود بعد تهديم المعبد وشتاتهم نسوا عملية استخراج هذا الصبغ وصنعه[٢]. أما دائرة المعارف اليهودية فقد ذكرت بأنه بسبب غلاء الصبغ وصعوبة الحصول على الحيوان وإخراج اللون منه، وللخوف من أن لا يكون هذا اللون أصلياً أجاز الحاخامون أن يترك الصيصيت أبيض[٣].

أما الحاخام لوريا ـ أشهر علماء القبلاه ـ فقد أعطى مبرِّراً آخر حيث قال: «إن هذا الصبغ قد اختفى عن قصد لأن فريضته كانت واجبة أيام المعبد اليهودي. أما بعد تهديمه فإنه ليس هناك حاجة لهذا الصبغ على الإطلاق»[٤].

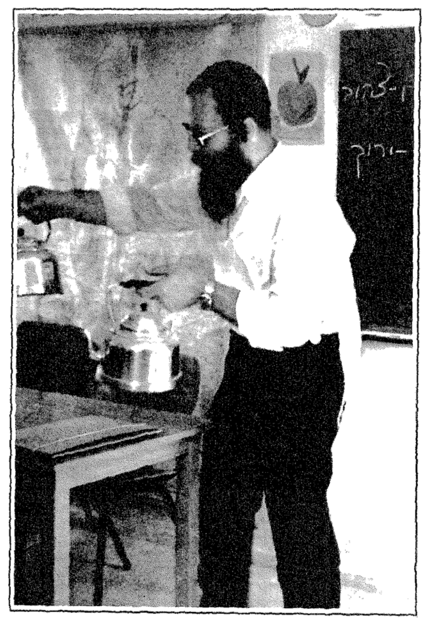
وفي القرن الماضي دعا حاخام اسمه «غرشون حنوك لينر» اليهود إلى العودة إلى الالتزام بفريضة صبغ الصيصيت. وهذا الحاخام هو الزعيم الروحي الأول لمجموعة من الحسيديم اسمها رادزن Radzin، وكان قد أعلن في كتابين له بأنه قد بحث بحثاً جدياً عن الحيوان البحري الذي يؤخذ منه الصبغ حتى عثر عليه، وقد فحصه فحصاً دقيقاً فوجد مواصفات الحاخامين تنطبق عليه وأخبر اليهود بأنه قد حصل على اللون المطلوب. وقام هو وأتباعه من الحسيديم بعملية إنتاج هذا الصبغ وصبغوا ما يجب صبغه من الصيصيت به كما تنصّ التوراة. وأعلن عن توفر هذا الصبغ لديه يبيعه بسعر زهيد لمن يريد أن يشتريه من اليهود.

ولكن ما أعلنه هذا الحاخام لم يَلْقَ قبولاً ورضا لدى الحاخامين بل أثار استغرابهم ونقدهم، ورفضوا أن يستعملوا الصبغ وقالوا بأن الحيوان لا تنطبق عليه أوصاف «الحلاّزون» الذي ذكره التلمود، وأن الصبغ المستخرج إنما هو صبغ داكن الزرقة لا يتفق وما ذكره الحاخامون الأوائل. ومع ذلك فقد ظل

---

(١) Encyclopaedia Judaica, **Tekhelet.**
(٢) P. Birnbaum, Encyclopedia of Jewish Concepts, p. 527.
(٣) Encyclopaedia Judaica, **Tekhelet.**
(٤) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 115.

أتباع هذا الحاخام يستعملون هذا الصبغ إلى يومنا هذا. ومن المجموعات الحسيدية التي تستعمله مجموعة براسلاف[1] التي ليس لها زعيم روحي حي كما ذكرنا.



**حسيدي يرتدي «الصيصيت» وترى الخيوط في جوانبه.**

---

(١) Ibid, p. 117.

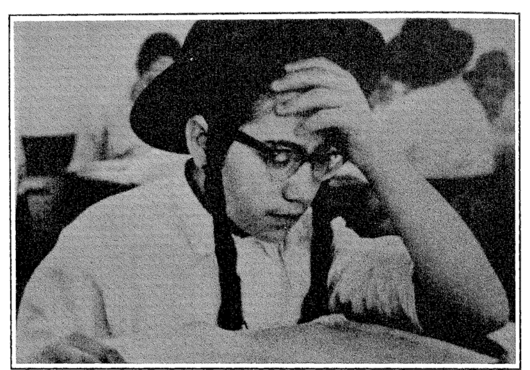
# الحزام

ومما يتميز به الحسيديم عن غيرهم من اليهود في المظهر هو الحزام الذي يلبسونه في الصلاة، ولبس الحزام في الصلاة هو عادة يهودية قديمة حيث نص عليها التلمود، كما نص على وجوبها مؤلف شلحان عاروخ حيث قال: «إن على اليهودي أن يضع حزاماً أثناء الصلاة، لما ورد في سفر عاموس ٤/١٢: «فاستعدَّ للقاء إلهك يا إسرائيل». ولكن من الممكن أن يكتفي الشخص بحزام تحت ملابسه ليفصل بين القلب والعضو الجنسي».

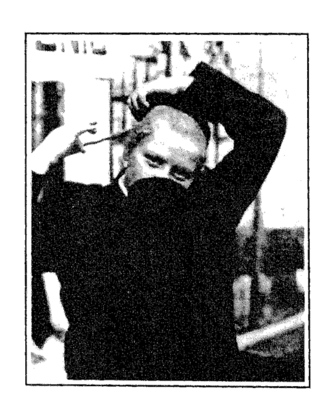
وقد ترك اليهود في البلاد الجرمانية وروسيا عادة لبس حزام خاص بالصلاة، وقالوا بأن ما ورد من وجوب لبسه ينطبق على اليهود الذين لا يلبسون حزاماً في حياتهم اليومية، أما نحن فإننا نلبس سروالاً وحزاماً فلا حاجة لنا إلى لبس حزام. ولكن الحسيديم يعتقدون بوجوب لبسه، ويقولون بأن الغرض من لبس الحزام ليس غرضاً في حدّ ذاته، وإنما هو وسيلة للتحضير للصلاة، وأصرُّوا على لبس حزام خاص لهذا الغرض، وأصبحوا يلبسون حزامين وليس حزاماً واحداً، لما ورد في سفر إشعيا ١١/٥ «ويكون البرّ حزام حقويه والأمانة حزاماً لخصره». ويعمل الحسيديم هذه الأيام الحزام الثاني من حرير مبروم[١].

---

(١) Ibid, pp. 113 - 114.



طالب «يشيفاه» من الحسيديم بضفائره.



غلام حسيدي يفتل شعر ضفيرته.

# اللحية والفئوت (الضفائر)

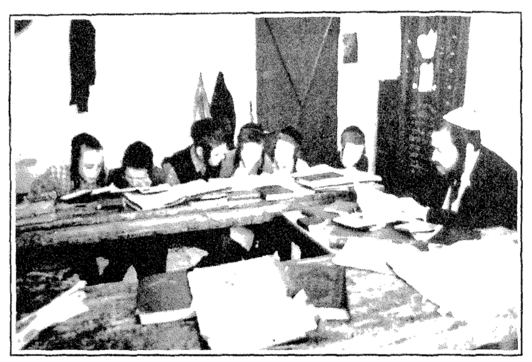
لا يحلق الحسيديم عادةً لحاهم ولا الشعر الذي على جانبي الرأس، وتطلق كلمة «فئوت» (مفردها فئة) بالعبرية على الشعر الذي يعمله الحسيديم على شكل ضفيرة على كل جانب من جانبي الرأس عند الأذنين. وقد ورد النص على عدم حلق هذا الشعر في التوراة في سفر اللاويين (الأحبار) ٢٧/١٩ «ولا تحلقوا أطراف شعر رؤوسكم، ولا تقص أطراف لحيتك، وخدشاً من أجل ميّت لا تضعوا في أبدانكم، وكتابة وشم لا تضعوا فيكم. أنا الرب». وقد نصَّ الحاخامون كذلك على عدم جواز حلق اللحية وأكَّدوا عليه. فقد جاء في التلمود وفي كتاب «شلحان عاروخ». أنه لا يجوز للشخص أن يحلق أطراف لحيته بدواء أو بمقص»[١]. وجاء في كتاب «كتصور شلحان عاروخ» «إن الذي يخاف الله يجب أن لا يستعمل الموسىٰ لقص أي جزء من لحيته أو من تحت ذقنه أو حتى من الشعر الذي فوق شفته العليا»[٢].

والحسيديم في هذه المسألة أكثر تشدداً وتحفظاً، إذ أنهم يتحرجون حتى من تمشيط اللحية. وقد ذكر عن إسحق لوريا أشهر حاخامي القبلاه - والذي يقدِّسه الحسيديم كثيراً - بأنه لم يكن يمس شعر لحيته لا بمقص ولا بموسىٰ عدا شاربيه عندما كانا يعترضانه في الأكل والشرب، بل إنه كان حذراً أن لا يمس لحيته حتى لا يقطع شعرة من شعرها.

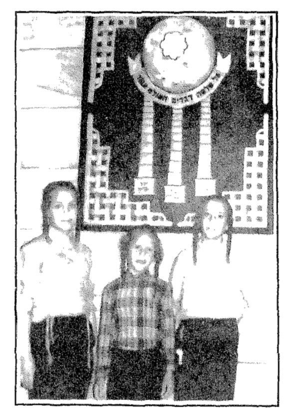
---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 299.

(٢) S. Ganzfried, - Goldin, Kitzur Shulhan Arukh, vol 4, pp. 54 -5.



أولاد حسيديم في مدرسة وترى الضفائر والكباه.



أولاد حسيديم بضفائرهم وخيوط الصيصيت.

أما بالنسبة إلى الفئوت (الضفائر)[١] فإن اليهود الأرثوذكس غير الحسيديم قد يقصونها ولا يتركونها تطول كثيراً، وقد جاء في كتاب شلحان عاروخ عن طولها بأنها يجب أن تبلغ شحمة الأذن[٢] وقال بعض حاخامي اليهود إنها يجب أن تكون من قرب الجبهة إلى ما تحت الأذن حيث يعرض الفك[٣]. ولكن الفئوت عند الحسيديم كانت تطول كثيراً. وقد جاء في سفر هاتقون «إن الفئوت يجب أن تطول حتى تصل إلى الخصر، وعلى الشخص أن لا يقصها ولا يمشطها حتى لا يسقط بعض الشعر منها[٤]».

ويعطي الحسيديم تفسيراً باطنياً لعدم حلق الشعر، فهم يقولون بأن أصول الشعر هي قنوات للنعمة الإلهية، وإن الشخص الذي يحلق الشعر أو ينتفه يخرب هذه القنوات، ولذلك يُحَذِّر الحسيديم كثيراً من أن يمسوا شعر لحاهم أو الفئوت. وإلى جانب ذلك فإنّ للشعر أهمية عند الحسيدي حتى إن البعض منهم كانوا يحتفظون بالشعر الذي يسقط من اللحية والفئوت، بل إن بعض الصديقيم كان يحتفظ بالشعر الذي يتساقط منه في كتاب مقدس[٥]. وعندما أصدرت بعض الحكومات مثل حكومة روسيا وهنغاريا قرارات بوجوب قص الفئوت فضَّل الحسيديم دفع الغرامة على قصها[٦].

---

(١) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, pp. 299 - 40.
(٢) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism, p. 301.
(٣) S. Ganzfried - Goldin, Kitzur Shulan Arukh, vol 4, p. 54.
(٤) A. Wertheim, law and Custom in Hasidism, p. 301.
(٥) Ibid, p. 300.
(٦) Ibid, p. 301.

# ملابس النساء

تلبس نساء الحسيديم لباساً طويلاً في الغالب (خاصة المتزوجات منهن)، ويصل الثوب من الأعلى إلى الرقبة، وتكون أكمامه طويلة أو لا تتجاوز الجانب الأعلى من المرفق. ولا بدَّ للمرأة الحسيدية المتزوجة أن تغطِّي شعرها، حتى أنه لا يجوز أن يصلِّي الرجل وقربه امرأة متزوجة لا تغطي شعرها، إذ يعتبر النظر إليها كالنظر إلى امرأة عريانة. وعندما تتزوج البنت الحسيدية فإنها تحلق شعرها بهذه المناسبة وتغطي رأسها. وغطاء الرأس إما أن يكون بوضع غطاء من قماش أو بوضع شعر اصطناعي. ويختلف غطاء الرأس باختلاف المجموعة الحسيدية التي تنتمي إليها المرأة، فمنهن من يغطينه بقماش لونه أسود مثل مجموعة الحسيديم الستمار ومجموعة الراب أرله، ويعتبر هؤلاء أكثر تشدداً من غيرهم. وبعضهن يضعن غطاء من لون داكن، وبعضهن يستعمل غطاء ذا ألوان، ومنهن من يضعن شعراً اصطناعياً، والبعض الآخر يلبسن قبعة خاصة، وبعضهن يضعن شعراً طبيعياً على شعرهن، ولما كان هذا الشعر يبدو وكأنه شعرها فقد حرَّمه بعض حاخامي الحسيديم ونهوا عن استعماله[١]. ومع أن لباس هؤلاء النساء محتشم فإنهن لا يترددن في إظهار زينتهن، فهن يلبسن الحلق والأقراط والقلائد وما إلى ذلك من زينة[٢]. وبعض هذه الزينة يكون من نوع ثمين جداً.

وهناك مسائل أخرى وتفصيلات ترتبط بلباس الحسيديم لا أريد استقصاءها كلها في هذا الكتاب، وربما سنحت في المستقبل فرصة أخرى للحديث عنها وعن غيرها من مسائل تتعلق بالحسيديم أعرضنا ـ متعمدين ـ عن ذكرها هنا.

---

(١) S. Heilman, the Defenders of the Faith, p. 311.

(٢) Ibid, p. 121.



امرأة حسيدية تضع غطاء رأس.

***

# المصادر والمراجع

1 - Ben Amos, D. and Mintz, J.R., Shivhei ha-Besht (In Praise of Baal Shem Tov) Baloomington/London, 1970.
2 - Berkowitz, W., (ed.) Dialogues in Judaism, New Jersey/London, 1991.
3 - Berstein, S., The Renaissance of the Torah Jew, New Jersey, 1985.
4 - Birnbaum, P., Encyclopaedia of Jewish Concepts, New York, 1991.
5 - Bloch, A., The Biblical and Historical Background of Jewish Customs and Ceremonies, New York, 1980.
6 - Brenner, L., Jews in America Today, London, 1986.
7 - Brooks, S., The Club, The Jews of Modern Britain/London, 1989.
8 - Bulka, R,P., Dimensions of Orthodox Judaism, New York, 1983.
9 - Cohn-Serbok, D., Holocaust Theology, London, 1989.
10 - Cooper, E.L., Am Segullah, A Treasured People, New York, 1983.
11 - Dan, J., Teaching of Hasidism, New York, 1935.
12 - Douglas, J.D., Elwell, W.A., and Toon, P., The Concise Dictionary of Christian Tradition, London, 1989.
13 - Dresner, S., H., The World of a Hasidic Master, Levi Yizhak of Berditchev, New York, 1986.
14 - Dubnow, S., History of the Jews, New York/London, 1967 - 1973.
15 - Idem, Nationalism and History, Philadelphia, 1958.

16 - Encyclopaedia Judaica, Jerusalem, 1957.
17 - Encyclopaedia Judaica Year Book 1975 - 6, Jerusalem, 1976.
18 - Ganzerfield, S., and Golden, H.,E., Kitzur Shulhan Arukh, (Code of Jewish Law), New York, 1961.
19 - Greatz, H., Popular History of the Jews, New York, 1919.
20 - Green, A. (ed.) Jewish Spirituality, London, 1986.
21 - Idem, Tormented Master, A life of Rabbi Nachman of Braslav, Alabama, 1979.
22 - Greebberg, B., How to Run a Tradtional Jewish Household, New York, 1985.
23 - Heilman, S., Defenders of the Faith, New York, 1992.
24 - Heschel, A. J. The Circle of Baal Shem Tov, University of Chicago, 1985.
25 - Horodesky, S.A. Leaders of Hassidism, London, 1928.
26 - Hundert, G.D. (ed.) Essential Papers on Hasidism, Origins to Present, New York, 1991.
27 - Jacobs, L. Hasidic Thought, New York, 1976.
28 - Idem, Hasidic Prayer, London, 1972.
29 - Jung, L. (ed.) Jewish Leaders, New York, 1953.
30 - Kaplan, A. Rabbi Nachman's Stories, New York, 1983.
31 - Landau, D. Piety and Power, New York, 1992.
32 - Lubavitch Foundation of Great Britain, Challenge, an encounter with Lubavitch-Chabad, Norwich, 1970.
Idem, Challenge, an encounter with Lubavitch - Chabad in Israel, Norwich, 1973.
33 - Mahler, R., Hasidism and the Jewish Enlightment, Philadelphia, 1985.
34 - Medding, P.Y., (ed.) Israel: State and Society, 1984 - 1988 New York/ Oxford, 1989.
35 - Meijers, D., Ascetic Hasidism in Jerusalem, Leiden, 1992.
36 - Mindel, N., Rabbi Schneur Zalman of Laidi, 2nd. ed., New York, 1971.
37 - Mintz, J.R., Legends of the Hasidim, London, 1968.
38 - Newman, L.I., The Hasidic Anthology, New York, 1944.
39 - Patai, R., (ed.) The Complete Dieries of Theodor Herzel, London, 1960.
40 - Poll, S., The Hasidic Community of Williamsberg, New York, 1962.

41 - Robinowicz, H., The World of Hasidism, London, 1972.
42 - Idem, A Guide to Hassidism, New York, 1960.
43 - Idem, Hasidism and the State of Israel, 1982.
44 - Rosenthal, G.S., Contemporary Judaism, New York, 1986.
45 - Idem, The Many Faces of Judaism, New Jersey 1978.
46 - Rubinstein, A., (ed.) Hasidism, Jerusalem, 1975.
47 - Sacks, J., Tradition in an Untraditional Age, Exceter, 1990.
48 - Safran, B., (ed.), Hasidism, Continuity or Innovation, Harvard University Press, 1988.
49 - Schachter - Shalomi, Z.M., Spiritual Intimicy, A Study in Councelling in Hasidism, New Jersey, 1991.
50 - Schachtr, Z.M. and Hoffman, E., Sparks of light, Bonlder/London, 1983.
51 - Schwartz, H. The Captive Soul of the Messiah, New York, 1983.
52 - Sharot, S. Messianism, Mysticism, and Magic, The University of North Carolaina press, Chpel Hill, 1982
53 - Weiner, H. 9 - Mystics, The Kabalah Today, New York, 1992.
54 - Wiesel, E., Four Hasidic Masters and their Struggle against Melancholy, London, 1978.
55 - Idem, Souls on Fire, London, 1972.
56 - Wertheim, A., Law and Custom in Hasidism, New Jersey, 1992.

## العبرية والآرامية

١ ـ التوراة.
٢ ـ التلمود.
٣ ـ الزهر.
٤ ـ تانيا (لقوطي أماريم) شنيور زلمان، اسرائيل، ١٩٦٣.

## الدوريات

- The Jewish Guardian.

# فهرس الأعلام

(ب)



(ث)



(جـ)



(ح)

( د )



( ز )



( س )



( ش )

(ن)



(هـ)



(و)



(ي)

## الفهـرس

# HASIDIC JEWS

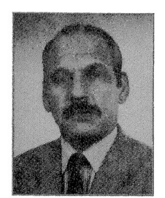
origin, history, beliefs, customs

J. H. Hassan (Ph.D.)

1994

## ḤASIDIC JEWS

origin, history, beliefs, customs



## عن المؤلف

● من مواليد العراق، ويقيم منذ فترة طويلة في بريطانيا. غادر العراق عام ١٩٧١م بعد حصوله على الماجستير من جامعة بغداد. التحق بجامعة مانشستر في بريطانيا، فحصل منها على البكالوريوس (لغات سامية)، وعلى الماجستير والدكتوراه (لغة عبرية ودراسات يهودية)، من الجامعة نفسها.

● درّس في عدد من الجامعات العربية والغربية، وله عدد كبير من البحوث والدراسات، أغلبها عن اليهود واليهودية وبعضها باللغة الإنجليزية.

● وهذا الكتاب هو كتابه الثالث في موضوع الدراسات اليهودية بعد كتابيه: «فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام» و«فرقة القرائين اليهود».

## هـذا الكتاب

. . . واليهود الحسيديم هم يهود أرثوذكس، إلا أنهم يختلفون عنهم في الممارسة الدينية والسلوك والتقاليد إلى جانب لغتهم الخاصة بهم وهي اليديش. وهم اليوم تتوزعهم مجموعات كثيرة تصل إلى العشرات، وكل واحدة من هذه لها اسمها الخاص الذي أخذته من القرية أو البلدة التي نشأت فيها. ولكل واحدة من هذه المجموعات زعيمها ومرشدها الروحي الذي تطيعه وتقدّسه وتدين بالولاء له.

واليهود الحسيديم اليوم ينتشرون في كثير من بلدان العالم، إلا أن أغلبهم يسكن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل. ولهم اليوم دَوْر مهم وتأثير كبير في عالم اليهود لكثرة عددهم وعظم إمكانيتهم، ومع ذلك فإن الكثير من الناس في عالمنا لا يعرف عنهم شيئاً بل ربما لم يسمعوا بهم.

وقد دفعني هذا إلى إصدار دراسة عن هؤلاء اليهود، تضم المسائل الرئيسية حولهم كالنشأة والتاريخ والعقائد والتقاليد وغير ذلك من موضوعات كعلاقتهم بإسرائيل.

ولأن الكتاب جديد في موضوعه فقد رأيت [illegible] الدراسة على ذكر الحقائق وتبيانها، دون [illegible] أو تحليلها، إلا إذا اقتضت ضرورة البحث [illegible] الرئيس من هذا الكتاب هو الحديث عن [illegible] وتعريف القارىء بهم واطلاعه عليهم.

وقد حاولت قدر الإمكان أن أعرض [illegible] بطريقة موضوعية، معتمداً في ذلك على المص[illegible] عامة والحسيدية منها بصورة خاصة دون [illegible] الأخرى. وكل هذه المصادر كتبت بلغات [illegible] مصدر واحد باللغة العربية . . .